المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
للدراسات العليا
فرع الأدب والنقد والبلاغة

# الدهر في ديوان الهذليين

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب

إعداد الطالب
حمد محمد خضر المطرفي
الرقم الجامعي: ٤٣٣٨٨٠١٣
تخصص الأدب والنقد والبلاغة
إشراف الدكتور: حميد سمير

لعام: ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م

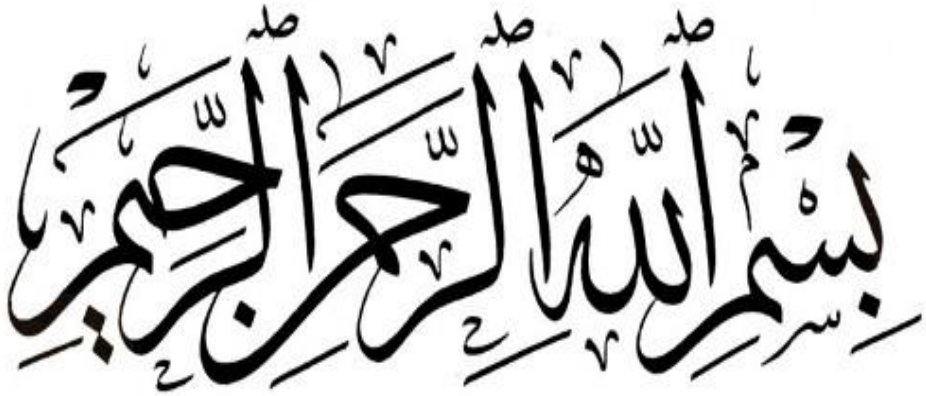
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]

# الفهرس


**الفهرس** ........ ٤

**ABSTRACT** ........ ٦

**شكر وتقدير** ........ ٧

**ملخص الرسالة** ........ ٨

**المقدمة** ........ ١٠

**تمهيد** ........ ١٣

**صورة الدّهر في الشعر الجاهلي** ........ ١٩

**صورة الدّهر في الشعر الإسلامي** ........ ٢٢

**الفصل الاول:الدّهر والأغراض الشعرية** ........ ٢٥

**المبحث الأول:الدّهر والرثاء** ........ ٢٥

**المبحث الثاني: الدّهر في سياق الوصف** ........ ٥٥

الدّهر ومرادفاته في سياق الوصف ........ ٥٦

**المبحث الثالث: الدّهر في سياق الشكوى والحكمة** ........ ٧٢

أولاً: الدّهر في سياق الشكوى ........ ٧٢

ثانياً: الدّهر في سياق الحكمة ........ ٧٩

**المبحث الرابع: الدّهر في سياق الغزل والفخر** ........ ٩٠

أولاً: الدّهر في سياق الغزل ........ ٩٠

ثانياً: الدّهر في سياق الفخر ........ ٩٨

**الفصل الثاني: البناء الفني في أبيات الدهر** ........ ١٠٧

المبحث الأول: في اللغة ........ ١٠٧

**أولاً: الغريب في شعر الهذليين** ........ ١٠٩

**الوضوح والتجديد في المعاني** ........ ١١٧

**التأثر بمعاني القرآن الكريم** ........ ١١٩

**المبحث الثاني : الأسلوب** ........ ١٢٦

**أولاً: أسلوب التكرار** ........ ١٢٨

**ثانياً: أسلوب الشرط:** ........ ١٣٣

**ثالثاً: أسلوب الاستفهام** ........ ١٣٨

**رابعاً: أسلوب القسم** ........ ١٤٢

**خامساً: أسلوب الأمر والنهي** ........ ١٤٥

**سادساً: أسلوب النفي** ........ ١٤٨

**سابعاً: أسلوب النداء** ........ ١٥٠

الصورة الشعرية ..... ١٥٢
الصورة في النقد الحديث ..... ١٥٣
التشبيه ..... ١٥٤
الاستعارة ..... ١٥٩
الكناية ..... ١٦٢
مصادر الصورة الشعرية في ديوان الهذليين ..... ١٦٦
الخاتمة ..... ١٧٤
المصادر والمراجع ..... ١٧٦
أولاً: الكتب ..... ١٧٦
ثانياً: الرسائل العلمية ..... ١٨٢
ثالثاً: الدّوريات. ..... ١٨٣

# Abstract

**Title of the Study**: Time in Divan of Al-Hozaleen

**Degree**: Master

**Approach of the Study**: the Descriptive Analytical approach

The study consists of an introduction، preface، two chapters and a conclusion. As for the preface it is about the Linguistic meaning of time، the religious meaning of time، time in pre-Islamic era poetry and time in the Islamic poetry. As for the first chapter، it is about time in the context of poetic purposes، time in the context of lament، time in the context of description، time in the context of complaint and wisdom and time in the context of erotic and proud. The second chapter is about the technical study. It has the poetic language، dictions and poetic picture.

The study reached to important results from which are the followings: ١- Hozaleen poets done a lot of mention to the term "time" without mentioning its Synonymous in the context of lamenting. This is due to the poets' effecting with the Jahli belief، which state that time is fatal، and the Islamic poets may imitates the Jahli poets. ٢) Time was used of the purpose of pride as Arabs were proud of their days about victory . Finally، there is an index about resources and references.

## شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، لك الحمدُ ربنا كما يليقُ بعظيم وجهك، وجلال سلطانك، ولك الشكر على النِّعمَةِ والفضل والعطاء أما بعد،،

فإنني أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور الفاضل: حميد سمير الذي أرشدني في إعداد خطة هذا البحث، وتقديمها فجزاه الله خيراً على جُهوده، ثم واصل جُهده، وأشرف على الرسالة، وضحى بوقته في القراءة والتقويم فله مني الشكر والعرفان.

كما أتقدم بالشكر لجميع أساتذتي في قسم الدراسات العُليا بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، على ما قدموا من علم وإرشاد في خدمة اللغة العربية، وطلبة هذا القسم، وأتقدم بالشكر الجزيل للمناقشينِ اللذين تحملا الجهد في تقويم هذه الدراسة وإصلاح ما اعوج منها، وستكون ملاحظاتِهما موضع العناية والاهتمام فجزاهما الله عني خير الجزاء، والشكر موصول لكل من أسهم في نجاح هذا العمل بنُصحٍ أو إرشاد أو توجيه لمصدر نافع.

وأسأل الله التوفيق والسداد لما يُحبه ويرضاه.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

**الباحث/ حمد المطرفي**

# ملخص الرسالة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ والحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد،،،

**عنوان الرسالة:** الدّهر في ديوان الهذليين.

**الدرجة العلمية:** ماجستير.

**منهج الدراسة:** المنهج التحليلي في معرفة صور الدهر في ديوان الهذليين.

وجاءت الرسالة في مُقَدّمة وتمهيد وفصلين وخاتمة:

**التمهيد:**

أ) المعنى اللغوي للدّهر.

ب) المعنى الديني للدّهر.

ج) الدّهر في شعر الجاهليين.

د) الدّهر في شعر الإسلاميين.

**الفصل الأول: الدّهر في سياق الأغراض الشعرية:**

١. الدّهر في سياق الرثاء.
٢. الدّهر في سياق الوصف.
٣. الدّهر في سياق الشكوى والحكمة.
٤. الدّهر في سياق الغزل والفخر.

**الفصل الثاني: البناء الفني في أبيات الدهر:**

١. اللغة الشعرية.
٢. الأسلوب.
٣. الصورة الشعرية.
٤. مصادر الصورة الشعرية.

وقد خلص البحث إلى عدة نتائج منها:

١) أكثر الشعراء الهذليون من ذكر لفظة الدّهر خاصة دون مرادفاتها في سياق الرثاء، وذلك إشارة إلى تأثر الشعراء بالمُعتقد الجاهلي في ظنهم أن الدّهر مُهلك للأحياء، ومن كان من الشعراء إسلاميٌ فربما سار على نهج الجاهلي تقليداً أو محاكاة.

٢) حضور أجزاء الدّهر مثل اليوم في غرض الفخر؛ وذلك لأن العرب كانت تفخر بأيامها التي تنتصر فيها على الخصوم.

٣) أثرت البيئة الهذلية على نتاج الشعراء فاستشهدوا بقسوة الدهر على ما حولهم من الكائنات الحية كالوعول والوحوش والطيور.

**ثم وضعت ثبتاً للمصادر والمراجع.**

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين مُحَمَّد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد،،

فإن الدّهر ظاهرةٌ أشغلت الإنسان ،وكان لها وجود في الفكر الفلسفي، كذلك فإن الدين له موقفٌ من الدّهر وذلك لأن الناس يُسندون إليه ما ليس من شأنه :كالمصائب والأحداث والموت ،إذ كان ذلك معتقد الجاهليين والوثنيين، ولما جاء الدين يُبشر الناس بكل خير ويصرفهم عن كل شر أصّل فيهم الإيمان بالقضاء والقدر، وبين لهم موقف الدين من هذه الظاهرة، ومُعتقد الجاهليين الذين ظنوا بأن الدّهر مُهلك للأحياء، وأن الابتلاء يقتصر على هذه الحياة فمن مات هلك ولا حِساب ولا ثواب. يقول الله سبحانه وتعالى واصفاً حالهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴿٢٤﴾﴾[الجاثية:٢٤].

وللشعر والشعراء موقفٌ من الدّهر يُمثل مجتمعاتهم التي يعيشون فيها، وشكلت ظاهرة الدّهر في ديوان الهذليين معلماً بارزاً، تناولها الشعراء في مختلف موضوعاتهم الشعرية: من غزل ورثاء وحكمة ووصف وفخر وشكوى.

لذلك وجدتُ أنه من الأهمية بمكان أن أفرد دراسة لهذه الظاهرة، مبيناً سياقاتها، ومحللاً لأبياتها، ومفسراً لمعانيها.

وتأتي أهمية الموضوع من خلال الترابط الوثيق بين الدّهر والزمن الذي يمثل عمر الإنسان، وكيف أن الإنسان قد ضاق ذرعاً مما يفاجأه من الأقدار، وأسقط ذلك على الدّهر الذي يمثل للإنسان عمره الحقيقي، فمنه: السنة والشهر واليوم فتوجع من ذلك، ثم شكا وبكى، وندب دهره، وعبر عن ذلك بالشعر، حتى أصبح ظاهرة في شعر الشعراء، جديرة بالدراسة والنظر.

وقد اخترت هذا الموضوع رغبةً مني في البحث في الشعر العربي الأصيل؛ لاسيما شعر هذيل الذي حظي بعناية خاصة من اللغويين والبلاغيين، وكذلك الدارسين والباحثين الذين سبروا أغواره وكتبوا فيه، ومع ذلك؛ فإن المجال لايزال رحباً لأن يدرس.

ومن الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع:

أولاً: وفرة المادة الشعرية لشعراء هذيل الذين تناولوا الدّهر في أشعارهم.

ثانياً: عدم وجود دراسة علمية منهجية تناولت هذا الموضوع في شعر الهذليين بعد أن استقصيت المصادر والمراجع.

ثالثاً: دراسة الأسباب المتنوعة، والطرائق المتعددة التي طرقها الشعراء الهذليون في استخدامهم للدّهر، ومدى مناسبتها مع الموضوعات التي وردت في سياقاتها.

رابعاً: اهتمامي بالأدب العربي، وميلي إلى الشعر في عصوره الزاهية لاسيما العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام.

ويهدف البحث إلى استقراء المادة الشعرية لظاهرة الدّهر في ديوان الهذليين، وتوضيح موقف الشعراء من هذه الظاهرة، ومدى أثرها في حياتهم، وتحليل الدوافع النفسية والعاطفية التي دعتهم إلى الإكثار منها في نتاجهم الشعري.

وقد قُمتُ بتقسيم بحثي إلى تمهيد، وفصلين على النحو التالي:

أولاً: التمهيد تناولت فيه معاني الدّهر في اللغة والدين وصورته عند الشعراء الجاهليين والإسلامين.

الفصل الأول: الدّهر في سياق الأغراض الشعرية، وتناولت فيه:

١. الدّهر في سياق الرثاء.
٢. الدّهر في سياق الوصف.
٣. الدّهر في سياق الشكوى والحكمة.
٤. الدّهر في سياق الغزل والفخر.

وفي الفصل الثاني: سأتحدث عن الدراسة الفنية في المباحث التالية:

١. اللغة.
٢. الأسلوب.
٣. الصورة الشعرية.
٤. مصادر الصورة الشعرية.

ثم ختمت الرسالة بأهم نتائج الدراسة ثم المصادر والمراجع.

وأخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**الباحث/ حمد مُحَمَّد المطرفي**

## تمهيد

العرب أهل الفصاحة والبيان وتظهر فصاحة العرب في الشعر ؛لذلك تحداهم الله ـ عز وجل ـ بالقرآن الكريم وأعجزهم أن يأتوا بمثله، وكان الشعر سجلاً لتاريخ العرب وناقلاً لتراثهم وحاملاً أفكارهم ورؤيتهم للحياة.

يقول الجاحظ: "وكانت العرب في جاهليتها تختال في تخليدها، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون، والكلام المُقفَّى، وكان ذلك هو ديوانها. وأنَّ الشعر يُفيد فضيلة البيان على الشاعر الراغب، والمادح، وفضيلة المأثُرة، على السيد المرغوب إليه، والممدوح به، وذهبت العجم على أن تُقيد مآثرها بالبُنيان"(١).

لقد تعددت الأغراض الشعرية عند الشعراء من غزل، وفخر، ورثاء، وهجاء، ومدح، وبتعددها تعددت الموضوعات الشعرية، فأخذ الشعراء يصفون مشاعرهم، وما حولهم من مشاهد.

صور الشاعر العربي الجاهلي كل ما حوله من البيد والجبال، والنبات والحيوان، وغير ذلك من ألوان طبيعة الأرض العربية.

وتغنى بالليل والنهار والشمس والقمر والمعارك والخيل، ووصف الطبيعة والمطر، وتغزل بالمحبوبة، ورثى الموتى، وندب الدّهر.

إن الدّهر يمثل عند الشاعر العربي، ظاهرة أشغلت تفكيره لذا نمهد له من خلال تعريف المعنى اللغوي لكلمة الدّهر ثم المعنى الديني، ثم نستعرض صورة الدّهر عند الشعراء الجاهليين، وكذلك عند الشعراء الإسلاميين.

**أولاً: المعنى اللغوي لكلمة الدّهر:** وردت كلمة الدّهر بمعانٍ عدة، وذلك من خلال المعاجم

(١) الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام مُحَمَّد هارون، ج١، ص: (٧٢) ط٢، ١٣٨٥هـ.

اللغوية، وكلمة الدّهر اسم معنى بسكون الهاء، وقيل بالفتح (دَهَرَ) لقول أبي النجم[١].

**وجـــبلاً طـــال معـــداً فـــاشمخر أشـــم لا يســـطيعه النـــاس الـــدّهر**

وقد خالف ابن جني فتح الهاء واكتفى بالتسكين يقول ابن جني: "وما أظن الشجري إلاّ استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك الحرف الحلقي بالفتح إذا انفتح ما قبله من الاسم"[٢].

والجمع أدهُر جمع للقلة، ودهور جمع للكثرة."والدهارير أول الدّهر في الزمان الماضي[٣]

"وقيل إن واحد الدهارير هو دهر على غير قياس"[٤].

ويأتي الدّهر بمعانٍ عدة منها: "الغلبةُ والقهر، قال ابن فارس: سمي الدّهر لأنه يأتي على كل شيء ويغلبه"[٥].

ومن أسماء الدهر: العصر، المنون، النازلة، السبت.

كلمة العصر: "المنع والشدة والعصر الدّهر، وسمي الدّهر دهراً؛ لأنه يأتي على كل شيءٍ ويغلبه"[٦].

كذلك يأتي الدّهر بمعنى المنون:

ورد في لسان العرب المنون: الموت لأنه يمنُّ كُلَّ شيءٌ يضعفه وينقصه ويقطعه، وقيل

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف القاهرة، مادة: دهر، ص: (١٤٣٩).

(٢) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: مُحَمَّد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٣١هـ، ص:(٣١٣).

(٣) لسان العرب،: دهر، ص: (١٤٤٠).

(٤) نفسه، مادة: دهر، ص: (١٤٤٠).

(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة دهر، ج٢، ص: (٣٠٥)، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م.

(٦) لسان العرب، مادة: عصر، ص: (٢٩٦٨).

المنون: الدّهر"[١].

ومن أسماء الدّهر النازلة: ورد في لسان العرب "والعرب تخصّ الدّهر بالثبورِ فتقول: بؤساً للدهر ،وتباً له إذا ما نزلت بهم فادحة، أو عاضلتهم كريهة حتى غدا الدّهر في إحدى معانيه يعني النازلة"[٢].

وكلمة النزول تأتي خيراً وشراً، قال تعالى﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝١٧٧﴾[الصافات:١٧٧].

"وإذا جاءت النازلة من غير وصف دلت على الشدّةُ والمصيبة الثقيلة المعجزة"[٣].

ومن أسماء الدّهر السبت: ورد في لسان العرب "السّبْتُ والسُّباتُ: الدَّهْرُ"[٤].

"وَابْنَا سُبات: الليل والنهار"[٥].

"وسَبَتَ الشَّيءَ سَبْتاً وسَبَّتَهُ : قَطَعَهُ"[٦].

وقيل الدّهر "هو الأمد الممدود، وقيل ألف سنة"[٧].

"وقيل الدّهر الأبد لا ينقطع. قال الأزهري: الدّهر يقع عند العرب على بعض الدّهر الأطول، ويقع على مُدة الدنيا كلّها، وقيل الدّهر: مدّة الدنيا كلّها من ابتدائها إلى انقضائها"[٨].

---

(١) لسان العرب، مادة: منن، ص: (٤٢٧٧).
(٢) نفسه، مادة: نزل.
(٣) نفسه، مادة: نزل.
(٤) نفسه، مادة: سبت، ص: (١٩١١).
(٥) نفسه، ص، (١٩١٢).
(٦) نفسه، مادة: سبت
(٧) نفسه، مادة: دهر.
(٨) نفسه، مادة: دهر.

وقال آخرون: "بل دهر كل قوم زمانهم"(١).

وقيل: "الدّهْرُ الزَّمانُ الطويل، والدهارير: أول الدّهر في الزمن الماضي بلا واحد"(٢).

**المعنى الديني**: وردت كلمة الدّهر في القرآن الكريم، والحديث الشريف.

ففي القرآن الكريم وردت في آيتين بلفظ الدّهر، وفي مواضع عدة بألفاظٍ مرادفة: كالليل والنهار والفجر والضحى.

أما ورود كلمة الدّهر في القرآن بلفظ الدّهر فقد وردت في موضعين قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾[الجاثية:٢٤]، الآية الثانية قوله تعالى:﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾[الإنسان:١].

الكلام في الآية الأولى عن الكافرين: "أي: منكرو البعث، قالوا: إن هي إلا عادات وجري على رسوم الليل والنهار، يموت أناس، ويحيا آخرون، ومن مات فليس براجعٍ إلى الله، ولا مجازى بعمله"(٣).

أما الآية الثانية في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ يعني الوقت أو الزمن الممتد.

أما المعاني الأخرى للفظ الدّهر، فقد وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع منها:

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مُحَمَّد علي النجار، الجزء الثاني، ط٣، القاهرة، ١٤١٦هـ، ص: (٦٠٩).

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق مكتبة تحقيق التراث بإشراف مُحَمَّد نعيم، ط٦، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ، ص: (٣٩٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ، مكتبة الصفا، ص: (٧٤٧).

١. المنون، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور:٣٠]والمقصود بريب المنون أي الموت.

٢. العصر، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾[العصر:١ ـ ٢].

٣. الليل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى:٢].

٤. الفجر، قال تعالى:﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر:١ ـ ٢].

٥. الصبح ، قال تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[التكوير:١٨].

٦. الضحى ،قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[الضحى:١ ـ ٢] .

والقرآن الكريم يشير إلى حركة الكون، وتقلب الليل والنهار الدالة على عظمة الخالق ووحدانيته، وتصرفه بالليل والنهار وأجزائهما دلالة على تصرفه بالأقدار، وقوة الخالق التي تدير الدّهر، ومن فيه، وليس لأجزاء الزمن إلا أن تسير في حكم خالق عظيم، ولذلك فالقرآن يدعو إلى التأمل في حركة الكون؛ ليستثمر الإنسان وقته الذي هو جزءٌ من الدّهر، وهذا الوقت يمثل عمر الإنسان الحقيقي.

**الدّهر في السنة النبوية الشريفة:** وردت كلمة الدّهر في السنة النبوية الشريفة في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن رب العزة قال الله تعالى: "يؤذيني ابن آدم يسب الدّهر، وأنا الدّهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"[(١)].

فالله سبحانه وتعالى هو المُدبر يقلب الليل والنهار، ويقدر الأحداث فإذا ضاق الإنسان بالقضاء وسب الدّهر فكأنما يسب مُدبرها، وقال ـ ﷺ: "لا تسبوا الدّهر؛ فإن الدّهر هو الله" ورُوي "فإن الله هو الدّهر" قيل الدّهر اسم من أسماء الله تعالى. وقال الزمخشري: الدّهر، هو الزمان الطويل، وكانوا يعتقدون أنه الطارق بالنوائب، ولذلك اشتقوا من اسمه دَهَر فلاناً خطبٌ

(١) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القُشيري، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار بن رجب، ص:(١١٩٣).

إذا دهاه ومازالوا يشكونه ويذمونه"[١] والرسول -ﷺ- ينهى عن ذم الدّهر، وشتمه؛ لأن ذلك ينافي العقيدة الصحيحة "ويبين أن الطوارق التي تنزل بهم منزلها الله -عز سلطانه- دون غيره، وأنهم متى اعتقدوا في الدّهر أنه هو المنزل ثم ذموه كان مرجع المذمة إلى العزيز الحكيم تعالى عن ذلك علواً كبيراً"[٢]

والمعتقد الصحيح الذي عليه سلف الأمة أنهم يعتقدون أن الله مصرّف الليل والنّهار ومقدّر الأقدار، وما يحصل للإنسان من خير وشرّ فهو بقضاء الله وقدره.

(١) بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي، ص: (٦٠٩).

(٢) بصائر ذوي التمييزللفيروزآبادي،ص:(٦١٠)

## صورة الدّهر في الشعر الجاهلي

للدهر في الشعر الجاهلي صور كثيرة، ذُكر فيها الدّهر الإنسان ـ الدّهر المفسد ـ الدّهر المتحدي ـ الدّهر الغول ـ بنو الدّهر

معالم صورة الدّهر في الشعر الجاهلي. ومن هذه الصور:

**صورة الدّهر الإنسان:** أكثر شعراء العصر الجاهلي من ذكر الدهر، وأسقطوا عليه صفات الإنسان فجعلوه يرمي ويُفني ويسترد ما يُعطي يقول طرفة بن العبد[١]:

**أرَى العيشَ كنزاً ناقصاً كُلَّ لَيْلَةٍ ومَا تَنْقُصِ الأيَّامُ وَالدّهرُ يَنفَدِ[٢]**

صور الشاعر الدّهر في صورة إنسان، والعيش في صورة كنز، وجعل الدّهر مُهلك للعيش ومُنقصٌ منه، كما يهلك الإنسان الكنز بإنفاقه. لقد كانت نظرة الشاعر الجاهلي للدّهر نظرة حُزن وتشاؤم وذلك لغياب الجانب الإيماني الذي بشر به الدين الإسلامي، فالجاهلي لا يعرف إلا الحياة الدنيا، وفي صعوبة العيش والحياة ما ينغص راحته، ويزيد في همه وألمه .

وصور الشعراء الجاهليون الدّهر بالطيش، وعدم الحكمة والأذية، والظلم لهم، وأنه مُتسلط عليهم غشوم في حكمه، وأسقطوا عليه صفات الإنسان الظالم، وكل ما يفعله بهم من أجل أن يذلهم يقول تأبط شراً[٣]:

**بزّني الدّهر وكان غشوما بأبيّ جاره ما يُذل[٤]**

---

(١) طرفة بن العبد بن سفيان، وكان في حسبٍ من قومه، جرئياً على هجائهم وهجاء غيرهم .انظر، الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد مُحَمَّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٤٢١هـ، ١٨٥/١.

(٢) نفسه، ١، ١٨٧.

(٣) هو ثابت بن عَمْسَل، وقيل ثابت بن جابر بن سفيان، وهو من فهمٍ، وفهم وعدوان أخوان، وكان شاعراً بئيساً، يغزو على رجلية وحده. انظر، الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٣١٢/١.

(٤) ديوان تأبط شراً، جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر، ص: (٢٤٨)، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

وصور الشاعر الجاهلي الدّهر وهو لا يُبقى على أحد، فلا هو يغادر حاكما أو محكوما، فكلهم لديه متساوون، كلهم في حكم الدّهر بالموت عليهم سواء.

قال ساعدة بن جؤيّة[١]:

**هـل اقتـنى حـدثانُ الـدّهرِ مـن أَنَـسٍ كـانوا بمعـيط لا وخـشٍ ولا قـزم[٢]**

فالشاعر في هذا البيت يتساءل : هل أبقى الدّهر من أحد عالي القدر أو وضيع؟

ثمّ تأتي الخنساء[٣] مؤكدة حكم الدّهر على الجميع بالموت فتقول في صخر:

**إنْ يَـكُ هـذا الـدّهرُ أوْدَى بِـهِ وصـارَ مَسـحاً لِمجـاري القِطـارْ**
**فكُـلُّ حَـيٍّ صـائرٌ للبلـى وكُـلّ حـبْلٍ مَـرّةٌ لانـدِثارْ[٤].**

وقد أكثرت الخنساء من شكوى الدّهر لفقد أخيها صخر، إذ ترى أن الدهر سببٌ في هلاك أخيها وأن هذا الهلاك يلحق بكل حي.

صورة الدّهر بالحيوان المفترس:

صور الشاعر الجاهلي الدّهر بحيوان مفترس له أنياب وظفر ومخالب.

---

(١) ساعدة بن جؤية أخو بني كعب بن كاهل بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة. ديوان الهذليين لأبي سعيد السكري، ١٦٧/٢.

(٢) ديوان الهذليين، تحقيق، أحمد الزين، محمود أبو الوفا، ط٢، ١٩٩٥ ج١، ص: (٢٠٠).

(٣) الخنساء هي تماضر بن عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي، من أبرز شاعرات العرب. ديوان الخنساء، شرح حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٥.

(٤) ديوان الخنساء، ص: (٦٢).

يقول امرؤ القيس[١]:

**إلى عِــرّق الثّــرى وشــجتْ عُروقــي وهــذ المــوتُ يســلُبني شَــبابي**
**ونفســي ســوف يَسْــلُبها وجرمــي فيُلحقــني وشــيكاً بالــتُّرابِ**
**أُرجّــي مــن صُــروفِ الــدهر لينــاً ولم تغفــل عــن الصُّــم الهضــابِ**
**وأَعْلــم أنــني عَمَّــا قليــلٍ سَأنْشَــبُ في شَــبَا ظُفْــرٍ ونَابٍ[٢]**

تصف هذه الأبيات قلق الشاعر من المصير المحتوم، وهو الموت فيرى أنه عما قليل مسلوب الشباب والقوة، ولن يبقى له أثر لأنه لاحق بالتراب، ولن تلين معه صروف الدّهر حتى تسلمه للموت، وتنشبه في ظُفْرٍ وناب. فالصورة هنا صورة حيوان مفترس أسلمه إليه الدّهر ليقضي عليه بالموت.

---

( ) امرؤ القيس بن حُجر بن عمرو الكندي، وهو من أهل نجد، من، من الطبقة الأولى. الشعر والشعراء، لابن قتيبة (١/ ١٠٥)

( ) ديوان امرئ القيس، تحقيق: د/ مُحَمَّد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩١٨م، ص :(٩٨)

## صورة الدّهر في الشعر الإسلامي

جاءت صورة الدّهر في شعر الإسلاميين مستوحاة من الشعر الجاهلي أو هي امتداد له، إذ جاء الشعر الإسلامي على نفس ما جاءت الصورة في الشعر الجاهلي؛ جاء الدّهر على هيئة المستبد القاهر، وصورة إنسان مهلك، وصورة حيوان مفترس.

أما قولهم في الدّهر يعتقدون أن ما يصيبهم من الأقدار هو ابتلاء فهذا واضح في شعرهم.

وقد حمّل الشعراء الدّهر بعض صفات الإنسان، ومن ذلك وصفهم للدهر بالخيانة يقول حسان بن ثابت(١) شاعر الرسول ـ ﷺ ـ:

**فمــن يأمــن الــدّهر الخــؤون فــإنني　　بــرأي الــذي لا يأمــن الــدّهر مُقتــدي(٢)**

فالشاعر يرى بأن الدّهر مشابه في صفاته لصفات بعض البشر فهو يتسم بالخيانة ولذلك فإن الشاعر لا يأمن هذا الدّهر الخؤون ويقتدي بمن لا يأمن دهره.

وصور الشعراء الإسلاميون الدّهر بالحيوان جرياً على نسق الشعراء الجاهليين فصوروه بالناقة يقول الفرزدق(٣):

**أرى الله في تسـعين عامـاً مضـت لـه　　وسـتٍ مـن التسـعين عـادت فواضـلُه**
**علينـا ولا يلـوي كمـا قـد أصـابنا　　لـدهرٍ علينـا قـد ألحـت كلاكلـه(٤)**

(١) حسان بن ثابت الأنصاري ويكنى أبا الوليد وهو جاهليٌ إسلاميٌ، مات في خلافة معاوية. الشعر والشعراء، لابن قتيبة، (٣٥٠/١).

(٢) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: وليد عرفات، بيروت، دار صادر، ١٩٧٤م، ص: (٤٠٧).

(٣) الفرزدق هو همامُ بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن مُحَمّد بن سفيان بن مجاشع بن دارم كان أبوه سيد بادية تميم. انظر الشعر والشعراء، لا بن قتيبة ٤٧٢،٤٧١/١.

(٤) ديوان الفرزدق، شرح الصاوي، ص: (٦٣٨).

إذ يرى الفرزدق أن للدّهر كلاكل كالحيوان والكلاكل تكون للبعير.

وكأن الفرزدق يسير على خُطا الشعراء الجاهليين كامرئ القيس الذي تطرق لهذا المعنى في وصفه الليل الذي أثقله بالهموم.

ومن صور الشعراء الإسلاميين للدّهر وأجزائه التي توحي بالمعاني الإيمانية ما نجده في مرثية أبي الحسن التهامي[١] إذ يقول:

**حُكـــم المنيـــة في البريـــة جـــارِ ... مـــا هـــذه الـــدنيا بـــدار قـــرارِ**
**ومُكلـــف الأيام ضـــد طباعهـــا ... متطلـــبٌ في المـــاء جـــذوة نارِ**
**فالـــدّهر يخـــدع بالمـــنى ويغـــص إن ... هَنَّـــا ويهـــدمُ مـــا بُـــنى ببـــوارِ**
**لـــيس الزمـــان وإن حرصـــت مســـالماً ... خُلـــق الزمـــان عـــداوة الأحـــرارِ[٢]**

فأبو الحسن التهامي شاعر إسلامي من شعراء العصر العباسي ،ونلاحظ في مطلع الأبيات تلك المعاني المستوحاة من الدين الإسلامي النابضة بالإيمان؛ فالشاعر امتثل أمر الله سبحانه وتعالى وأمن بأن المنية قدرٌ لكل مخلوق ،وأن الدنيا ليست بدار قرار ،ثم يعود الشاعر إلى الدّهر وأجزائه فلا يُبعد في تصوره للدّهر عما وصفه به غيره من الشعراء ؛فالأيام ليس من طبعها الإحسان والدّهر خدّاع يُمنيك ثم لا يحقق لك ما أردت، ويهدم ما يبني والزمان حربٌ على الأحرار وليس من عادته أن يكون مسالماً هكذا تصور الشعراء الدّهر وصوروه وأسقطوا عليه صفات الإنسان في الغدر والخيانة والهدم والتلوين.

---

(١) أبو الحسن علي بن مُحَمَّد التهامي شاعر من شعراء القرن الرابع الهجري، وأوائل الخامس ولد بمكة في حدود عام ٣٦٠هـ، وقتل في القاهرة عام ٤١٦هـ. انظر ديوان ابي الحسن التهامي، تحقيق مُحَمَّد بن عبدالرحمن الربيع، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ص: (١١).

(٢) نفسه، ص: (٣٠٨).

# الفصل الأول

# الدّهر والأغراض الشعرية

١) المبحث الأول: الدهر في سياق الرثاء.
٢) المبحث الثاني: الدهر في سياق الوصف.
٣) المبحث الثالث: الدهر في سياق الشكوى والحكمة.
٤) المبحث الرابع: الدهر في سياق الغزل والفخر.

## الفصل الأول: الدّهر والأغراض الشعرية

### المبحث الأول: الدّهر والرثاء

الرثاء: غرض من الأغراض الشعرية، عُرف منذُ أن وجد الشعر فانطلق الشعراء يرثون الموتى، ويضفون عليهم الصفات الحميدة: كالشجاعة، والكرم، وإباء الضيم، وإغاثة الملهوف، ومن ذلك ،مراثي الخنساء في أخيها صخر في العصر الجاهلي، فالعرب كانت تؤمن بالموت وأنه لن يفلت منه أحد، ولكنهم لا يؤمنون بأنه كتاب مؤجل والفاعل هو الله بل ظنوا أن الموت يأتي به الدّهر، أو الجن والعفاريت، ولذلك كان الموت قوة غيبية مخيفة "فالجاهلي أدرك الواقع، وعاش حياته كما أدرك أن الدّهر يُهلك الناس جميعا"(١).

ولما ظهر نور الإسلام تغيرت المفاهيم، وأدرك الناسُ حقيقة الحياة الدنيا، وأنها مزرعة للآخرة، وهي دار عمل، والحياة الباقية هي الآخرة كما قال الله تعالى:﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[الأعلى:١٧].

وإن الله هو المدبر، وهو الذي خلق الموت والحياة قال تعالى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[الملك:٢].

وأنه ما من نفس تموت إلا في كتاب الله مقدراً لها الأجل، فلم يعُد الشُّعراء في الرثاء ينقِمون على الدّهر كما كان الشاعر الجاهلي، وإنما ظهر الإيمان في شعر الرثاء فأصبح أحدهم يُصبر نفسه، ويُعزّيها ويحتسب الأجر، إذا فقد عزيزاً من ابن أو أخٍ أو قريب؛ فإنه يشكو إلى الله مصابه، ومن ذلك قول أميه بن عائذ(٢):

---

(١) الحماسة للبحتري أبو عبادة الوليد بن عبيد، تحقيق لويس شيخو، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ص: (١١٥).

(٢) أمية بن أبي عائذ الهذلي، وهو إسلاميٌّ. انظر شرح شعر الهذليين للسكري، ص: (٥/٢).

ومَـــرّ المَنُـــونِ بأمـــرٍ يَغُـــولُ    مـــن رُزءِ نفـــسٍ ومـــن نقـــصِ مـــالِ
إلى الله أشْـــكُو الـــذّي قـــد أرَى    مـــن النَّائِبَـــاتِ بِعـــافٍ وعـــالِ[(١)]

فهذا شاعر إسلامي لم تعد لديه المفاهيم الجاهلية التي تؤمن بسطوة الدّهر، وتبالغ في رثاء الموتى، وإنما يكتفي أن يشكو ما يجد من نقص الأموال، والأنفس إلى الله، ويصبر لذلك إيماناً منه بما وعد لعباده من الأجر والمثوبة.

ومن مواضع ورود الدّهر في سياق الرثاء قول أبي ذؤيب الهذلي[(٢)] :

أمِـــنَ المَنُـــونِ ورَيْبِهـــا تَتَوَجَّـــعُ؟    والـــدّهر لـــيسَ بِمُعتِـــبٍ مـــن يَجْـــزَعُ[(٣)]

يعاتب الشاعر نفسه ويوجهها بعدم التوجع والسخط بسبب المنون وقال الضبيء "المنون الدّهر سمي منون لأنه يذهب بالمنة أي: القوة، وقيل :المنون هي المنية"[(٤)].

وبعد أن عاتب الشاعر نفسه في الشطر الأول، أجاب عن سبب هذا العتاب بأن الدّهر لن يسترضي من يجزع، ولن ينظر إلى وقع المصيبة من المُصاب بشيءٍ من الرحمة والعطف، ولذلك فلا حاجة للجزع، فالدّهر هنا بمعنى الموت الذي يذهب بالأرواح، ولا يقبل العذر من أحد ومن جزع فلن يعود عنه قضاء يكرهه إلى قضاء يحبه، ومادام الأمر كذلك فلا حاجة للجزع والتوجع وريب الدّهر "ما يأتي به من الفجائع والمصائب يقال رابني الدّهر وأرابني "[(٥)].

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١٧٤).
(٢) أبو ذؤيب الهذلي : خويلد بن خالد بن محرّث شاعر مخضرم عاش الجاهلية والاسلام من ابرز شعراء هذيل شارك في الفتوحات وتوفي في مصر سنة ٢٦ هـ ،كتاب الأغاني لأبي فرج الاصفهاني (١٨٧/٦) .
(٣) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١).
(٤) شرح أشعار الهذليين ، لأبي سعيد السكري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١ ص: (١).
(٥) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٣).

ومما رادف الدّهر استخدام الألفاظ الدالة على أجزاء الزمان كاليوم ومن ذلك قوله في القصيدة نفسها:

**ولِيَـــأْتِينَّ عليْـــكَ يـــوْمٌ مـــرَّةً يُبْكَـــي عليْـــكَ مُقَنَّعـــاً لا تَسْـــمَعُ** (١)

يخاطب الشاعر نفسه بعد فقد بنيه بعدم جدوى البكاء، وأنه صائر إلى ما صاروا إليه "وسوف يأتي عليه يوم يبكي عليه الأحباب، وهو ميت لا يسمع، فالبكاء لازمة من لوازم تجربة الفقد"(٢). ومقصود الشاعر بيوم هنا ساعة الموت التي لابد أن يمر بها كل حي وهذه الساعة يحتاج فيها الإنسان إلى الكفن والتجهيز فيُحمل إلى قبره، وحين ذلك تجد أهل الميت ومحبيه يبكون لفراقه، ويذرفون الدموع، ولكنه قد انقطع عنهم فهو في عداد الأموات مقنعاً بأكفانه لا يسمع بكاءهم ولن يفيده ذلك بشيء، ثم يعود الشاعر إلى واقعه فيُظهر قوته، وصبره ويُبدي تجلده حتى لا يشمت به عدوه فيقول :

**وتَجَلُّـــدِي للشـــامِتِين أُرِيهُـــمُ أنِّي لَرَيْـــبِ الـــدّهر لا أَتَضَعْضَـــعُ**(٣)

فهو قادر على تحمل مُصابه بما يستجمع من قواه إذا قرن ذلك بالشامتين الذين يفرحون لمصيبته فيرى أنه من الأجدر أن لا يُظهر لهم جزعه وتكسره بل يُظهر لهم تجلده وصبره ورباطة جأشه. "ونلاحظ أن الشعر الجاهلي لم يُعن بالحديث عن الآلهة والأصنام وإنما نجد حديثاً طويلاً عن الدّهر بوصفه فاعلاً ومُحدثاً لكل ما يرونه من أحداث تتصل بالفناء والموت، وبالتغيير الذي يدخل في بنية الوجود"(٤).

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٣).

(٢) الأدب الجاهلي، قضايا وفنون ونصوص، حُسني عبد الجليل يوسف، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٢١هـ، ص: (٣٥٨).

(٣) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٣).

(٤) الأدب الجاهلي، قضايا وفنون ونصوص، ص٧.

وهذه القصيدة لشاعرٍ مسلم لكنه يختزل أفكار العصر السابق الذي أدرك شيئاً منه.

وريب الدّهر ما يرمي به الدّهر من المصائب، والبلايا وما يريب الإنسان ويُخيفه ولن يكون أشد على الإنسان من الموت (وهو مقصود الشاعر هنا بريب الدّهر)ثم يقول:

**فَلَئِن بِهِم فَجَعَ الزَّمانُ وريْبُهُ إِنِّي بِأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفَجَّعُ**(١)

يسترجع الشاعر أبناءه في ذاكرته، ويُدرك بأنهم قد ماتوا فيقول لئن كان الزمان وريبه أي: ما يريب منه قد فجعني وأراعني فيهم فإن ذلك أمر غير مستغرب لأنني مُفجع بأهل مودتي وبمن أُحب، وهذا شأن الزمان بأهله ثم انتقل الشاعر عن ذاته إلى غيره؛ ليضرب لنفسه المثل، ويبين لها سطوة الدّهر على غيره من الكائنات فيقول:

**والدّهر لا يَبْقَى على حَدَثَانِهِ فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ أَعَزُّ مُمَنَّعُ**(٢)

فلن يبقىَ عزيزٌ سالمٌ من الدّهر؛ فكل حي تتقلب به الحدثان من ليلٍ ونهارٍ. وتسير به إلى نهاية واحدة، ينالها الأحياء ألا وهي الموت مهما كان العز وكيفما كانت المنعة، ويضرب لذلك مثلاً بالحمار الوحشي الذي يعيش مع أُتنه في راحة ودعة ينعم بالأمن والسلام بعد أن توفرت له سُبل الحياة من ماء وكلأ، ولكنها لا تدوم طويلا فسرعان ما يشتد الحر، وتنقطع المياه فتكون النهاية التي أراد أن يضرب لها المثل في قوله:

**والدّهر لا يَبْقَى على حَدَثَانِهِ جَوَنُ السَّراةِ لَه جَدائِدُ أَرْبَعُ**(٣)

فتحدق الأخطار بهذا القطيع لتوصله إلى النهاية، وذلك بأن يترصدها الصائد فيقتلها

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٤).
(٢) نفسه، ج١، ص: (٤).
(٣) نفسه، ج١، ص: (٤).

بسهامه واحد تلو الآخر.

ثم ينقل لنا أبو ذؤيب صورة أُخرى ليُبرهن على سطوة الدّهر، وقوته المُكتسحة لكل حي إذ يقول:

**والـــدّهر لا يَبْقَـــى علـــى حَدَثَانِـــهِ شَـــبَبٌ أَفَزَّتْـــهُ الكِـــلابُ مُـــرَوَّعُ**[١]

"الشبب: الثور المسن، أفزته: استخفته وطردته"[٢].

فلم يُبقِ الدّهر هذا الثور رغم قوته وضخامته فقد عايش الخوف والقلق الذي كان يعيشه الشاعر من تقلبات دهره فكان يخاف الكلاب التي تشُل حركته فيسهل اقتناصه من الصائد الذي يترصد له، وقد وقع ما كان يحذره هذا الثور فأنفذ الصائد إليه سهماً، ووقعت له النهاية فمات كما تموت الأحياء، وذلك فعل الدّهر بأهله كما يرى الشاعر، ولايزال الشاعر يضرب الأمثلة لسطوة الدّهر على من حوله من الأحياء ولكن الشخصية هنا تختلف عما سبق.

فالشخصية هنا شخصية إنسانية حيث يرسم لنا صورة فارس متوشح بالحديد مقنع بالمغفر ليحمي نفسه، وذو مراس ودُربه عليم بالحروب، وله فيها باع طويل وفرسه سريعة العدو مدربة على الكرّ والفرّ؛ لكنه لن يزهو بنفسه طويلاً؛ لأن الدّهر له بالمرصاد كما قال:

**والـــدّهر لا يَبْقَـــى علـــى حَدَثَانِـــهِ مُسْتَشْـــعِرٌ حَلَـــقَ الحَدِيـــدِ مُقَنَّـــعُ**[٣]

فأحداث الدّهر كفيلة بتغيير كل شيء، وذلك إن قُدر له رجل جرئ ينازعه المجد فيقول:

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٠).

(٢) نفسه، ج١، ص: (١٠).

(٣) نفسه، ج١، ص: (١٥).

بَيْنـــا تَعَنُّقِـــه الكُمـــاةَ ورَوْغِـــهِ يومـــاً أُتِـــيحَ لـــهُ جَـــرِيءٌ سَـــلْفَعُ[١]

أتاح له القدر فارساً مثله يملك مقومات القوة والتحدي فتناديا للمبارزة، وكلاً منهما واثق بنفسه قد عهد منها الشجاعة والجرأة في ميادين القتال، ولكن القضاء لهما بالمرصاد فلن ينجو منهما أحد.

مُتَحـــامِيَينِ المَجْـــدَ كـــلٌ واثِـــقٌ بِبَلائِـــهِ واليَـــوْمُ يَـــوْمٌ أَشْـــنَعُ[٢]

"أي: كل واحدٍ منهما يحمى المجد يطلب أن يَغلب فيه فيُذكر ثم ابتدأ فقال :كلٌ واثقٌ ببلائه يريد كل واحد منهما قد علم من نفسه بلاءً حسناً، وأشنع: كريه"[٣].

فيُقدر لكل منهما طعنه، وتكون بها نهايته فيتحقق مراد الشاعر من ضرب المثل لنفسه وللآخرين بسطوة الدّهر على كل حي، وأن نهايته أن الدّهر لا يبقى على حدثانه أحد مهما كانت قوته ومكانته، ومهما ملك من مقومات القوه والبقاء فالشاعر (نظر الى الدّهر بأنه صاحب الفاعلية في مصير أبنائه ويظهر ذلك منذُ بداية القصيدة وفي البيت الأول إذ يقول: (والدّهر ليس بمعتب من يجزع)،وقوله: (إني لريب الدّهر لا اتضعضع)،وقوله:(فلئن بهم فجع الزمان وريبه).

"وتنقلات القصيدة باستخدام عبارة: والدّهر لا يبقى على حدثانه في أربعة مواضع من القصيدة"[٤].

كل ذلك يدل على نظرةٍ قائمةٍ، وأفكار راسخة من مخلفات العصر الجاهلي تسند

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٨).
(٢) نفسه، ج١، ص: (١٩).
(٣) نفسه، ج١، ص: (١٩).
(٤) لغة شعر ديوان الهذليين، علي كاظم المصلاوي، ص: (٥٥).

الأفعال لغير فاعلها حيث إن الفاعل والمتصرف هو الله . سبحانه وتعالى.

**المنايا مرادفاً للدَّهر:**

يقول أبو ذؤيب:

**لَعُمْـــــرُكَ والمَنَـــــايا غَالِبـــــاتٌ لكـــلِّ بَـــني أَبٍ منهـــا ذَنُـــوبُ**[١]

"ذنوب": نفحة ونصيب، "والمنايا": والمنون سواء، والمنون الدّهر، والمنون تذكر وتؤنث فمن ذكره صرفه إلى لفظ المنايا والأيام، وسميت منوناً لأنها تمن الأشياء أي تنقص"[٢].

يؤكد الشاعر على حتمية الموت، وأن المنية غالبة، وكل إنسان له قدرٌ لن يعدوه، وله نصيب من الموت والفناء صائرٌ إليه حيث قدم الدليل ،وهذا ملاحظ في شعر أبي ذؤيب وخاصة في الرثاء حيث يضرب لنفسه المثل، أو يقدم الحكمة التي يستدل بها على حتمية الفناء وحقيقة النهاية لكل حي، ثم بعد ذلك يمضي الشاعر في وصف المرثي بصفات القوة والشجاعة ومنازلة الأعداء، ولكن ذلك لن يمنع عنه قضاؤه وقدره.

**ومن مرادفات الدّهر: الليل، والنائبات، والحادثات:**

يقول أبو ذؤيب:

**نَامَ الخَلِـــيُّ وبِـــتُّ اللَّيـــلَ مُشْـــتَجِراً كـــأنَّ عَيْـــنِي فيهـــا الصَّـــابُ مَـــذْبُوحُ**[٣]

"الخلي": الذي ليس به هم[٤]،"مشتجرا": أي يشجر رأسه بيده كأنه يضعه على يديه كما يشجر الثوب بالعود ،والصاب شجرة مرة لها لبن يمض العين إذا أصابها، ومذبوح

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٩٢).
(٢) شرح أشعار الهذليين، ج١، ص: (٧٧).
(٣) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٠٤).
(٤) شرح أشعار الهذليين، ج١، ص: (٨٨).

مشقوق[١].

يصور الشاعر ألمه ومعاناته مع الليل الذي يسكن فيه الإنسان إلى نفسه ؛ليريحها من العناء ولم تتحقق لشاعرنا تلك الراحة التي يجدها غيره ،ولم يهنأ بالنوم لأنه من حظ الخلي الذي ليس له همٌ يُشغله، وأما أبو ذؤيب فقد بات ليلته متكئاً برأسه على يديه يسكب دموعه من عينه بحرارة وألم وذلك حُزناً على صاحبه الذي يرثيه ويبين في البيت الذي يليه أن هذا الحزن والألم من الذكرى لهذا الأخ الذي يقارع الخصوم وكان له عوناً وسنداً.

يقول أبو ذؤيب في رثاء قومٍ له قتلوا بليلٍ:

**وخَفِّــضْ عليْــكَ مــن النَّائِبــاتِ ولا تَــكُ مِنهــا كَئِيبــاً بِشَــرّْ**
**فَــإِنّ الرِّجَــالِ إلَى الحَــادِثَاتِ فأســتَيْقِنَنّ أَحَــبُّ الجُــزُرْ**[٢]

"أي: هون عليك مما يدخل عليك من نوائب الأمور، ونوائب الدّهر أحداثه، والرجال إلى الحادثات فاستيقنن ذلك، والرجل جزر للموت، والمنية لا تصيب شيئاً أحب إليها من الرجال"[٣].

فالشاعر يهون على نفسه النوائب التي تصيب الإنسان مما قُسم له من موت وفجائع وغير ذلك ،ثم يوجه النصح بأن لا يحزن الإنسان لذلك معللاً ومبيناً السبب فالرجال لا بد وأن يصيروا إلى الحادثات التي توصلهم إلى النهاية المحتومة وهي المنية التي يرى الشاعر بأنها تستحلي الناس، ولا مفر من ذلك، والنائبات من معاني الدّهر وتدل على ما ينوب الإنسان من خير وشر، وإن جاءت في هذا السياق دالة على معنى القتل الذي وقع بالقوم. والحادثات أيضاً من معاني الدّهر ووردت في السياق نفسه دالةً على الهلاك الذي يصير إليه الرجال.

ثم نجد الشاعر بعد ذلك يستدرك ويتمنى، ويستخدم مرادفات الدّهر، وما هو جزء منه كعشية وعمود السحر وليلة أهل الهزر، وكلها دالة على الوقت إذ يقول:

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٠٤).
(٢) نفسه، ج١، ص: (١٥٠).
(٣) شرح أشعار الهذليين للسكري، ج١، ص: (٨٦).

فَيَـــالَيْتَهُمْ حَـــذِرُوا جَيْشَـــهُمْ عَشِـــيَّةَ هُـــم مِثْـــلُ طَـــيْرِ الْخَمَـــرْ
فلـــوْ نُبِـــذوا بأَبِي مـــاعِزٍ حَديـــدِ السِّـــنَانِ وشَـــاهِي البَصَـــرْ
وبِابْنَـــيْ قُبّـــيْسٍ ولم يُكْلَمَـــا إلى أنْ يُضِـــيءَ عَمُـــودُ السَّـــحَرْ
لقَـــالَ الأبَاعِـــدُ والشَّـــامِتُونَ كانَـــتْ كَليْلَـــةِ أهْـــلِ الهَـــزَرْ[١]

يتمنى الشاعر أن قومه لو حذِروا عدوهم في تلك العشية التي كانوا: "يستترون لهم كما تستتر الطير في الخمر"[٢].

وبعثوا بأبي ماعز الذي وصفه بأنه حديد السلاح، وعالي البصر[٣]،وبابني قُبيس وجعلوا لهم ليلة في حراسة القوم إلى أن يُضيء الصباح، ولم يهلكا، " ولغلبوا الذين قتلوهم حتى يقول من شعر بهم كانت كليلة أهل الهزر"، وقال الأصمعي: أهل الهزر وقعة كانت لهذيل[٤].

وفي سياق الرثاء يقول أبو ذؤيب: واصفاً نُشيبة بجميل الصفات، ومتذكراً أيامه الخوالي:

وقَـــدْ كـــانَ لِي دَهْـــراً قَـــدِيماً ملاطِفـــاً ولمْ تَـــكُ تُخْشَـــى مـــن لديْـــهِ البَوائِـــقُ[٥]

إلى قوله:

نُشَـــيْبَةُ لم توجَـــدْ لـــه الـــدّهر عَثْـــرَةٌ يبُـــوحُ بـــها في سَـــاحَةِ الـــدّارِ نَاطِـــقُ[٦]

فقد كان نُشيبة ملاصقاً، ومصاحباً للشاعر حيناً من دهره، ولم يكن يخشى منه البائقة.

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٥٠ ـ ١٥١).
(٢) نفسه، ج١، ص: (١٥٠).
(٣) نفسه، ج١، ص: (١٥٠).
(٤) شرح أشعار الهذليين للسكري، ج١، ص: (٨٧).
(٥) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٥٢ ـ ١٥٣).
(٦) نفسه، ج١، ص: (١٥٣).

ومن مواضع ورود مرادفات الدّهر قول ساعدة بن جؤيه في سياق الرثاء:

**ألا بَاتَ مَــنْ حــوْلِي نِيامــاً ورُقَّــداً وعــاوَدَنِي حُــزْنِي الــذِّي يَتَجَــدّدُ**(١)

نظر الشاعر إلى الليل حيث يخلو الإنسان بنفسه؛ ليرتاح من عناء النهار فإذا من حوله ينعمون بالراحة، والنوم الذي حُرم منه، وذلك لأنه حزين على فقد المرثي "أبي سفيان" ثم إن حزن الشاعر يتجدد في الليل فكأنه نظر إلى الليل بأنه من يهيج أشجانه، ويسهم في زيادة ألمه، وحزنه، وذلك إذا ما قارن حال من حوله نياماً، ورقداً بحال الشاعر الذي عاوده حزن متجدداً فما الذي أجج الحزن في نفس الشاعر، وجعله لا ينام؛ إنها الذكرى التي جعلت ليله يطول حتى أنه لا يكاد ينقضي وذلك اذ يقول:

**تَــــذَكَّرْتُ مَيْتــــاً بالغُرابَــــةِ ثَاوِياً فمــا كَــادَ لَيْلِــى بعــدما طــالَ يَنْفَــدُ**(٢)

إن استحضار الشاعر لمرادفات الدّهر كقوله: "بات، ليلي" استحضاراً يستدل به على سطوة الدّهر، وشدة المعاناة التي مُني بها الشاعر لفقد أبي سفيان ثم ينقلنا الشاعر إلى صورة أخرى المتسلط فيها الدّهر، ولكنه ليس على الشاعر، أو على من يحب بل على غيره من الأحياء إذ يضرب لنا المثل، ويحكي لنا مأساة وعلٍ تقلبت به نوائب الدّهر، وأسلمته لسهام الصياد الذي أنهى حياته إذ يقول:

**أرَى الــدّهر لا يبْقَــى علــى حَدَثَانِــهِ أبُــــودٌ بأطْــــرافِ المَنَاعَــــةِ جَلْعَــــدُ**(٣)

والشاعر إذ يضرب المثل بالوعل المتوحش أراد أن يطمئن إلى قوة مواجهة القدر، وأنها لن يفلت منها أحد.

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٢٣٦).
(٢) نفسه، ج١، ص: (٢٣٨).
(٣) نفسه، ج١، ص: (٢٤٠).

فلم يكن أبو سفيان ضحيةً وحده، وإنما هذه الكائنات من حوله تقاسمه مصيراً مشتركاً وتصير إلى ما صار إليه فالدّهر لا يبقى على حدثانه "أي تقلب ليله، ونهاره" حتى الوحوش الممتنعة الغليظة تعجز عن الخلود، وتقع في قبضة الموت.

ويبدو إحساس الشاعر تجاه الدّهر بأنه قوة متسلطة لا يستطيع الأحياء مجاراتها فهذا المرثي، وكذلك الوعل المتوحش كلهم وقعوا في قبضة دهرهم، والشاعر الجاهلي يدرك الموت، ويؤمن بحتمية الفناء، ولكنه يُسند ذلك إلى الدّهر، ويرى بأنه الفاعل، والمتصرف وما قوله: "أرى الدّهر لا يبقى على حدثانه "إلا دليل على ذلك يقول الدكتور أحمد كمال زكي: "نعلم أنه ترك كل شيء ليقص علينا قصةً عن ريب الدّهر، وفجيعة الزمن، وقسوة القدر حين لا يدع أحداً يسعد في هذه الحياة، وبطل القصة وعلٌ اتخذته الأيام محكاً لبلائها، وقد تتبعه حتى قصده الصياد فرماه من قوسه"[١].

ومن مواضع ورود الدّهر في سياق الرثاء قول المُـتنخل[٢]:

**مـا بَالُ عينِـك تَبْكِـي دَمْعُهـا خَضِـلُ كمـا وَهَـيَ سَـرِبُ الأخْـراتِ مُنْبَـزِلُ**

**لا تَفْتـأُ الـدّهر مـن سَـحٍّ بأرْبَعَـةٍ كـأنَّ إنْسَـانَهَا بالصَّـابِ مُكْتَحِـلُ**

**فقـدْ عَجِبْـتُ ومـا بالـدّهر مـن عَجَـبٍ أنَّ قُتِلْـتَ؟ وأنْـتَ الحـازِمُ البَطَـلُ[٣]**

يقول الشاعر بأن عينه "لا تنفك الدّهر تبكي"، والصاب شجرة إذا ذُبحت يخرج منها لبن إذا أصاب شيئاً أحرقه، وقوله: وما بالدّهر يعني وما بالموت، وأنَّ قتلت كيف قتلت؟ وأنت بطل شجاع.

وصف الشاعر حالته حين فقد ابنه: فالعين باكية، والدموع مُنسكبة، وذلك طول

---

(١) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، أحمد كمال زكي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص: (٢٠١).

(٢) المتنخل : مالك بن عمر بن عُثيم بن سويد بن حنش بن خناعة من لحيان . انظر الشعر والشعراء ، لابن قتيبه (٦٥٩/٢)

(٣) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٣٣).

دهره فالدّهر في قوله: "لا تفتأ الدّهر" بمعنى أنها لا تتوقف عن البكاء لحظة من الوقت، وذلك لما أصابه، ويتعجب الشاعر كيف قُتل ابنه، وهو الشجاع البطل الذي له في الحروب خبرة ودراية، ولكنه يجيب على سؤاله إذ يقول: "وما بالدّهر من عجب" فالدّهر لم يدع أحداً إلا أورده الهلاك؛ لذلك فالأمر لا غرابة فيه، والدّهر هنا بمعنى الموت، والشاعر يمضي على نسق الشعراء الجاهليين في نظرته للدهر إذ يرى أن دهره مفني للأحياء، وهذا الأمر ليس بمستغربٍ على شاعر جاهلي تأصلت في ذهنه فكرة القوة الخارقة للدهر فلذلك لم يستغرب ما أصابه في فقد ابنه وأسند الفعل للدهر.

**المَنايا مرادفاً للدّهر:**

يقول صخر الغي[١] في سياق الرثاء:

**لَعَمــرُ أبِي عَمْــرٍو لقــدْ سَــاقَهُ المَنــا إلى جَــدْثٍ يُــوزَي لــه بالأَهاضِــبِ**

إلى قوله:

**فَعيــنِيَ لا يَبقَــي علــى الــدّهر فَــادِرٌ بِتَيْهــورةٍ تحــتَ الطِّخــافِ العَصــائبِ[٢]**

"المنا":المقدار، و"الفادر": المسن من الأوعال، "التيهورة":الهوى في الجبل والرمال، و"الطخاف": الرقيق من السحاب[٣].

بدأ الشاعر قصيدته بالقسم للدلالة على أمر جلل، وإحساس عظيم بهول الفاجعة، وهي فقد أخيه الذي ساقه القدر إلى منيته فذهب يطلبها، وذلك أمر محتوم، ومقضي إذ ساقه

---

(١) صخر الغي : هو صخر بن عبد الله الخثعمي أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل شاعر جاهلي لقب بصخر الغي لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شره من صعاليك العرب في الجاهلية .(كتاب الأغاني) لأبي فرج الأصبهاني (٥/٢٣)

(٢) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٥١ ـ ٥٢).

(٣) نفسه، ج٢، ص: (٥١ ـ ٥٢).

قضاؤه إلى الحية في جحرها كما قال:

**لَحَيَّـــةِ جُحْـــرٍ في وِجَـــارٍ مُقِيمـــةٍ تَنمَّـــى بهـــا سَـــوْقُ المَـــنا وأُلجَوالِـــبِ**(١)

"المنا": القدر، و"الوجار": ما سكن فيه أحناش الأرض، و"الجوالب": ما يجلب الدّهر، فالشاعر يؤكد بالفعل ساق، والمسوق هو: المرثي والسائق المنا أي: المقدار على إبراز قوة الموت، وسلطة الدّهر المهيمنة التي لا يستطيع الأحياء أمامها إلا الخضوع والتسليم وما كانت الحية التي نهشته في اعتقاد الشاعر إلا سبب يسره القدر أو الدّهر، ثم ينقلنا الشاعر لصورة أخرى مرتبطة بمصيبته، ولعله يضرب بذلك مثلاً؛ ليهون على نفسه المصيبة إذ نظر إلى غيره من الأحياء، ووجد أن حالهم يماثل حاله، وحال جنسه من البشر فالدّهر لن يُبقي حي مهما امتنع وعلا شأنه فضرب المثل بالوعل المُسن حيث قال:

**فَعيـــنّي لا يَبْقَـــي علـــى الـــدّهر فَـــادِرٌ بِتَيْهـــورةٍ تحـــتَ الطِّخـــافِ العَصَـــائِبِ**(٢)

فالنفي في قوله لا يبقى استمرار الحدوث الفعلي للدّهر في هدم الحياه سواءً كانت حياة إنسان، أو حيوان، والشاعر على يقين بأن الدّهر هو القادر على إفناء كل حي "فالتيهورة، والطخاف، والعصائب ظواهر طبيعية سخرها الدّهر لهذا النوع من الأحياء دون غيرها لتقي به شر أعدائها، وتحمي نفسها من الهلاك"(٣)ولكن إذا حانت ساعة الهلاك فإن الدّهر يسلب ما أعطاه، وله السطوة والغلبة في هلاك الأحياء "والشاعر لم يجعل الوعل يعيش بأمن، وحماية بمحض إرادته، وإنما جعل أمنه، وحمايته في قبضة الدّهر الذي سينهي حياته في ذلك الهوى السحيق كما أنهى حياة أخي الشاعر بتلك الحية التي أفنت وجوده"(٤).

---

(١) ديوان الهذليين ، ج٢، ص: (٥١).

(٢) نفسه، ج٢، ص: (٥٢).

(٣) فلسفة الموت في قصيدة الرثاء عند شعراء هذيل، عاطف كنعان، ص: (٢٥).

(٤) ديوان الهذليين ، ص: (٢٥).

وعادة الشعراء الهذليين ضرب المثل على سطوة الدّهر بفناء الحيوانات المُمتنعة في الأماكن العالية كالوعل، والأسد، والحُمر الوحشية، وتحولت نظرته إلى الدّهر بأنه مفني كل حي مهما بذل من أسباب المنعة، ولو وفَّر له الدّهر أسباب البقاء فإن له حيناً يسلب منه ذلك، ويسلمه إلى الهلاك فالوعل أحس بالخوف وبات منفرداً كما يصوره الشاعر في قولة:

**يَبِيــتُ إذا مــا آنــسَ اللَّيـــلَ كَانِســاً     مَبِيــتَ الغَرِيــبِ ذِي الكِسَــاءِ اُلْمُحَــارِبِ**[١]

يصور الشاعر الوعل، وقد أحس بالقطيعة بينه وبين الزمان فلم يعد يأنس بالليل؛ لأنه أحس في نفسه بالضعف، والكبر، والليل يخيفه، ويشعره بغربة للمكان، وغربة للزمان فلذلك تجده "يبيت متنحياً كما يفعل المحارب لأهله"[٢]ويدل ذلك على شعوره بالخوف مما يخفيه له الدّهر من الأخطار.

"وهذه الصور التي حشدها الشاعر للوعل في ذلك الكناس في جذع الشجرة جاءت لتُلبي معاناة الشاعر نفسياً، واجتماعياً. فالغريب أياً كان نوعه يعاني لونين من الغربة النفسية الزمانية، والغربة المكانية"[٣].

وصورة الوعل، ومقارعته للدهر، وإحساسه بالضعف هي صورة الإنسان الذي يقع له ما يقع لغيره من الأحياء، ويشعر بالضعف، وينتظر المصير الذي يسلمه إليه دهره، وهذه عقيدة أهل الجاهلية الذين يرون بأن الدّهر هو الفاعل، والمتصرف بالأحياء.

"وقد استندت الرؤية الجاهلية إلى الظواهر، ولهذا فإنهم أشاروا إلى الدّهر بأهم صفاته، بوصفه فاعلاً محدثاً للتغير، فهو الأيام والليالي، والسنون والعصور"[٤] ومن تبع الشعراء الجاهليين في هذه النظرة من شعراء صدر الإسلام، فالسبب في ذلك رسوخ تلك المفاهيم لدى جزء من

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٥٣).

(٢) نفسه، ج٢، ص: (٥٣).

(٣) فلسفة الموت في قصيدة الرثاء عند شعراء هذيل، ص: (٢٩).

(٤) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، ص: (٣٠٧).

الشعراء، والجزء الآخر عبَّر بتلك المعاني جرياً على نسق أسلافه من الشعراء، ومجاراة لهم مع العلم بوجود شعراء تمثلوا معاني الإسلام في حقيقة الوجود، وأن الله هو الخالق، وصاحب الفاعلية، وقد سبق الإشارة إلى ذلك مع الاستشهاد بشعرهم.

ولم يترك الشاعر الوعل حتى أسلمه للنهاية إذ يقول:

**أُتِـيحَ لـهُ يَوْمـاً وقـد طَـالَ عُمْـرَهُ جَرِيمـةُ شَـيْخٍ قـد تحنَّـبَ سَـاغِبِ**(١)

"فالوعل الذي عاش لذة عمره حتى طالت به الأيام أسلمه دهره إلى الصائد الذي رماه بالنبل فأرداه قتيلاً، وحال الوعل محاكياً لحال الإنسان الذي مهما طال عمره فإن الدّهر يسلمه إلى نهايته؛ ليتحقق بذلك مراد الشاعر "فعينى لا يبقى على الدّهر فادر"، واتخاذ الشاعر الوعل معادلاً لأخيه، يرمي لإظهار فعل الزمن بهذه الاحياء ماضياً، وحاضراً، فقوة أي كائن مهما كان حجمها ستتضاءل مادياً، ومعنوياً أمام جبروت الدّهر"(٢)،ويورد الشاعر بعد ذلك قصة اللقوة، ومحاولة اصطياد الغزال، ولكن القدر يسلمها إلى صخرة عاتية تتلف جناحيها؛ ليصل بذلك إلى الفكرة التي أرادها الشاعر وهي أن الدّهر يُهلك كل طالبٍ ومطلوب.

إذ يقول:

**فـذلِكَ ممّـا يُحَـدِثُ الـدّهر إنَّـه لـه كـلُّ مطْلُـوبٍ حَثيـثٍ وطالِـبِ**(٣)

ومن خلال هذا البيت يتبين للمتلقي إسناد الشاعر المصائب، والنوازل التي تحل بالأحياء إلى الدّهر فقد استدل بعد رثاء أخيه، وما آل إليه من دهره بالوعل المسن، ثم باللقوة ذات الفرخين، وترك مصير فرخيها للمتلقي يتأول لهذا المصير المأساوي ثم ختم ذلك بقوله:

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٥٤).

(٢) فلسفة الموت في قصيدة الرثاء عند شعراء هذيل، ص: (٣٤ . ٣٥).

(٣) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٥٧).

**فـــذلِكَ ممـــا يَحَـــدِّثُ الـــدّهر إنَّـــه لـــه كـــلُّ مطْلُـــوبٍ حَثيـــثٍ وطالِـــبِ**[١]

بمعنى أن هذه النهاية المأساوية لكل حي، إنما هي إرادة الدّهر الذي لا يعجزه طالب، ولا مطلوب، وقوله: حثيث دلالة على سرعة الانتقال مما يريده الأحياء إلى ما يريده الدّهر فالشاعر هنا تحكمه مشاعر الحزن، والألم لفراق أخيه فلا يرى من دهره إلا الجانب المُظلم الذي يقود كل حي إلى النهاية، والهلاك.

ومن مرادفات الدّهر المنايا، وما دل على الزمن: كالأيام، والليل، ومن ذلك قول صخر في رثاء ابنه:

**أَرِقْـــتُ فبِـــتُّ لم أَذُقِ المنامـــا ولَيْلـــي لا أُحـــس لـــه انصـــراما**

**لعَمْـــرُك والمنـــايا غالبـــاتٌ ومـــا تُغْـــني التميمـــاتُ الحِمامـــا**

**لقـــد أجْـــرى لمصـــرعه تليـــدٌ وســـاقته المنيـــة مـــن أذامَـــا**[٢]

إلى قوله:

**أرَى الأيَّامَ لا تُبْقـــي كَرِيمـــاً ولا العُصْـــمَ الأوابِـــدَ والنَّعَامـــا**[٣]

إن إحساس الشاعر بالأرق المانع للنوم، والثقل الزمني من تطاول ليله الذي يرى بأنه غير منصرم دلالة على المعاناة التي أثقلت عليه، وهول الفاجعة التي أصابته في أعز ما يملك حين فقد ابنه، ويلجأ الشاعر إلى لام القسم في( لعمرك )من أجل تسلية النفس، وتثبيتها إذ يقسم على حقيقة الزوال، وأن المنايا غالبةٌ لكل حيّ، ولن يجدي معها رُقية، أو دواء فهذه المنية ساقت ابنه إلى مصرعه، ومما خفف على الشاعر معاناته تلك النظرة التي نظرها إلى ما حوله

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٥٧).

(٢) نفسه، ج٢، ص: (٦٢).

(٣) نفسه، ج٢، ص: (٦٣).

فرأى بأن الكل ذاهب، والمصير مشترك لكل الكائنات من إنسان، وغيره. فعلَّل نفسه بأن الأيام في تتابعها كفيلةٌ أن لا تبقي كريماً إلا تخرمته ولن يسلم منها، ولو كان يملك مقومات البقاء، وضرب لذلك أمثلة بالنعام والوعول.

"فالأوابد": النعام المستوحشة، و"العصم": الوعول[١].

والمعنى هنا أن تقلبات الأيام كفيلة بالقضاء على كل حي سواءً أكان إنساناً، أو حيواناً متوحشاً، ويضرب لنفسه المثل بهذه الوحوش؛ ليُثبت لها حقيقة الفناء، وكذلك فإن الليل قد يحل مرادفاً للدّهر ومن ذلك قول صخر الغي:

**ومـــا إنْ صـــوتُ نائِحَـــةٍ بِليْـــلٍ بِسَـــلَلَ لا تنـــامُ مـــع الهُجـــودِ[٢]**

لقد جعل الشاعر الليل مثيراً لحُزنه، وشجنه، وكذلك صوت الحمامة المكلومة بفقد ابنها مما جعلها تنوح، وتبكي فراح الشاعر يشاطرها الحزن، والألم، وذلك لأن المُصاب واحد، وكل منهما قد رُزء بفقد من يحب.

ونجد التكرار لبعض صور الدّهر في شعر الهذليين حيث أكثر الشعراء الهذليون من عبارة "والدّهر لا يبقى على حدثانه" ومن ذلك قول أبي كبير الهذلي[٣] في رثاء ابنه خلاوه:

**أَخَـلاوَ إنّ الـدّهر مُهلـكُ مـن تَـرَى مـن ذي بنِـين وأُمُّهـمْ ومِـنِ أبـنمِ**
**والـدّهر لا يَبقَـى علـى حَدَثانِـهِ قُـبٌّ يَـرِدْنَ بـذي شُـجونٍ مُـبْرِمِ[٤]**

يخاطب الشاعر ابنه، ويتخيله قريباً منه، يسمعه إذ يناديه ؛ليُبين له بأن الدّهر سببٌ في

(١) شرح أشعار الهذليين للسكري،ج١، ص: (١٩٥).

(٢) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٦٧).

(٣) أبو كبير الهذلي : عامر بن الحليس وهو جاهلي وله أربع قصائد أولها كلها شيء واحد . انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (٦٧٠/٢) .

(٤) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١١١).

هلاك كل ما يراه من الأحياء، وكأنه يعزّي ابنه بأن الهلاك لم يقع عليه وحده، ويُعزّي نفسه في فقد ابنه مؤكداً حتمية الفناء، والهلاك لكل والد، ومولود، وسبب ذلك الدّهر الذي لن تسلم من أذاه الأحياء فهذه الحمير الوحشية التي تعيش في رؤوس الجبال مبتعدةً عن الأخطار يترصدها الدّهر، وسرعان ما يقضي عليها بالهلاك؛ لأنه لا يبقى على حدثانه أحدا، وغالباً ما نجد هذه العبارة يلجأ إليها الشعراء في غرض الرثاء، وخاصةً حين يكون الحديث عن مصير الحيوانات من طير، ووحوش فإننا نجد عبارة "والدّهر لا يبقى على حدثانه"؛ ليدلل الشاعر على أن الدّهر مهلك كل الاحياء.

ونجد تكرار الصورة نفسها في شعر أبي خراش الهذلي[١]إذ يقول:

**أرَى الـــدّهر لا يَبقَـــى علـــى حَدَثانِـــهِ أقُـــبٌّ تُبارِيـــه جَدائِـــدُ حُـــولُ[٢]**

فالغرض الرثاء، وساق عبارة أرى الدّهر في قصصه عن حمار الوحش؛ ليدلل على إهلاك الدّهر لكل حي؛ فالشاعر ينظر للدهر بأنه مهلك الإنسان، والحيوان على وتيرة واحدة، ويرى في دهره سلطة غاشمة تحكم على الأحياء بالهلاك، والدمار وفي الغرض نفسه نجد الشاعر يبكي خالد بن زهير في إحدى مراثيه إلى قوله:

**ومـا بعـدْ أن قـد هَـدّني الـدّهر هَـدّةً تَضـالَ لهـا جِسْـمِي ورَقَّ لهـا عَظْمِـي[٣]**

فالشاعر يسند ما حل به إلى الدّهر، وأنه هو الفاعل فالعين باكية، والنفس حزينة مكلومة، والجسم هزيل، والعظم رقيق، وكل ذلك مما أحدثه الدّهر إذ أفقده عزيزاً عليه، فآل به الحال إلى ما صوره في شعره، ووصفه بأنه هدَّة الدّهر.

---

(١) أبي خراش الهذلي : خُوِيلد بن مُرّة أحدُ بني قرد بن عمر بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل نهشته حية فمات في زمن عمر بن الخطاب ﷺ . الشعر والشعراء لابن قتيبة (٦٦٣/٢)

(٢) ديوان الهذليين ، ج٢، ص: (١١٧).

(٣) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١٥١).

ومما رادف الدّهر في معناه المنايا، والأيام ومن ذلك قوله:

أَتَتْــهُ المَنَــايا وهـــو غَــضٌّ شَــبابَهُ　　　وما لِلمَنَايا عـن حِمَـى الـنَّفسِ مِـن عَـزْمِ
وكـلّ امـرئ يومـاً إلى المـوتَ صـائِرُ　　　قَضَـاءً إذا مـا حَـانَ يُؤْخَـذُ بالكَظْـمِ
ومـا أحـدٌ حـيٌّ تأَخَّـرَ يَوْمُـهُ　　　بِأخلَـدَ مِمَّـن صَـار قبـلُ إلى الـرَّجْمِ
سـيأتِي علـى البـاقِينَ يـومٌ كمـا أَتَـى　　　علـى مـن مضَـى حـتمٌ عليـه مـن الحَـتْمِ(١)

يصور الشاعر قسوة المنية، وإنها إذا قُدرت على الإنسان فلن تُميز في مراحل عمره فهي تتخرم الشباب كما تحل بالكبير. فالمرثي غض الشباب أي: أنه صغير السن، ولكن المنية عاجلته ولن يُجدي معها إلا الصبر كما قال "وما للمنايا عن حمى النفس من عزم" ثم يبين أن لكل حي يوماً تفاجئه المنية، وإذا حان قضاؤه أُخذت نفسه، وكُظم، وخرجت روحه، ثم تعيده حالته النفسية الحزينة المثقلة بالهموم، والألم إلى التفكير في مصير الأحياء فيرى بأن من تأخر يومه من الأحياء فلا يأنس بالحياة لأنه غير مخلد، وسرعان ما يصير إلى قبره كما سار من سبقه من الموتى ويؤكد معناه في البيت الذي يليه بأن من بقي سيأتي عليهم يوماً يرتحلون فيه كما رحل غيرهم، وهذا الأمر محتوم، ولا مفر منه.

"إن الوعي بحركة الزمان المتجهة دائماً نحو مظاهر الموت بالنسبة إلى الإنسان: كالمرض، والعجز، والشيخوخة، والفناء من أهم الأسباب التي دفعت الإنسان إلى رهبته فقد أيقن أن حياته مرهونة بين نقطتين زمنيتين (ولادة ثم موت) ولا سبيل إلى إعادتهما، أو تكرارهما، أو العودة بالزمن إلى نقطة البداية الأولى"(٢).

وهذا الإحساس بالزمنية هو من أحداث الصراع في نفس الشاعر إذ يرى بأن مرور الأيام كفيلةٌ أن توصل كل حيّ إلى نهايته؛ لذلك لجأ الشاعر إلى مرادفات الدّهر الدالة على الزمن،

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١٥٣).
(٢) الدّهر في الشعر الأندلسي، لؤي علي خليل، ص: (٦٩).

وكررها في عدة مواضع من أبيات الاستشهاد، وذلك في قوله فكل أمرئ يوماً . تأخر يومه . يوماً كما أتى، وهذا التكرار يُشعرنا بمأساة الشاعر تجاه الزمن؛ لأنه يُوصله إلى المصير المُقلق، وهو الموت، وربما استخدم الشاعر دلالات أخرى توحي بالدّهر، أو بمعناه، وتقع مرادفاً له؛ لأنها تدل عليه، ومن ذلك المنايا التي يظهر من معناها الدلالة على الموت، وكذلك القضاء، والحتم فكلها ألفاظ تدل على الفناء، وحتمية المصير.

والمنايا هنا بمعنى الموت، وهي مما رادف الدّهر، وكذلك القضاء، واليوم، والحتم كلها ألفاظ تدل على فاعلية الدّهر، وحتمية الفناء، وعدم الخلود.

ومن مواضع ورود مرادفات الدّهر: كالحدثان، وهما: الليل والنهار قول أبي خراش في رثاء زهير بن العجوه:

**ولا واللهِ لا أنْسَى زُهِيراً ... ولو كَثُرَ المرازِي والفُقُودُ**[(١)]

إلى قوله واستشهاده بأن الحدثين مُذهبة لكل حي في قصه عن الحمار الوحشي:

**ولا يبْقَى على الحَدَثانِ علجٌ ... بِكُلِّ فلاةِ ظاهرةٍ يَرودُ**[(٢)]

فأورد من صفات هذا الحمار بأنه سمين مكتنز اللحم يرقا منابت العشب، وأماكن نزول الغيث، ولكن القدر لن يدعه ينعم كثيراً، إذ قُدر له صياد يمتطي فرساً سريعة يترصد بهذا الحمار من أجل أن يقتنصه فيعتمد هذا الحمار على قوته، وسرعته، ونشاطه، ومع ذلك لن يفلت من سطوة الدّهر، وأراد أن يدلل بهذه النهاية على سطوة الدّهر إذ يقول:

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١٦١).

(٢) نفسه، ج٢، ص: (١٦٢).

**فَخْـــرَّ علـــى الجَبِـــين فأدْرَكَتْـــهُ حَتُـــوفُ الـــدّهر والحِـــينُ المُـــفِيدُ**[١]

لم يستطع الحمار الوحشي مع قوته، ونشاطه من الفكاك؛ لأن فرس الصياد كانت أقوى منه، وكأنه بذلك أراد أن يصبغ صورة الصياد، والفارس بقوة الدّهر التي لا تمانعها قوة، وأن هذا الحمار الوحشي لم يكن بأفضل من مرثية زهير الذي أدركته قوة الدّهر، وكذلك فإن هذا الحمار الوحشي أدركه ما أدرك المرثي من دهره، وهو الهلاك، ولم يكن الصياد الذي أهلك الحمار إلا وسيلة تنفيذ بيد الدّهر كما كان قتل زهير صورة من تسلط الدّهر حيث قُتل، وهو مقيدٌ لا يستطيع الدفاع عن نفسه، وذلك مما أسلمه إليه الدّهر.

ومن ورود مرادفات الدّهر ذكر المنايا في سياق الرثاء، ومن ذلك قول أبي خراش حين نهشته الأفعى في رثاء نفسه:

**لعَمْـــــرُكَ والمَنَـــــايا غالبـــــاتٌ علـــى الإنْسَـــانِ تطلـــعُ كـــلَّ نَجْـــدِ**
**لقـــدْ أَهْلكَـــتِ حيَّـــةَ بَطْـــنِ أنـــفٍ علـــى الأصْـــحابِ ســـاقاً بعـــد فَقْـــدِ**[٢]

فالشاعر في هذه الحالة الصعبة من لحظات عمره يُقاوم الألم، ويعاني المشقة، ويرى الموت قريباً منه فيرثي نفسه، ويقسم بأن المنية غالبة على كل حي، وتصل إلى الإنسان مهما اتقاها ثم يذكر السبب الذي أودى به إلى الهلاك، وهي الحية، ويذكر موضعها ببطن أنف، وذلك اسم موضع من ديار قومه، وأن عشيرته ستفقد رجلاً سريع العدو، قاضياً للدين غير مطلوب بثأر. والمنايا في هذا الموضع معناها الموت، ومن مواضع ورود الدّهر في سياق الرثاء قول ساعدة بن جؤيه:

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١٦٤).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (١٧١).

ولــو سَــامَني المَــانِي مكَــانَ حيَاتِــهِ أنا عِـــيم دهْــرٍ مـــنْ عِبَــادٍ وجامِــلِ
لقُلْــتُ لِــدَهْرِي: إنّــه هــو غُــزْوَتِي وإنّي وإن أرْغَبَتْـــنِي غـــيرُ فَاعِـــلِ[١]

فالشاعر يتخيل خِطاباً مع القدر، وقد ورد في الديوان أن الماني هو القادر أراد الدّهر[٢]، ولو ساومه دهره على حياة ابنه؛ فإنه لن يرضى بشيء من نعيم دهره إلا أن يتمتع بحياة ابنه، ومهما رغّب دهره في رحيل ابنه؛ فإن ذلك لن يكون لأن عاطفة الأبوة لا ترى نعيماً مثل نعيم الابن وكيف لا يكون ذلك وهو غزوته الذي يغزو به؟ ويطلب به ما يريد من خصومه، ودهره، ويلجأ إليه وقت الحاجة، والضعف، وتبدو صورة الضعف البشري أمام قوة الدّهر، وإنه يأخذ من الإنسان ما يريد دون أن يستشيره في ذلك، أو يسترضيه.

ومن مواضع ورود الدّهر في سياق الرثاء قول أبي المُثلم يرثي صخر الغيَّ:

لــو كَــانَ للــدّهرِ مــالٌ عنــدَ مُتلــدهِ لكَــانَ للــدّهرِ صَــخْرٌ مــالَ قُنْيــانِ[٣]

فالشاعر يرى بسطوة الدّهر، وأنه مفني جميع الخلائق، ولو كان الموت شبيهاً بالإنسان في حب الاقتناء للمال؛ لكان صخرٌ خير ما يتخذه الدّهر ذُخراً، ويقتنيه لكن الدّهر مهلك مدمر ،ولذلك أهلك صخراً كما أهلك غيره، ووصف الشعراء الدّهر بأنه خلاس يذهب بالأرواح في خِفة، ومخاتلة، ولا يسلم منه حي سواءً، أكان إنساناً، أو حيواناً، واستشهدوا على ذلك بمن عَظُم قدرهم من الناس في الجاه، والنسب، وبما امتنع من الحيوانات عن خصومه في الجبال الشاهقة، والأماكن الموحشة كالظباء بأنواعها والأسود المفترسة فكلها واقعة في قبضة الدّهر ومن ذلك قول مالك بن خالد الخناعي في رثاء أبنائه، وتعزية زوجته:

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٢١٨ ـ ٢١٩).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (٢١٨ ـ ٢١٩).
(٣) نفسه، ج٢، ص: (٢٣٨).

**يا مَـــيّ إن تَفْقِـــدي قومـــاً وَلَـــدْتِهِمُ أو تُخْلَســـيهِمْ فـــإنّ الـــدّهر خَـــلاّسُ**

إلى قوله :

**والخُـــنْسُ لـــن يُعْجِـــزَ الأيـــّامَ ذو حَيَـــدٍ بِمُشْـــــمَخِرٍّ بـــــه الظِّيّـــــانُ والآسُ[١]**

ومعنى "خلاس": يخلس الشي بغته[٢]،فالشاعر يعزي نفسه، وزوجه في فقد بنيه مستشهداً على سطوة الدّهر بفعله في تغيير ما حوله فلن تسلم الوعول الممتنعة، وكذلك زهور البر من ياسمين، وغيره؛ فكلها إلى زوال ومادام الأمر كذلك فما حيلة الإنسان أمام هذه القوة الفاعلة التي لا يقاومها حي من حيوان، أو إنسان، أو نبات والأس نقط من العسل[٣] والضيان ياسمين والخنس الوعول[٤].

ومما رادف الدّهر الأيام، والليالي ومن ذلك قول مالك في الأبيات السابقة:

**يا مـــــيّ لا يُعْجِـــــزُ الأيّام مُجْـــــترِئٌ في حوْمَـــــةِ المـــــوتِ رزامٌ وفَـــــرَّاسُ**
**أحَمَـــى الصَّـــرِيمَةَ أحـــدان الرِّجـــالِ لـــه صَـــيْدُ ومُسْـــتَمِعٌ باللّيـــلِ هَجّـــاسُ[٥]**

يخاطب الشاعر زوجته خطاب عزاء، وتسلية، ويبين لها إنما حل بهما من فقد البنين مقدر على كل مخلوق، ويستشهد على ذلك بما حوله من الطبيعة فينظر إلى الأسد الذي يُضرب به المثل في القوة، والشجاعة، ويهابه من حوله من المخلوقات، ومع ذلك فإنه لن يفلت من القدر، ودهره قادر على قهره، وإيقاع الموت به مع أنه شجاع، وجرئ، وكذلك الرجل

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٢).
(٢) شرح أشعار الهذليين للسكري، ج١، ص: (٢٩٥).
(٣) نفسه، ج١، ص: (٢٩٥).
(٤) نفسه، ص: (٢٩٥).
(٥) ديوان الهذليين ج٣، ص: (٤).

المقدم في بأسه وشجاعته؛ فإن دهره قادر أن يسطو به "أحدان الرجال هو الرجل الواحد المُقدم في بأس، أو علم"[١] ومما ورد في السياق السابق قول المعطَّل[٢] في رثاء عمرو بن خويلد:

**فـأَظْلَمَ لَيْلِـي بعـدَ مـا كنـتُ مُظْهِـراً وفَاضَـــتْ دُمـــوعِي لا يُهـــبنَ بأَضْـــرعَا**
**فقُلْـتُ لهـذا المـوتِ إن كنـتَ تَارِكـي لِخَـــيرٍ فَـــدَعْ عَمْـــراً وإخوتـــهَ معَـــا[٣]**

يصور الشاعر حالته النفسية حيث أتاه الناعي في وضح النهار، وحدد وقته بالظهيرة، ومن شدة الهول والفاجعة لم يعد يميز الوقت، فأظلم عليه النهار حتى كأنه بالليل، وفاضت عيناه بالدموع، واشتد حُزنه فتخيل نفسه قادراً على مخاطبة الموت يستعطفه، ويسأله إن كنت تريد بي خيراً، فدع عمراً، وإخوته معاً، وهذا أمرٌ غير واقع؛ لأن الموت قضاء محتوم لن يتغير موعده.

وصدق الله العظيم اذ يقول:﴿إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُون﴾ [يونس:٤٩].

ومرادفات الدّهر في هذا الشاهد الشعري أجزاء الزمان في قوله: ليلي ومظهراً، وكذلك الموت فإنه مما رادف الدّهر، وقام مقامه.

ومن ذلك أيضاً قول البريق[٤]في رثاء أخيه:

**وكُنـــتُ إذ الأيّام أحْـــدَثْنَ هالِكـــاً أقُـولُ شـوىً مـا لمْ يُصِـبْنَ صَـمِيمي[٥]**

---

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٤).
(٢) المعطّل : أحدُ بني رُهم بن سعد بن هذيل . نفسه ج٣ ص٤٠.
(٣) نفسه، ج٣، ص: (٤١ . ٤٢).
(٤) البريقُ : عياض بن خويلد الخناعي . ديوان الهذليين ج٣ ص٥٤ .
(٥) نفسه، ج٣، ص: (٦٠).

فالشاعر يرى أن الأيام سبب في هلاك الناس، فكان يُصبِّر نفسه كلما هلك هالك، وذلك لأنه لم يصب منه الصميم فلما رُزئ بفقد أخيه أحس بوطأة الأيام، وقوة الفاجعة، وهول المصيبة، والأيام هنا تدخل في مدلول قول الشاعر: "الموت" لقد أحدث موت أخيه تغيراً في حياته فأصبح مقيماً عند قبره ليل نهار، ومن ذلك قوله:

**مُقِيمـــاً عنـــدَ قَـــبْرِ أبِي سِـــبَاعٍ سَـــرَاة اللّيـــلِ عنْـــدَكَ والنَّهَـــارِ**[١]

فما الليل والنهار إلا جزء من الدّهر، وما قوله هذا إلا شكاية من هول المصيبة التي حلت به حتى أصبح ملازماً، لقبر أخيه في كل جزء من أجزاء دهره سواءً من ليل، أو نهار. ومما دل على الدّهر الحدثان، وهما الليل والنهار، ومن ذلك قول قيس بن عيزارة[٢] في رثاء أخيه:

**واللهِ لا يَبْقَـــى علـــى حَدَثَانِـــهِ بَقَـــرٌ بِنـــا صِـــفَةِ الجِـــواءِ رُكُـــودُ**[٣]

فالشاعر هنا يضرب المثل بالبقر الوحشي الذي يعيش في أمن، ودعة، وخصب، ومع ذلك فإنه لن يبقى وأن تقلب الليل والنهار كفيلة بأن تهلك كل حي، وقد سبق الإشارة في هذا البحث إلى أن الشعراء دائماً ما يضربون المثل في الرثاء لأنفسهم بالوحوش الممتنعة، وسطوة الدّهر عليها، وأنه يحل بها ما يحل بالناس من الهلاك، ولذلك أردف الشاعر بعد هذا البيت أبياتاً أشار فيها إلى نهاية البقر، وذلك حيث أتاح لها القدر صائداً ذا نبل، وأعانته الكلاب الضواري وكانت نهاية البقر الذي تقلب به الدّهر وأسلمه إلى نهايته.

---

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٦١).

(٢) قيس بن العيزارة وهي أمه وبها يُعرف وهو قيس بن خويلد أخو بني صاهلة . شرح أشعار الهذليين للسكري ، ج٢ ص٧٣ .

(٣) ديوان الهذليين ، ج٣ ص٧٤.

ومن ورود الدّهر، ومرادفاته في سياق الرثاء قول جنوب[١] في رثاء أخيها ذي الكلب:

**كـلُّ امـرئٍ بطـولِ العَـيْشِ مكـذوبُ وكـلُّ مـن غالـبَ الأيّامَ مَغْلُـوبُ**
**وكـلُّ حـيٍّ وإن طالـتْ سـلامتهمْ يومـاً طـريقُهم في الشّـرِّ دُعِبـوبُ**
**بينـا الفَـتَى نَاعِـمٌ راضٍ بعيشِـتهِ سِيقَ لـه مـن دَواهِـي الـدّهر شُـؤْبوبُ[٢]**

تبين الشاعرة في هذه المرثية حالة الإنسان الذي يأمل في طول العيش، ويتمنى أن يطول عمره، ويحاول جاهداً مغالبة الأيام من أجل أن يحقق مراده، ومهما حقق من حلم، وطالت به السلامة فإن له يوماً يأتيه من أنواع الشرور المتتابعة ما ينسيه أيام السلامة، واللذة، وقد يأتي ذلك على حين غفلة من الإنسان حيث يكون راضياً بعيشه مطمئناً باله فيجد داهية من دواهي الدّهر و"الداهية": بمعنى المصيبة، و"الشؤبوب": الدفعة من المطر[٣]. بمعنى أن المصيبة تأتيه دفعة واحدة فلا يستطيع أن يقاومها حتى تسلمه للهلاك.

فالشاعرة نظرت للدهر بأنه مهلك مدمر للشيب، والشباب على حد سواء فلن يمتنع من قوته أحد، والكل عاجز أمام سطوة الدّهر وكبريائه.

"ولاشك أن تكرار لفظة (كل) يجعل القضية تستغرق الناس جميعاً، كما أن العلاقة بين طرفي الجملتين تقوم على التقابل فطول العيش، ومغالبة الأيام عديمة الجدوى، يقابلها حقيقة أن الإنسان مغلوب سائر نحو الموت"[٤].

---

(١) جنوب بنت العجلان بن عامر بن بُرد بن منّبه أخت الشاعر عمر ذو الكلب الهذلي . شاعرة مقلة اشتهرت برثائها لأخيها عمرو ذي الكلب .كتاب الأغاني لأبي فرج الاصفهاني ، (٩/٢٣) .

(٢) ديوان الهذليين ، ج٣، ص: (١٢٤).

(٣) نفسه، ج٣، ص: (١٢٤).

(٤) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، ص: (٣٣٩).

**خلاصة الرثاء في شعر الهذليين:**

وبعد تتبع الشواهد الشعرية لظاهرة الدّهر في سياق الرثاء تبرز كلمة (الدّهر) في صدارة الألفاظ الموحية "بالفاعلية والتغيير"[١] إذ وردت في ستة وعشرين شاهداً شعرياً وصف الشعراء فيها الدّهر بعدم المبالاة، والظلم وجعلوه صاحب الرَّيب، والمُفني للخلائق، والرّقيب على الأحياء، وصانع العجب، والمغير للواقع، والمدرك لكل مطلوب وطالب، وموردهم للحتف، ولا يستأذن لما يصنع، ولا يعرف قدر العظماء، ومن صفاته الاختلاس والرمي بالبلايا هكذا صور الشعراء الدّهر، وأحسوا بثقله، وأسقطوا عليه تلك الصفات، ومن كان من الشعراء جاهلي فهذه عقيدة الجاهلية، ومن كان منهم إسلامي فإنه لازال يختزل تلك الأفكار من مخلفات العصر الجاهلي، والعقيدة الإسلامية الصحيحة بينت أن الله هو المدبّر للكون.

وما أصاب الناس من مصيبة فذلك في علمه، وكتابه، والمؤمن الحقُّ يُذعن لذلك، ويُسلم قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢].

ومن الألفاظ التي ترادف الدّهر، وتؤدي معنى الفاعلية، والتغير: الأيام في صيغة الجمع والمفرد (يوم) إذ وردت في أربعة عشر موضعاً، وصف الشعراء فيها اليوم بالبلاء، والشناعة، وأن الأيام مفنيةً للكرام، والمخلوقات من طير ووحش وأن لها موعِداً مع كل حيٍّ فلن يعدو قدره، وسَتورد من يبقى منهم في حين موعده إلى الفناء والهلاك، ولن يعجزها إنسان أو حيوان أو نبات ولو كان ذا قوة، وسطوة، وجعلوها سبب الهلاك، ولها قوةٌ خارقةٌ لا يُغالبها أحدٌ إلا غُلب.

وقد يأتي المعنى مُعبراً عنه بلفظ الحدثان، وهما: الليل والنهار، ووردت في تسعة مواضع تحمل في معظمها معنى الفناء، وأنها لن تبقي مخلوقٌ إلا أوردته إلى نهايته، وتأتي لفظة ليلة وما تفرع عنها؛ لتؤدي المعنى ذاته، وقد وردت في ستة مواضع، وصف الشعراء فيها الليل بطوله،

(١) الدّهر في الشعر الأندلسي، ص: (٧٩).

وعدم انقضائه لما يجدوا من هم الفقد، وألم الفراق وجعلوه مصدراً للخوف، وترقب الشرور، والتأثر فيه بصوت النوائح، وتذكر المصائب، والعزم على الثأر للقتلى.

ومما رادف الدّهر، وعبر عن معناه (المنون) وما تفرع عنها: كالمنايا والمِنا، وقد وردت في ثمانية مواضع، ووصفها الشعراء بأنها غالبةٌ لكل حيٍّ وموجعة وتسوق إلى الحتف، ولا تفرق بين صغير، وكبير.

ومن الألفاظ التي دلت على الدّهر، وأدت معناه، وكانت أقل حضور (الموت) إذ ورد في ثلاثة مواضع، وكذلك النائبات، والحادثات، والنهار، والحين، ومسميات الوقت: كعشية، والسحر إذ ورد كلاً منها في موضع واحد، ومن ذلك يتبين أن لفظة الدّهر كانت الأكثر حضوراً في التعبير عن فاعليته، وسطوته، ثم تأتي بعد ذلك مرادفات الدّهر، التي تؤدي معناه.

## المبحث الثاني

# الدّهر في سياق الوصف

## المبحث الثاني: الدّهر في سياق الوصف

يُعد الوصف من الأغراض الشعرية التي يحتاجها الشعراء بكثرة، سواءً في قصائد قائمة بذاتها لغرض الوصف، أو كان ضمناً في سياقات متعددة: كالغزل، والرثاء، وغيرهما.

قال ابن رشيق: "إن الشعر إلا أقله راجعٌ إلى باب الوصف"(١) فالشاعر في حديثه عما حوله يصف ما يلاحظ من تقلب الليل، والنهار "وهو بابٌ واسع في الشعر الجاهلي ؛سعة مناظر الحياة، ومشاهد الوجود"(٢).

والشعراء في العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام كانوا أهل بادية ملتصقين بالطبيعة، وما فيها لذلك كثُر الوصف في شعرهم؛ فنجدهم يصفون البرق، والمطر، والراحلة، وعناء السفر، والحيوانات التي أَلِفوها، وحيوانات الصيد: كالحمار الوحشي، والمها، وقد يصف أحدهم نفسه، وما يملك كأن يصف قوته، وشجاعته، أو ضعفه، وكبر سنه، وما فعل به المشيب، أو يصف سلاحه: كالسيف، والرماح، والقسي، ويصف فتكه بخصومه، وما يخالج نفسه من الجرأة، والشجاعة، أو الخوف، والترقب "والوصف إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال، والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها، ثم بأظهرها فيه، وأولاها حتى يحكيه بشعره، ويمثله للحسن بنعته"(٣).

فإذا وصف الشاعر شيئاً كان دقيقاً في وصفه، وجعل ألفاظه حاملة للمعاني التي تنقل إلى ذهن المتلقي هذا الموصوف "والوصف من أدق الموضوعات التي لا ينهض بها إلا نافذ البصيرة، صافي الذهن، دقيق الإحساس، وقد برزت فيه العرب"(٤). والوصف في ديوان الهذليين ظاهرةٌ بارزة وغرضٌ شعري نال حظه، لكثرة ما طرقه الشعراء، وأمعنوا فيه، من خلال وصفهم مظاهر

---

(١) العمدة، ج٢، ص: (٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(٢) الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، ص: (٣٣١).

(٣) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص: (١٣٠).

(٤) تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، مصطفى السيوفي، ص: (١٠٣).

الطبيعة ، والبرق، والمطر، والحيوانات، والسباع يقول عن ذلك الدكتور أحمد كمال زكي: "وجه الهذليون أنظارهم إلى البادية، ووصفوا ما فيها من وحش، فتكلموا عن الذئاب، والضباع، والحمر، والبقر، والنسور، والعقبان، وتكلموا عن أشكالها، وطباعها، ووقفوا على سلوكها في الفجر وخلال النهار وإذا الليل أقبل"(١).

كيف لا يكون ذلك، والشاعر الهذلي ابن بيئة صحراوية يشاطر المخلوقات من حوله شدة الحياة، وشظف العيش، ويصف ما يقع عليه بصره من الكائنات التي تعيش حوله، وللشاعر الهذلي وقفةٌ مع ظاهرة الدّهر، ومرادفاته من ليلٍ ونهار، وما تفرع عنها، وقد تحدث الشعراء عن الدّهر وفتكه بالمخلوقات في سياق الوصف "لقد تخصص هؤلاء في التحدث عن بؤس الحيوان، وتربص الدّهر به"(٢) ولم يكن ذلك مقصوراً على الشعراء الجاهليين منهم، بل نجد ذلك عند غيرهم من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الإسلام كأبي ذؤيب الهذلي، أو الشعراء الإسلاميين كأمية بن أبي عائذ الذي وصف ناقته في قصيدة طويلة، وعرض فيها لوصف الليل، وظلمته، وأصوات الجن والسعالي.

**الدّهر ومرادفاته في سياق الوصف**

قال أبو ذؤيب الهذلي:

**أمِنْــكِ بَــرْقٌ أَبِيــتُ اللَّيْــلَ أَرْقُبُــهُ  كأَنّــه في عِــراضِ الشّــامِ مِصْــباحُ**(٣)

يصف الشاعر برقاً لامعاً يرقبه ليلاً، وهذا البرق في وقت لمعانه يضيء، وكأنه مصباح.

لقد وصف أبو ذؤيب المطر، وصور نزوله، وترقب البرق إذ يقول:

---

(١) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص: (٢١٤).

(٢) نفسه، ص: (٢٢٣).

(٣) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٤٧).

**أرِقْـــتُ لـــه ذاتَ العِشـــاءِ كأنّـــه مَخـــاريقُ يُـــدعَى وَسْـــطهنَّ خَـــريجُ**[١]

فذات العشاء أراد الساعة التي فيها العشاء، وشبه البرق بالمخاريق "والمخاريق لعبة يلعب بها الصبيان"[٢].

ومن مرادفات الدّهر المنية كما سبق الإشارة إلى ذلك في بداية البحث، ومن ذلك قول أبو ذؤيب في سياق الوصف:

**فـــأَعْلَقَ أَسْـــبَاَب المنِيَّـــةِ وارْتَضَـــي ثُقُوفَتَـــــه إنْ لم يَخُنْـــــه أنقضـــــابُها**[٣]

يصف الشاعر المشتار للعسل، وقوة إصراره حيث علَّق الحبال، ثم تدلى بها إلى ذلك النحل الذي يعيش في قمم الجبال، ورغم المغامرة المحفوفة بالمخاطر فلم يبقِ للمشتار أملٌ في النجاة من الهلاك إلا تلك الحبال التي تدلى بها للوصول إلى مراده، وقد تكون عرضة للقطع فيهلك لذلك صور الشاعر هذه الحبال بأسباب المنية. "لقد عايش أبو ذؤيب الطبيعة، ووصف ما فيها من مخلوقات، وكان شاعراً محباً للحياة متأثراً بها ومؤثراً فيها"[٤]

ومن مرادفات الدّهر في شعره ذكره للموت في سياق الوصف، ومن ذلك وصفه للإبل التي أصابها الجرب، وتشبيه قروحه وانسلاخ الجلد بخروج السيف من غمده حيث جمع بين الصورتين، وجعلها صورة مخيفة تصرح بالموت.

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٥٣).

(٢) نفسه، ج١، ص: (٥٣).

(٣) نفسه، ج١، ص: (٧٨).

(٤) جدلية الفناء والخلود في عينية أبو ذؤيب، سمير الديوب، مجلة جامعة دمشق، المجلد السابع والعشرون، العدد الثالث والرابع، ص: (٨٨).

يقول في ذلك:

**ثم إذا فـــارَقَ الأغْمـــادَ حُشْـــوَتُها وَصَـــرَّحَ المـــوتُ إنّ المـــوتَ تَصْـــرِيحُ**
**وصَـــرَّحَ المـــوتُ عـــن غُلْـــبٍ كـــأنّهُمُ جُـــربٌ يـــدافِعُها الســـاقي مَنـــازِيحُ[١]**

حيث جعل الشاعر هذا المرض منطلقاً للصورة الفنية، وذلك حين جعل السيف يخرج من النصال، ويخيف الأعداء، وكذلك الإبل التي أصابها الجرب فإنها تخيف الساقي على قطيعه فيدافعها ويتقي شرّها.

وفي سياق الوصف ترد مرادفات الدّهر: كالأيام، والليل والضحى، ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي في وصفه حمار الوحش:

**تاللهِ يَبْقَـــى علـــى الأيّامِ مُبْتَقِـــلٌ جَـــوْنُ السَّـــراةِ رَباعٌ سِـــنُّه غَـــرِدُ**
**يَقْضِـــي لُبانَتَـــه باللَّيـــل ثمَ إذا أَضْـــحَى تَـــيَمَّمَ حَزْمـــاً حَوْلَـــه جَـــرَدُ[٢]**

"تالله أراد والله لا يبقى على الأيام مبتقل أي: حمار يأكل البقل"[٣] يصور الشاعر حالة الحمار الوحشي، ويقسم بأن الأيام كفيلة بأن تقضي عليه، ويصف هذا الحمار بأنه أسود الظهر رباع في سنه، ومراد الشاعر بالأيام الأحداث التي يتعرض لها الأحياء فتسلمهم للهلاك وأن هذا الحمار يقضي حاجته بالليل، ثم يأتي الماء فيشرب، ثم إذا أضحى تيمم مكاناً غليظاً مرتفعاً ليس به نبات فصورة الحمار بهذه الصفة تدل على أنه خائف مترقب للشرور "ويرى في الظلام الفرصة السانحة، له ليحصل على ما يريد من ماء وغذاء فإذا أقبل الصبح بنوره ذهب؛ ليحتمي ببعض الشجر، أو بين الصخور"[٤]، والشاعر إذ يقسم بأن الأيام لن تبقي هذا الحمار الذي يأكل البقل، أو غيره كالبقر الوحشي لكثرة الأخطار المحدقة بهم، فالصائد يتربص بهم

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٠٩).
(٢) نفسه، ج١، ص: (١٢٤).
(٣) شرح أشعار الهذليين للسكري، ج١، ص: (٤٧).
(٤) أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره تأليف نوره الشملان، ص: (٧٣).

وكذلك الكلاب، وبقية الحيوانات المفترسة التي ربما كان هذا الحمار ضحية لها.

وهذا الشاهد الشعري "يبين رؤية الشاعر العربي القديم عامة، والهذلي خاصةً نحو الزمن والقدر، ماهيته وفاعليته، وبطش أظفاره التي ينشبها بين الفينة، والأخرى في جسد الكائن البشري، ومظاهر الطبيعة محولاً الجمال، والاستقرار إلى اضطراب وقلق"(١).

وبعد أن وصف الشاعر حال الحمار الوحشي، وما آل إليه أمام الزمن، وحدد مصيره بالفناء أتبعه بما هو من جنسه، وأكل للبقل مثله إذ يصفُ الثور الوحشي مستخدماً لما يدل على الدّهر من أجزاء الوقت كالمساء والصباح إذ يقول:

**ولا شَـــبُوبٌ مـــن الثـــيرانِ أفْـــرَدهُ عـــن كَـــوْرِهِ كَثْـــرَةُ الإغْـــرَاء والطَّـــرَدُ(٢)**

إلى قوله:

**أَمْسَـــى وأَمْسَـــيْنَ لا يَخْشَـــيْنَ بائِجـــةً إلا الضَّـــوارِىَ في أَعْنَاقِهَـــا القِـــدَدُ(٣)**

"عطف الشاعر حياة الثور على المصير الحتمي في بداية القصيدة"(٤)؛ ليدلل على حتمية الفناء، ثم يصف حال الثور يأنس مع قطيعه، ولا يخشين بائجة إلا الكلاب الضواري، والشاعر حريصٌ على إثبات فكرته التي بدأ بها النص من تقرير المصير، وحتمية الفناء، والزوال لذلك لن يدع الوقت يطول بهذا القطيع في المتعة والأنس.

فالصائد ينتظر تلك اللحظة؛ ليطلق عليه سهمه فيُرديه قتيلاً. وتكرار الألفاظ الموحية بالزمن وأجزائه :كالمساء، والصباح، والغد دلالةٌ على إحساس الشاعر بالقلق من الدّهر، وتقلبه وموحية بالصراع الذي يعيشه الإنسان في مواجهة الحياة.

---

(١) التأمل الفكري عند الهذليين ، أبو ذؤيب الهذلي نموذجاً، د/ إبراهيم الدهون، ص: (٤).
(٢) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٢٦).
(٣) نفسه، ج١، ص: (١٢٧).
(٤) التأمل الفكري عند الهذليين ، أبو ذؤيب الهذلي نموذجاً ، ص: (١٠).

"فالثور والحمار الوحشيان رمزان لصورة الإنسان في عراكه، وصراعه المريرين للحياة، وكذلك الحال بالنسبة للصائد، وكلابه ما هي إلا رموز، وإشارات للزمن وما يحتويه من ضراوة وقساوة على نفسية الشاعر العربي القديم"(١).

ومن مواضع ورود الدّهر في سياق الوصف قول ساعدة بن جؤية:

**فالـــدّهرُ لا يَبْقَـــى علـــى حَدَثانِـــه أَنَـــسٌ لَفيـــفٌ ذو طَوائِـــفَ حَوْشَـــبُ**(٢)

فالشاعر يصف الخيل في ساعة الغارة، ويفتتح هذا الوصف بالحديث عن سطوة الدّهر وأن الدّهر قادرٌ على إهلاك الجماعات الكثيرة مهما كانت ملتفة ومتقاربة، ولن تستطيع هذه الجماعة الصمود أمام سطوة الدّهر، أو تمنع قُدرته على التفريق فأحداثه مفضيةٌ بكل حيٍ إلى الهلاك، وسيطرة الرؤية الزمنية على الشاعر جعلته يؤمن بعدم الخلود. وفي السياق ذاته نجد الشاعر يورد مرادفاً للدهر، وهو اليوم حيث يسوق القدر جماعةً من القوة والمنعة والعز بمكان ولكن سطوة الدّهر جعلتهم يتعرضون للغزو من جماعة أقوى منهم منعةً وبأساً إذ يقول:

**بَيْنـــاهُمُ يومـــاً كـــذلك راعَهُـــمْ ضَـــبْرٌ لِباسُـــهم الحَديـــدُ مُؤلَّـــبُ**(٣)

فالدّهر أوقع الجماعة التي كان يصفها الشاعر بالقوة في منازلة جماعةً أقوى منهم لباسهم الدروع، وفي السياق ذاته يصف الشاعر الوعل، ويجعله رمزاً للصمود أمام الموت، ولكن سطوة الدّهر، وجبروته لن يفلت منها حيٌ يقول في ذلك:

**تاللهِ يَبْقَـــى علـــى الأيّامِ ذو حِيَـــدٍ أدْفَى صَـــلودٌ مـــن الأوعـــال ذو خَـــدَمِ**(٤)

يُقسم الشاعر بأن الأيام لن تُبقي هذا الوعل، والشاعر متأثر بعنصر الزمن، ومسيطر على

---

(١) التأمل الفكري عند الهذليين ، أبو ذؤيب الهذلي نموذجاً ، ص: (١٢).
(٢) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٨٣).
(٣) نفسه، ج١، ص: (١٨٥).
(٤) نفسه، ج١، ص: (١٩٣).

فكره حيث يرى بأنه سبب الهلاك "وبما أن الشاعر فنان يستطيع أن يجسد رؤيته الداخلية وشعوره الدفين على ما أمامه من موجودات، ومظاهر فقد أدّاه هذا التأمل إلى ملاحظة مظاهر الخلود، والاستمرار، والتتابع ومن ثمَّ وجد فيها الزمن، وخلوده، ومدى قصر حياته هو بالنسبة إلى ذلك الزمن أو الخلود"(١).

ويستمر الشاعر في وصفه لهذا الوعل الذي يعيش في قِمم الجبال ممتنعاً عن خصومه، ومع ذلك فإن القدر يسلمه إلى الصياد فيقضي عليه، وينهي حياته.

ومن مرادفات الدّهر في السياق ذاته استخدام ألفاظ توحي بجزء من الزمن، ومن ذلك ذات العشاء والنهار إذ يقول:

**فظَـــلَّ يَرْقُبُـــه حَـــتّى إذا دَمَسَـــتْ ذاتُ العِشـــاءِ بأَسْـــدافٍ مِـــن الغَسَـــم**
**ثمّ يَنُـــوشُ إذا آدَ النَّهـــارُ لـــه بَعْـــدَ الترَّقُّـــبِ مِـــن نِـــيمٍ ومِـــن كَـــتَم(٢)**

فالصياد ترقب هذا الوعل في ساعات الزمن من الليل حتى النهار، ثم أرداه قتيلاً، وهذه النهاية المؤلمة تشكل رمزاً لصعوبة الحياة، وأن القدر قاهرٌ لكل حيّ، وتُبين سطوة الدّهر، وأثر ذلك على نفسية الشاعر التي آمنت بسطوة الدّهر، وإن مقارعته تُفضي إلى الإنهزام. وفي السياق ذاته يصف الشاعر البقر الوحشي الذي تبعه الصياد في نهار صيف شديد الحرارة إذ يقول:

**ظَلَّـــتْ صَـــوافِنَ بالأَرْزان صـــادِيةً في مـــاحِقٍ مـــن نَهَـــار الصَّـــيْف مُحْتَـــدِمِ(٣)**

فالشاعر يصور حالة البقر، والأخطار التي أحدقت به حيث أجهدها التعب، والعطش،

---

(١) الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي تأليف: الدكتور صلاح عبدالحافظ، دار المعارف، القاهرة، ص: (٦).

(٢) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٩٦).

(٣) نفسه، ج١، ص: (١٩٧).

وزاد ذلك شدة الحر في النهار لاسيما وأنه في وقت الصيف، وأنها مطاردة من الصيادين حتى وصلت إلى أرضٍ لا ماء فيها ولا كلأ لقد ألهمت الصحراء، وما يعيش فيها من الكائنات كالوعل، والحمار، والبقر الوحشي الشاعر أن يصور الصراع بين هذه الكائنات، وسطوة الدّهر، ومرادفاته، وجعلها تنكسر تحت وطأة الزمن، وتبدو عليها علامات الضعف والذلة التي تسلمها إلى المصير المحتوم، وهو عدم البقاء في مقارعة الزمن وأجزائه "والصوافن هن القائمات على ثلاث قوائم ثانيات سنبك اليد الرابعة. وما أظن أحداً يعنى بهذه الصورة إلا إذا كان متلفتاً لها شاعراً بجمالها وحيويتها فهو لم يكتف بأن قال إنها ظلت واقفة في ماحق الصيف، وإنما قال أنها كانت صافنة. وفي وقفتها تلك ذلة، ووداعة، وفيها مسكنة الحيوان حين يريد أن يهدأ"[(١)]، ثم يلوح لها الأمل في الحياة، وذلك حين يصف الشاعر البرق، وقرب قدوم المطر، واستبشارها بالحياة عندما طربت لذلك البرق إذ يقول:

**حتّى شآها كَلِيلٌ مَوْهِناً عَمَلٌ  باتت طِراباً وبات اللَّيلَ لَم يَنَمِ**[(٢)]

فالليل جزء من الدّهر، وحمل معه بارقة أمل في الحياة حيث أضاء فيه البرق، وأطرب قطيع البقر التي تنتظر، المطر وقدومه؛ لتروي عطشها، ولكن هذا الأمل سرعان ما يتبخر تحت سطوة الدّهر، وقوة القدر فينجلي الليل، ويدركها الصياد فيوقع بها واحدةً تلو الأخرى.

إذ يقول:

**حتى إذا ما تَجَلَّى لَيْلَها فَزِعتْ  مِن فارس وَحَلِيفِ الغَرْبِ مُلْتَئِمِ**

إلى قوله:

**فكان حَتْفاً بِمقدارٍ وأدْرَكَها  طُولُ النَّهار ولَيلٌ غيرُ مُنْصَرِمِ**[(٣)]

---

(١) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي أحمد كمال زكي، ص: (٢٢٢).

(٢) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٩٨).

(٣) نفسه، ج١، ص: (١٩٩ . ٢٠٠).

إن تقلب الدّهر من ليل، ونهار، وصراع هذه الكائنات له بين أملٍ وألم كفيلٌ بأن يسلمها في نهاية المطاف إلى حتمية الفناء، وإن الصراع مع الدّهر لن يصمد أمامه مخلوق فالدّهر يُثبت غلبته، وتسلطه على كل حي مهما بذل من جهد لأجل البقاء.

"وتظهر المأساة الإنسانية لديهم في نزعة الحيوان إلى البقاء، وهذا ما تنفرد به فنيّة قصائدهم من قصائد الجاهليين، فهم يبعثون في نفس الحيوان أملاً بالنجاة حين يفرّ من الدّهر إلى حين، ولكنهم يدهمونه به لأنه ما كان له أن ينتصر عليه"(١).

وساعدة بن جؤية شاعرٌ تسيطر عليه فكرة سطوة الدّهر، وحتمية الفناء، لذلك يكرر هذه الفكرة في شعره، ومن ذلك وصفه للغارة إذ يفتتحها بسطوة الدّهر، وأنه مهلك لكل حي إذ يقول:

**هـل اقْتَـنَى حَـدَثانُ الـدّهر مـن أنَـسٍ كـــانوا بمَعْـــيَطَ لا وَخْـــشٍ ولا قَـــزَم(٢)**

فالشاعر يبين أن سطوة الدّهر لن تبقي أحداً، ولو تبقى أحداً لأبقت هؤلاء الشجعان الذين برأهم الشاعر من النذالة، وأفعال اللئام، وهم يملكون السلاح، والكتائب ومع ذلك فالدّهر لهم بالمرصاد ولا سبيل للفكاك منه "إن مشكلة الزمان لدى الشاعر العربي كانت قائمة تشكل هاجسه المحوري، ومازالت قائمة وستظل"(٣).

وذلك لأن الزمن هو عُمر الشاعر الحقيقي، ولا يتوقف في دورانه حتى ينتهي بكل حيٍّ إلى الزوال "وطف في أرجاء هذا الشعر، وانظر حيث تشاء نجد الدّهر، أو الزمان واقفاً يترصد هؤلاء الشعراء واحداً واحداً يخادعهم، ويمكر بهم، وينغص عليهم صفو العيش"(٤) ومن مرادفات الدّهر: الليل ووردت في سياق الوصف عند وصفه للضبع، واعتبارها مصدر كامن

---

(١) الحيوان في الشعر الجاهلي، حسين جمعة، ص: (٨٧).

(٢) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٢٠٠).

(٣) انظر مجلة العلوم الإنسانية، مفهوم الزمن في الفكر والأدب، أ/ رابح الأطرش، ص: (٦) .

(٤) شعرنا القديم والنقد الحديث، وهب أحمد روميه، ص: (١٩٣).

للشرور فهي تبيت الليل تبحث عن الأحياء، والموتى على حد سواء إذ يقول:

**تَبيـــتُ اللَّيـــلَ لا يَخْفَـــى عليهـــا حِمـــارٌ حيـــث جُـــرَّولا قَتِيـــلُ**[١]

يصف الشاعر هذا الحيوان (الضبع) بأنه يبحث عن الجيف والقتلى؛ فيفتك بهم، ويشوههم، ويمزق أشلاءهم "إن فكرة الموت هي الفكرة التي يتمحور حولها زمان الشعر العربي إذ تشير إلى زوال كل ما هو قائم من العالم"[٢] وفي سياق الوصف يقول ساعدة:

**أرَى الـــدّهر لا يَبْقَـــي علـــى حَدَثانِـــهِ أبُـــودٌ بأطـــرافِ المَناعـــةِ جَلْعَـــدُ**[٣]

فالشاعر يصف وعلاً، متوحشاً، غليظاً، يمتنع من خصومه في جبل شاهق، ولكن الدّهر وحدثانه كفيلة بأن لا يبقي على تقلبها حي، وهذا الوعل قد تقلبت به الأيام، وأصابته مصائبها حتى أصبح يفزع من صوتٍ سَمِعه، أو شبحٍ يُخيفه، ويحاول مقارعة الأيام، والصمود من أجل البقاء ولكن ذلك يستحيل لأن الشاعر آمن بقسوة الدّهر وتسلطه فصور ذلك الوعل بالخوف من الموت في قوله:

**تَحُـــولُ قُشَـــعْرِيراتهُ دونِ لونـــهِ فَرائصُـــه مِـــن خِيفـــة المـــوت تُرعَـــدُ**[٤]

وكل هذا الحذر والخوف لم يشفع له، وهروبه من الصياد لم يحقق له البقاء؛ لأنه لا هروب من القدر حيث أرداهُ الصياد قتيلاً.

ليؤكد الشاعر فكرته بأن الدّهر لا يبقي على حدثانه، ومما رادف الدّهر ما دل على الوقت تصريحاً، ومن ذلك قول المتنخل يصف مورداً للماء لا تصل إليه إلا الوحوش الضارية، والهوام كالحيات وغيرها إذ يقول:

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٢١٦).
(٢) الزمان والمكان، ص: (٧٠).
(٣) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٢٤٠).
(٤) نفسه، ج١، ص: (٢٤١).

**كـــأنّ مَزاحِـــفَ الحيّـــاتِ فيـــه قُبَيْـــلَ الصُّـــبحِ أثارُ السِّـــياطِ**[١]

ومن ورود الدّهر في سياق الوصف قول أبي كبير الهذلي: يصف ما آل إليه حاله من الوهن، والضعف، وفقده شبابه، وقوته، وذلك في خطابه لابنته زهيرة إذ يقول:

**فَقَـــدَ الشَّـــبابَ أبـــوكِ إلا ذِكْـــرَه فَأعْجـبْ لـذلك فِعْـلَ دّهْـرٍ واهكَـرِ**[٢]

فالشاعر أحس بضعفه، وتقدم سِنه، وفقده قوته، وملذات شبابه فلم تبق لديه متعة إلا في الذكرى، ثم أسند هذا الحال إلى الدّهر، وأنه سبب ذلك الضعف، والوهن، وهو صاحب الفاعلية في تغير الحال مما يدعو إلى التعجب "قال أبو سعيد: الهكر: أشد العجب"[٣].

ومن ورود الدّهر في سياق الوصف قول أبي خراش الهذلي يصف مرقبة بعث فيها بصاحب له يستشرف الأعداء إذ يقول:

**بِصَـــاحِبٍ لا تُنـــالُ الـــدّهر غِرَّتـــهُ إذا أفتَلَـــى الهَـــدَفَ القِـــنَّ الْمَعازيـــبُ**
**بَعثتُـــه بِســـواد الليـــلِ يَـــرْقُبُنِي إذ آثـــر النـــومَ والـــدّفءَ الْمَناجِيـــبُ**[٤]

فهذا الصاحب لم ينل منه الدّهر، أو يوهنه بل هو قوي في نفسه عزيز أبي لا يرضى بحياة الضُعفاء، وإنما أراد أن يكون ذا شأن يتحمل المشاق، ويصل إلى هذه المرقبة المخيفة في ظلمة الليل وسواده حيث يتلذذ الناس بالراحة والنوم، فيترصد أعداءه، ويصل إلى الهدف المنشود الذي يصبو إليه، وجعل الشاعر من نفسه وصاحبه قوةً تقاوم قسوة الدّهر، وظلمة الليل فلم يستطع الدّهر أن يوهن لهما عزماً.

ومن مرادفات الدّهر: الحدثان ووردت في سياق الوصف في قول أسامة بن الحارث:

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٢٥).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (١٠١).
(٣) نفسه، ج٢، ص: (١٠١).
(٤) نفسه، ج٢، ص: (١٦٠).

**فـــو اللهِ لا يَبقَـــى علـــى حَدَثانِـــهِ طريـــدٌ بِأوطَـــانِ العَلايِـــةَ فَـــارِدُ**[١]

فالشاعر يصف حالة الحمار الوحشي، وقد طردته الخيل عن أُتُنه ظلماً، وعدواناً، ويوحي في ذلك أن تقلب الحدثان كفيلة بأن لا تبقي الطارد، ولا المطرود.

ومن مرادفات الدّهر الأيام، ووردت في سياق الوصف في قول ساعدة بن جؤية:

**فَبَيْنَـــا هـــمُ عنـــد المَسَـــدّ شـــآهمُ بأيّامِ نارٍ ضـــوءُها غـــيرُ غافِـــلُ**[٢]

يصف الشاعر المعركة، ويفخر بأيام الحرب، وبالقوم الشجعان، وقد لصق الموت بحمائل السيوف ويظهر ذلك في قوله:

**فقـــالوا بشـــيراً أو نـــذير فســـلّموا والْكَـــدَ آياتِ المَـــنَى بالحَمائـــل**[٣]

ومن مواضع ورود الدّهر في سياق الوصف قول بدر بن عامر[٤]:

**وزعمـــتَ أنّي غـــيرُ بالـــغ غايـــةِ الـــذُّ جَبـــاءِ إنّ الـــدّهر ذو تَلْـــوِينِ**[٥]

فالشاعر يصف دهره بتغيره من حال إلى حال، والتلون وعدم الثبات حيث يتقلب بأهله، وتلك عادة الدّهر فإنه متقلب بأهله بين رخاءٍ، وشدّة، وفرح، وحزن، وعُسرٍ، ويسر، والتلوين عدم الثبات على حال واحدة.

ومما رادف الدّهر، وقام بمعناه أجزاء الوقت: ومن ورودها في سياق الوصف قول أمية بن

---

(١) ديوان الهذليين ، ج٢، ص: (٢٠٢).

(٢) نفسه، ص: (٢٢٠).

(٣) نفسه، ج٢، ص: (٢٢٠).

(٤) بدر بن عامر : من بني خُناعة بن سعد بن هذيل سكن مصر هو وأبو العيال . شرح أشعار الهذليين ، للسكري (٢٧٣/٢ )

(٥) ديوان الهذليين ج٢ ص (٢٦٤)

الكد: ألصق، والمنى: القدر والمنية. ديوان الهذليين ، ج٢، ص: (٢٢٠) .

أبي عائذ يصف حمار الوحش في ترقبه لزوال الشمس، وعزمه على المسير بأُتنه إلى مورد الماء.

**مُشـــيفاً يراقِـــب شمـــسَ النَّهـــار ... حـــتى تقلّـــع فَيءُ الظِّـــلالِ**[1]

يراقب الحمار ما حوله، ويخشى الأخطار، ويشعر بمسئوليته تجاه أُتنه، وينتظر زوال الشمس، وحلول الليل بظلامه؛ ليكون ملاذاً آمناً له فيأذن لأُتنه أن تسير إلى موضع الماء مستترة بظلمة الليل وبعد أن ارتوت قادها الفحل، ولم يكن في حسبانه أن القدر ينتظر قطيعه، والصائد لهم بالمرصاد:

**فعَيَّـــــثَ ســـــاعةَ أفْقَرْنـــــه ... بالإيقـــافِ والرَّمْـــيِ أو باسْـــتلالِ**[2]

تمكن الصياد من القطيع يرمي بسهمه، ويُصيبها واحدةً تلو الأخرى، وحاول الحمار أن يُنجي قطيعه، ولكن دون جدوى فحرص على نجاة نفسه بعدوٍ سريع إذ وصفه الشاعر بأنه بات ليلته يقطع المسافات الطويلة طلباً للنجاة بقوله:

**وقَطَّـــــع ألـــــواذَ داوِيـــــةٍ ... صـــحارِيُ غـــلّانِ طَلْـــحٍ وضَـــال**
**وليـــــلٍ كـــــأنّ أفانينـــــه ... صَراصِـــرُ جُلُلّـــن دُهْـــمَ المظَـــالي**
**وأضْـــحَى شَـــفيقاً بقَـــرْن الفَـــلا ... ةِ جَـــذْلانَ يأمـــنُ أهـــلَ النِّبـــالِ**[3]

نجا الحمار من سهام الصياد بسرعة العدو في ليلة مظلمة كأنها إبلٌ دهم، وأضحى فرحاً بالنجاة من سهام الصياد، ولكنه فاقد لإناثه.

إن إحساس الشاعر بالزمنية، وأثرها الفاعل في التغيير قادت الشاعر إلى استخدام مرادفات الدّهر من أجزاء: الوقت كالنهار، والليل، والساعة، والضُحى.

---

(١) ديوان الهذليين ، ج٢، ص: (١٧٨).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (١٨٦).
(٣) نفسه، ج٢، ص: (١٨٨).

وقد صاحب هذه الأجزاء من الوقت خوفٌ وترقب، ثم الإحساس بشيءٍ من الأمن والطمأنينة قادت الحُمر إلى مورد الماء، وسرعان ما يُفاجئها القدر؛ لتقع ضحية له فينجو الحمار، وتهلك إناثه، وكانت نجاته سبباً في إحساسه بالراحة، والاطمئنان رغم فقده لإناثه، وهذه اللوحة الفنية التي رسمها الشاعر توحي بشيءٍ من الرمزية فالصائد الزمن، والحمار، وأُتنه صورة تنطبق على غيره من الكائنات الحية التي تتعرض للقضاء، والقدر فمن هلك منها فذلك قدره، ومن نجا فإن فرحته بالنجاة قد تُنسيه حزنه على الهالكين.

ومن ذلك استخدام مرادفات الدّهر: كالأيام إذ يقول مالك بن خالد الخناعي[١] في وصف الوعل:

**والخُـنْسُ لـن يُعجِـزَ الأيّامَ ذو حَيَـدٍ بِمُشْـمَخِرٍّ بـه الظَّيّـان والآسُ[٢]**

فهذه الوعول رغم أنها تقيم في قمم الجبال، وتمتنع من خصومها لن يشفع لها ذلك فالدّهر المتمثل في الأيام لن يعجز عن قهرها، وغلبتها حتى يحقق مراده فيها، وهو الفناء؛ ليثبت الشاعر فاعلية الدّهر، ويُسري عن نفسه الهم والحزن بأن كل حيٍّ مهما امتنع فإنه مقهور بقوة القضاء والقدر وواقع عليه ما يقع على الإنسان من الفناء.

ثم يردف ذلك بوصف الأسد، وأنه لا يختلف في مآله عن الوعل إذ يقول:

**يا مـيّ لا يُعجِـزُ الأيّامَ مُجـتَرِئٌ في حَوْمـة المـوتِ رَزّامٌ وفَـرّاسُ**
**أحَمـى الصَّـريمةَ أَحْـدان الرّجـالِ لـه صَـيْدٌ ومسـتمِعٌ باللَّيـل هَجّـاسُ[٣]**

والأسد رمز للقوة، ومع ذلك فلن يستطيع مقارعة الأيام، وسرعان ما يصل إلى نهايته تحت وطأة الأيام، ولن ينتفع بقوته، وذكائه، أو جُرأته، وإقدامه لأن الدّهر فاعل به ما يفعل

---

(١) مالك بن خالد الخناعي : من بني خناعة بن سعد بن هذيل . شرح اشعار الهذليين ، للسكري ،(٢٩٥/١) .

(٢) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٢).

(٣) نفسه، ج٣، ص: (٤).

بغيره من الأحياء.

ومن مواضع ورود الدّهر في سياق الوصف قول أبي قلابة:

**ما أنْ رأيتُ وصَرْفُ الدّهر ذو عَجَبٍ كاليومِ هزّةَ أَجْمالٍ وأضْعانِ[١]**

"والهزة: الحركة الشديدة في السير"[٢] يصف الشاعر مسير القوم مرتحلين عن ديارهم إثر وقعةٍ بينهم، وبين بني عُمومتهم فأخلوا ضعائنهم، والشاعر يفارق موطنه، وينظر إلى الضعائن مرتحلة، ويُسند فاعلية هذا الأمر إلى الدّهر بالعجب، فالأمر مُستغرب لدى الشاعر أن يفارق موطنه، ومسقط رأسه، ويرتحل عنه بالإكراه مبيناً أنه لم ير من صروف دهره أعجب من هذا اليوم الذي ارتحلت فيه الضعائن تحمل متاع قوماً فارقوا ديارهم، وتركوا مواضع سُكناهم، ومهد صباهم "فالشاعر يبكي لتلك المواضع التي تركوها مقهوراً"[٣]. وذلك مما تحدثه صروف الدّهر، وتحولاته وشأنه أن يتقلب بأهله ويدعو إلى العجب والغرابة.

ومما رداف الدّهر: الحدثان، واليوم، ومن ذلك قول قيس بن عيزارة في سياق الوصف:

**واللهِ لا يَبْقَى على حَدَثانِهِ بَقَرٌ بناصِفَةِ الجِواءِ رُكودُ**

**إلى قوله:**

**يوماً كأنّ مَشاوِذاً رَبَعيّة أو رَيْطَ كَتّانٍ لهنّ جُلودُ**

**يوماً أردَ لها المَليكُ نَفادَها ونفادَها بعدَ السَّلامِ يُريدُ[٤]**

فالشاعر يصف البقر الوحشي، ويقسم بأن الحدثان من ليل، ونهار، كفيلة بأن لا تبقي هذا البقر الذي يعيش في أمن، وخصب، وأرض منبسطة، ثم يصف. هذا القطيع باللون الحسن

---

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٣٧).

(٢) شرح أشعار الهذليين، ج٢، ص: (١٦٤).

(٣) شعر الهذليين في العصر الجاهلي والإسلامي، ص:(١٥٧).

(٤) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٧٤ . ٧٥).

فهي بيض في ألوانها البركة تشبه الكتان في جلودها، ولكن لها يوماً تصل فيه إلى النهاية لأنها محكومة بقوة الدّهر فإذا أراد لها الله نفادها، وذهابها ذهبت كغيرها من الأحياء، وتتضح الصورة في إيمان الشاعر بسطوة الدّهر من قوله:

واللهِ لا يَبْقَى على حَدَثانِهِ كما وردت في الديوان، وفي شرح أشعار الهذليين للسكري وردت والدّهر لا يبقى على حدثانه(١).

ومما رادف الدّهر اليوم ومن ورود ذلك في سياق الوصف قول عمرو ذو الكلب(٢) يصف مرقبةً يقيم بها ليحمي أصحابه، ويكون عيناً ناظرةً لهم إذ يقول:

**ومَرْقَبَـــةٍ يَحَـــارُ الطَّـــرْفُ فيهـــا إلى شَمّـــــاءَ مُشْـــــرِفةِ القّـــــذالِ**

**أَقَمـــتُ بِرَيْـــدِها يومـــاً طـــويلا ولم أُشْـــرِفْ بـــها مثـــلَ الخَيـــالِ(٣)**

فالشاعر يصف مرقبة مرتفعة مخيفة يبقى فيها يوماً طويلاً ينتظر الفرصة؛ لينقض على خصومه، أو ينبه أصحابه إذا أحدقت بهم الأخطار، واليوم من أجزاء الدّهر، وقد أحس الشاعر بثقل هذا اليوم فوصفه بالطويل؛ لأنه يترصد فيه خصومه، ويرجى مغنمه، ويخشى مغرمة فكان إحساسه الداخلي، وما في نفسه من القلق والترقب يشعره بثقل هذا اليوم "فهو متربص طول يومه في هذه المرقبة يُخفي نفسه حتى إذا حانت الفرصة تحدّر فوقها، تحدّر الماء الزلال"(٤).

لقد أحس الشعراء بفاعلية الدّهر، ومرادفاته: كالزمان وأجزائه من ليل ونهار فعند وصف المطر، والبرق تطرقوا لذكر الليل ولمعان البرق فيه، والضوء الذي يحيي الأمل بالسقيا، والحياة في أرض قاحلة، وصحراء فسيحة، وصفاء السماء، وبريق الحصى في صبيحة يوم ارتوت الارض في

---

(١) شرح أشعار الهذليين للسكري، ج٢، ص:(٧٩).

(٢) عمرو ذو الكلب : عمر بن العجلان بن عامر بن بُرد بن مُنبه وهو أحد بني كاهل وكان جاراً لبني هذيل سمي بذلك لأنه كان معه كلب لا يفارقه . شرح أشعار الهذليين ، للسكري ، (٥٧/٢)

(٣) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (١١٩).

(٤) الصعاليك وشعرهم في العصر الجاهلي، حسن سرباز، ص: (٤٩).

آخر الليل وعند وصف الحيوان، وهدوء عيشه، وتمتعه في سربه وسيره في جماعات جعلوا الدّهر مفرّقاً لهذه الجماعة، ومهلكاً لتلك الفئات من الحيوانات سواءً أكانت وعولاً، أو بقراً، أو حُمراً وحشية وعند وصفهم لجماعة من البشر بالقوة والشجاعة والتعاون فيما بينهم والمنعة التي يعيشونها من عزٍ وجاه جعلوا الدّهر مفرقاً لجماعاتهم، ممزقاً لشملهم، مفككاً لهم. هكذا ظهرت صورة الدّهر في سياق الوصف من خلال الشواهد الشعرية التي استقرأناها.

## المبحث الثالث: الدّهر في سياق الشكوى والحكمة

### أولاً: الدّهر في سياق الشكوى

**الشكوى:** بث الحزن والمعاناة وما يلاقيه الإنسان من ألم، والتنفيس عن ذلك بإظهاره للغير من أجل أن يشاركه في حزنه ومصابه، ويخفف عنه، وقد وردت في معاجم اللغة بعدة معاني منها:

**المعنى اللغوي للشكوى:** ورد في لسان العرب شكا: شكا الرجل أمره يشكُو شكواً على فَعْلا، وشكوى على فَعْلَى قال ابن برّي: الشكاية والشّكية إظهار ما يصفك به غيرك من المكروه أو مرض أو نحوه(١)،"وأصْلُ الشَّكْو فتح الشَّكْوة. وإظهارُ ما فيها، وهي سقاءٌ صغيرٌ، وكأنه في الأصْلِ استعارةٌ كقولهم: بثثت له ما في وعائي، إذا أظهرت ما في قلبك"(٢).

"والشَّكوى فن من فنون الشعر الوجداني العميق، وهي بذلك لون من ألوان الشعر المتجدد؛ لاتساع نطاقها بين الشعراء، نتيجة للحياة الاجتماعية القاسية، وبخاصةٍ شكوى الزمان، أو الدّهريات"(٣).

وقد تكون الشكوى ذاتية تحكي معاناة الشاعر، وقد تكون جماعية حيث تعبر عن معاناة جماعة أو أمة "وستظل الشكوى غرضاً يطرقه الشعراء في كل زمان، ومكان بعيداً عن الكذب والتزويق، فهي تصدر عن نفس مرهقة تغلي في ثورتها بما يشجيها، فتفيض على لسان صاحبها شعراً يقطر أسى ولوعة، يصور لنا صدق الشاعر في التعبير عن واقعه، وآلامه التي لا نستطيع أن نحيط بها، بل ربما نعجز تماماً عن تفسير كثير من بواعث الشكوى"(٤).

---

(١) لسان العرب، ص: (٢٣١٣).

(٢) تاج العروس، مُحَمَّد مرتضى الزبيدي، دار الهداية، من مادة (شكو، شكى) ج٣٨، ص: (٣٨٨).

(٣) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين للدكتور/ مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، ص: (٦٩).

(٤) الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ظافر الشهري، ص: (٧).

وقد أكثر الشعراء من شكوى الدّهر، وتقلب أحواله بهم، وما أحدث لهم من فقد عزيز، أو مال لاسيما في العصر الجاهلي الذي كانت فيه نظرة الشعراء متشائمة، ولم تكتس بنور الإسلام، وتعلم حقيقة الحياة والموت، فما كان الجاهلي يظن الحياة إلا عبثاً ولهواً يوصله إلى الموت الذي هو نقطة النهاية، وسار الشعراء من بعدهم على خُطا الجاهليين تقليداً ومحاكاة، ومنهم من امتثل أوامر الإسلام، وأصبحت شكواه إلى الله ـ عز وجل ـ وإن أسند تقلب الأحوال إلى الزمان، ومن ذلك أُمية بن أبي عائذ الذي سنعرض لنصه في معرض الحديث عن شعر الشكوى.

"وهكذا يصور لنا الشعراء شكواهم من الدّهر من زوايا عديدة، في أوضاع مختلفة، يشدها الضجر والنقمة إلى بعضها البعض، ويتخللها بعض من التفكير، ويحيطها امتزاج حار عميق بين التجربة الشخصية، ومحور القضية المؤطرة بنوع من التعاطف، والاستجابة لدى السامع، أو المتلقي، لدهر ظلمهم، وحرمهم من تلك العدالة الاجتماعية على وفق شرعية، وحقوق موثوقة يحبها، ويرضاها كل فرد في مجتمعه"(١).

لقد امتدت شكوى الشعراء من الدّهر إلى مرادفاته: كالزمان، وأجزائه: من ليل ونهار حيث تثقلهم الهموم فيشعروا بأن الزمن قوة قهر، وتسلط فينفثوا ما في صدورهم، وتنساق ألفاظهم على الزمن، والليل، والنهار، وما أحدث لهم من الرزايا والهموم.

"وشكوى الشعراء من الدّهر حديث ذو شجون، وبكاءٌ صبا من أحداق العيون، وغالباً ما تمتزج الحكمة بالتأمل إلى الدّهر، لعل عثرات الزمان يوماً أن يكون للدار عماراً، فانتابهم شعورٌ يخلو من التفكير، لتجاوز أزمتهم الحادة، وتوترهم النفسي تجاه دهر متقلب، يخرب تارة، ويبني تارة أخرى"(٢).

لقد أسقط الشاعر الجاهلي همومه، وما يعانيه من الألم على الدّهر فراح يندبُ حظه،

---

(١) شكوى الدّهر في الشعر الجاهلي، عارف عبدالله محمود، ص: (١١٠).

(٢) نفسه، ص: (١٥).

ويصف دهره بأنه ظلوم غشوم غير عادل في حكمه، وذلك بسبب "اعتقادهم الخاطئ بأنه سبب تلك الهموم، ومصدر هلاكهم، ومن هنا طغت الشكوى من الدّهر عند الجاهليين على غيرها من المحاور الأخرى، فقد رأينا الشاعر الجاهلي متى نزل به أمر يضيق عليه، أو عندما تعوزه الحيلة، وتنزل بساحته مصيبة يجزع، ويعزو ذلك للدّهر ويشكو منه"(١)، وذلك لأن الشاعر الجاهلي لم يتمثل مبادئ الدين، ولم يعرف حقيقة الابتلاء فكان يظن الدّهر أساس كل بلية ومهلك لكل حي.

ومن الشعراء من عاش في العصر الإسلامي، ولكنه تمثل نظرة الجاهليين التي آمنت بسطوة الدّهر، ومنهم أبو ذؤيب الهذلي المتوفي سنة ٢٧هـ.

وذلك حين النظر إلى قصيدته العينية التي نظمها في رثاء بنيه، وليظهر فيها تجلده أمام الشامتين فسيطرت عليه عاطفة الأبوة فشكا، وبكى، وجعل الدّهر مهلكاً لكل حيّ، وسبباً لكل بلية حيث قال:

**أمِـــنَ المَنُـــونِ ورَيْبِهـــا تَتَوَجَّـــعُ؟ والـــدّهر لـــيسَ بِمُعتِـــبٍ مـــن يَجْـــزَعُ** (٢)

ويؤكد أن الدّهر هو الذي رماه بهذه المصيبة حيث يكرر عبارة:(والدّهر لا يبقي على حدثانه) في أربعة مواضع من قصيدته.

"وصورت لنا هذه القصيدة الجانب النفسي الحزين لأبي ذؤيب من خلال شكواه الدقيقة التي تبدو في ثنايا القصيدة، ولم يستطع أن يتغلب على خوفه من ذلك الشبح المخيف الذي أقلق الشعراء في الجاهلية، ولازال، والمتمثل في الدّهر"(٣).

لقد حرص الشاعر في الدفاع عن بنيه بكل ما أوتي من قوة، ولكنه وقف عاجزاً أمام

---

(١) شكوى الدهر في الشعر الجاهلي، ص: (١٤).

(٢) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١).

(٣) الشكوى في الشعر العربي، حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ظافر الشهري، ص: (٥٠).

سطوة الدّهر، وقوة الموت فلم يستطع أن يدْفَع عنهم المنية، ولو بذل لذلك الأسباب يقول في ذلك:

**ولَقَدْ حَرِصْتُ بأَن أُدافِعُ عنهم فإذا المَنِيَّةُ أَقْبَلتْ لا تُدْفَعُ**
**وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَها أَلْفَيْتَ كلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعُ**[(1)]

"لقد عبر الشعراء عن الدّهر بألفاظ شتى فهو: الدّهر، والزمان، والليالي، والأيام، والصروف، والحوادث، والأعصر، والمنايا. وهم إما أن يتحدثوا عن الدّهر مباشرة، وإما أن يتحدثوا عن آثاره المدمّرة؛ فهو الذي يفسد الديار العامرة، ويهلك الشباب، ويذل العزيز، ويحيل القوي إلى عاجز"[(2)] لقد أثر الموت الذي اختطف أبناء الشاعر في نفسه فكانت قصيدته تجمع بين مظاهر القوة والتجلد، ومظاهر الضعف والتسليم لتلك القوة التي لا تقاوم، وهي قوة الموت وتسلطه على كل حي.

وما قوله:

**وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَها أَلْفَيْتَ كلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعُ**

إلا تسليم للأمر الواقع، وهو الموت الذي لا يستطيع أن يدفعه أحد، واعترافاً منه في البيت الذي يليه بالجزع والبكاء في قوله:

**فالعَيْنُ بعْدَهُم كأنَّ حِداقَها سُمِلَتْ بِشَوْكٍ فهيَ عُورٌ تَدْمَعُ**[(3)]

فالعين باكية بدمع منهمر كأنها سُملت بالشوك فتتابع دمعها، ثم يعود الشاعر بعد وصفه لحوادث الدّهر، بضرب الحكمة لنفسه بعدم جدوى البكاء، وإن أولعت به نفس المحزون؛

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٣).
(٢) شعرنا القديم والنقد الحديث، وهب أحمد رومية، ص: (١٩٤).
(٣) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٣).

ليجمع قواه، ويظهر صبره، مخافة أن يشمت به أعداؤه، وخصومه حين قال:

**وتَجَلُّـــدِي للشـــامِتِين أُرِيهُـــمُ أَنِّي لَرَيْـــبِ الـــدّهر لا أَتَضَعْضَـــعُ**(١)

فقد أرابه الدّهر، وأحزنه بفقد بنيه فظهرت شكواه من دهره، وما أصابه في صورة صراع بين قوة يستجمعها، وحكمة يستظهرها، ونفسٍ يُثبتها، ومصيبة قد حلت فأوهنت الجسد، وأحزنت القلب، وأدمعت العين، ولكنه بنظرته الثاقبة يعلم أن حزنه لن يُجدي؛ فلن يُعيد مفقوداً، ولن يُعتب الدّهر عما فعل، وذلك في تصور الشاعر بأن الدّهر صاحب الفاعلية، وذلك ظاهر من أول بيت في قوله "والدّهر ليس بمعتبٍ من يجزع" وأبو ذؤيب نظم هذه القصيدة بعد إسلامه، ولكنه لازال يختزل أفكار العصر الجاهلي التي ترى بفاعلية الدّهر.

ومن ورود مرادفات الدّهر في سياق الشكوى قول ساعدة بن جؤية:

**يا لَيْـتَ شِـعْرِي ألا مَنْجَـى مِـن الهَـرَمِ أمْ هـل العَـيْشِ بعْـدَ الشّـيْبِ مِـنَ نَـدَمِ**

إلى قوله:

**وَسْـنانُ لـيس بِقَـاضٍ نَومـةً أَبَـداً لـــوْلا غَـــداةُ يَســـيرُ النَّـــاسُ لَم يَقُـــمِ**
**إنْ تَأْتِـه في نَهَـار الصَّـيْفِ لا تَـرَه إلا يُجَمِّـــعُ مـــا يَصْـــلَى مِـــن الجُحَـــمِ**

إلى قوله:

**تا اللهُ يَبْقَـــى علـــى الأَيَّامِ ذو حِيَـــدٍ أَدْفَى صَـلودٌ مِـن الأَوْعَـال ذو خَـدَمِ**(٢)

يشتكي الشاعر من الهرم، ويتمنى أن تكون له النجاة منه، وينظر إلى الحياة في هذا السن بأنها أشبه ما تكون بالعدم، ولن يندم عليها إذ لم تعد المتعة التي يجدها الإنسان في شبابه

(١) ديوان الهذليين، ص: (٣).
(٢) نفسه، ج١، ص: (١٩١ ـ ١٩٢ ـ ١٩٣).

فالحياة أصبحت نوعاً من الجهد والبلاء لم يعد للنوم مكاناً، وإنما تجده مسترخياً من الضعف والعجز والتعب قلقاً من الآلام التي تحرمه لذة الراحة، والنوم ولذة العيش والمتعة يشعر بدنو أجله، وقرب رحيله لم يعد يميز بين ليلٍ، ونهار، ولولا مسير الناس في الغداة لم يقم من مكانه لشدة العجز، وتجده في نهار الصيف المعروف بشدة الحر يجمع الحطب استعداداً منه، لبرد الشتاء فلم يعد يحتمل البرد، وليس له ما يشغله من حل، وارتحال، وإنما هو مقيم في موضعه فلابد له من دفءٍ، وإلا زاده الشتاء وهناً وضعفاً، وبعد أن يصف ما يعانيه من الهرم، وينظر فيما حوله يأخذ لنفسه العبرة، والعظة من قسوة الأيام في حق غيره من الأحياء فهذه الوعول الممتنعة التي يراها رمزاً للصمود، والقوة أنزلت الأيام بها البلاء، وأسلمتها للهلاك لذلك أقسم الشاعر بأن الأيام لن تبقيها فكيف يكون مصير الإنسان أمام هذه القوة المدمرة.

لقد أحس الشاعر بفاعلية الزمن وقوة الدّهر، وما يترتب عليها من تدمير لقوة الإنسان، وذلك لطلبه النجاة من الهرم والضجر من الشيب، والإحساس بالضعف حين مسير الناس بالغداة، وجمعه للحطب في نهار الصيف، ثم أردف ذلك بقسم على مصير الأحياء، وجعل الوعل رمزاً لهذه الأحياء التي لن تبقيها الأيام، وما تكرار مرادفات الدّهر، وأجزاء الزمان الآنفة الذكر إلا دليل على إحساس الشاعر بتسلط الدّهر، وفاعليته، وقهره لكل حي.

ومن ورود الدّهر في سياق الشكوى قول أبي خراش الهذلي:

**أفي كـــلِّ مُمسَـــى ليلـــةٍ أنا قائِـــلٌ  مـــن الـــدّهر لا تبعَـــدْ قتيـــلَ جَميـــلِ**
**فماكنـــتُ أَخْشَـــى أن تَنـــالَ دِمـــاءِنا  قـــــريشٌ ولمّـــــا يُقْتَلـــــوا بقَتيـــــلِ**
**وأبْـــــرَحُ مـــــا أُمِّـــــرتُمُ ومَلَكْـــــتُم  يَـــدَ الـــدّهرِ مـــا لمْ تُقْتَلـــوا بِغَليـــلِ[1]**

"يشكو الشاعر، ويتضجر من هذه الحال التي هو عليها من تطاول العهد، وعدم الأخذ بالثأر وفي الاستفهام أيضاً إفادة التكثير لقوله ذلك في كل ليلة، والليل يحمل الهموم، ويتفرغ فيه

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١٥٧).

المرء للتفكير دون مشغلة، وكأنه يقول إلى متى أكون في ممسى كل ليلة مع هذا الهم وهذه الذكرى، أما من ثأر يبرد قلبي؟"[١] وغرض هذه الشواهد الشكوى حيثُ قُتل زهير بن العجوة، وهو موثق في أُسراء حنين عند ذلك لم يجد الشاعر أمامه إلا أن يبوح بشكواه؛ لينفس عن روحه حرارة المصيبة، وهو من قبيلة ترى أن من مفاخرها الأخذ بالثأر من الخصوم، وذلك واجب تمليه عليهم الأعراف القبلية فلم يعد أمامه مجالاً يتلذذ فيه بالراحة ففي كل ليلة يراوده الهم، وتزدحم عليه الأفكار؛ ليأخذ بثأر قتيله، وما قوله فما كنت أخشى أن تنال دماؤنا إلا دليلاً على ثقة الشاعر في قومه، وأنهم أهل عزة ومنعة، ولذلك لم يكن هذا الأمر في حسبانه أن ينال منهم الخصوم، ويتعهد أنه لن يترك نفسه تركن إلى الذل، وقد امتلأ قلبه بالغيظ والغل حتى يقتل من خصومه، وإحساس الشاعر بالدّهر، وفاعليته فيه نظرة تشاؤمية إذ حمّلهُ دينٌ يريد قضاءه، وهو من أعظم أنواع الدين كيف لا يكون ذلك، وهو موتور بقتيل يريد أن يقتص له، والهموم تكتنفه، وليله يطول بالتفكر، والحزن حزن على فقيده، وتفكير في قضاء دينه، والنصر على أعدائه، وما الدلالات اللفظية، وتكرارها في الشواهد الشعرية في قوله "ممسى كل ليلة ومن الدّهر ويد الدّهر" إلا دلالة على إحساس الشاعر بطول دهره، وتزايد همه حتى يحقق مراده، ويقضي مأربه. وينتصر لقتيله، وعند ذلك يتغير إحساسه بثقل الدّهر.

إن إحساس الشاعر بالدّهر، وأجزائه يظهر واضحاً جلياً حين يعاني ويتألم، أو ينتظر أمراً محبوباً، أو يخشى مرهوباً فيشعر بطول ليله، وثقل نهاره فيرى دهره قاتماً، وربما ظنه ظالماً.

ومما رادف الدّهر: النوائب والزمان وأجزاؤه: كالليالي، والأيام، ومن ورود ذلك في سياق الشكوى قول أمية ابن أبي عائذ:

**ومَـــرّ المَنُـــونِ بأمـــرٍ يَغُـــولُ  مـــن رُزءِ نفـــسٍ ومـــن نقـــصِ مـــالِ**
**إلى الله أشْـــكُو الـــذّي قـــد أرَى  مـــن النَّائِبَـــاتِ بِعـــافٍ وعـــالِ**

(١) الإنشاء ومواقعه في شعر هذيل، سعيد المطرفي، ص: (٢٠٠).

**وإِظْـــلالَ هـــذا الزَّمـــانِ الـــذّي يُقَلِّـــب بالنَّـــاسِ حـــالاً لِحـــالِ**

**وجَهَـــدَ بَـــلاءٍ إذا مـــا أتَـــى تَطَـــاوَلُ أيّامِـــهُ واللّيـــالِي[١]**

تغيرت المفاهيم في العصر الإسلامي عما كانت عليه في الجاهلية فلم يعد أحدهم إذا رُزء بفقد مال، أو قريب يشكو من الدّهر، بل يشكو أمره إلى الله -عز وجل- أولاً ثم يُعرِّض بتقلب الزمان، وأنه متغير متحول لا يبقى على حال واحد، وتغير الزمان سبب في تغير أحوال الناس من يسر إلى عسر، ومن قوة إلى ضعف فإذا حل البلاء بالناس فإنهم يرون الأيام، والليالي تطول، وهذه طبيعة النفس البشرية التي تركن إلى الراحة، والدعة، وتسأم من البلاء، والكدر فترى أنه يطول وساعاته لا تنقضي، وأكثر الشاعر في هذه الشواهد من مرادفات الدّهر؛ ليؤكد على أن الزمن متغير، ومؤثر في حياة الإنسان، ومن هذه المرادفات: "المنون، النائبات، الزمان، أيامه، والليالي" إن تكرار هذه المفردات المرادفة للدّهر في أربعة أبيات دلالة على تأثر الشاعر بفكرة الدّهر، وتقلبه بالناس مع إيمانه بأن الله هو المدبر للكون، ولا تكون الشكوى في حال الفقد للمال، والقريب إلا له ـ سبحانه وتعالى ـ ولكنه يسير على نهج من سبقه من الشعراء في نظرته للزمان، وأنه يقلب الأحوال، ويبدو إحساس الشاعر بوطأة الزمن، وثقله في حال البلاء من قوله: "تطاول أيامه والليالي" وهذا شعورٌ غير مستغرب في واقع البشر.

**ثانياً: الدّهر في سياق الحكمة**

"الحكمة أن يصوغ الشاعر تجاربه في الحياة، ونظرته إلى العالم، وأخلاق من حوله من الناس"[٢] وينقل الشاعر هذه التجارب إلى غيره؛ ليأخذ منها الفائدة، أو ليقدم بها النصح والموعظة، وعند تتبع الشواهد الشعرية في موضوع الدراسة تجد أن الحكمة تمر عرضاً في سياقات متعددة: كالرثاء، والفخر، ونحو ذلك، وقد زخر الشعر الهذلي بالحكم المستمدة من حياتهم،

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١٧٣ ـ ١٧٤).

(٢) تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، مصطفى السيوفي، ص: (١٠٧).

وبيئتهم، ونظرتهم للحياة، ولما حولهم من مظاهر الطبيعة، وقد جعل بعض النقاد الحكمة من الخصائص الفنية لشعر الهذليين يقول الدكتور أحمد كمال زكي: "وما أظن أنه من الغريب أن أجعل الحكمة خصيصة من الخصائص الفنية لشعر الهذليين، بل أن جعلها خاصة أدائية بالذات"(١) وفي حديثه عنها يقول: "لقد كان نطقهم بهذه المعاني وهي الحكمة يأتي لمحاً، في أثناء حديثهم عن فجيعة الدّهر، وريب الزمن، وقسوة الحياة، وكانت حكمتهم تصرفات عقلية تعرض لهم فيسوقونها شعراً، وتأتي أشبه بالأمثال تارة، وأشبه بالنصائح تارة أخرى، وهي على أي حال عميقة المأخذ، وعذبة الموقع، شديدة الاتصال بواقع الحياة"(٢).

ولن يهمنا ما ورد من حكم في ديوان الهذليين إلا ما كان خاصاً بموضوع البحث، وهي الحكم التي تكون في سياق الدّهر ومرادفاته: ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

**أمِـــنَ المَنُـــونِ ورَيْبِهـــا تَتَوَجَّـــعُ؟ والـــدّهر لـــيسَ بِمُعتِـــبٍ مـــن يَجْـــزَعُ** (٣)

لجأ الشاعر إلى أسلوب الاستفهام؛ ليثير في النفس انفعالات متعددة، فالموت الذي اختطف بنيه أضر به، وأحدث له كآبةً وقلقاً؛ فأصبح متألماً لفراقهم، مفجوعاً بفقدهم فكيف يكبح جماح نفسه الثكلى؟ وهو الذي يرسم صورة ذاته متجلداً أمام الشامتين، يريهم أن ريب الدّهر لا يثْنيهُ إلا بحكمة مستخلصة، يقدمها لذاته وهي: "أن الدّهر ليس بمعتب من يجزع" فلن يعود الدّهر عما أخذ منك، ولن يسترضيك وبما أن التوجع لن يجدي فلا فائدة إذاً منه. وفي عينية أبي ذؤيب الهذلي نجد أبيات الحكمة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموت، وتأكيد المصير إلى النهاية، وفاعلية الدّهر، وما رادفه من الألفاظ؛ ليعزي الشاعر نفسه لاسيما، وأن القصيدة رثائية ومما رادف الدّهر المنية، ومن ورودها في سياق الحكمة قوله:

---

(١) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص: (٢٨٠).

(٢) نفسه، ص: (٢٨١).

(٣) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١).

**وإذا المَنِيَّـــةُ أَنْشَـــبَتْ أَظْفارَهـــا ألْفَيْـــتَ كـــلَّ تَمِيمَـــةٍ لا تَنْفَـــعُ**[١]

جعل الشاعر المنية حيواناً مفترساً، ينشب أظفاره في فريسته، ثم أتبع ذلك بالحكمة، وأن التمائم لن تمنع المنية، ولن يكون لها أثر في دفع القضاء، وهذه القناعة التي يصل إليها الشاعر من واقعه إذ تخطف الموت بنيه، ولم يُجدِ في دفعه عنهم، فما كان له من وسيلة يعبر بها عن ذلك إلا أن يظهر شجاعته، وتجلده، وذلك في قوله:

**وتَجَلُّـــدِي للشـــامِتِين أُرِيهُـــمُ أَنِّي لَرَيْـــبِ الـــدّهر لا أَتَضَعْضَـــعُ**[٢]

فالشاعر يرى أن من الحكمة إظهار الصبر والتجلد حتى لا يشمت به خصومه، وأن يبقى الإنسان صابراً لما ينوبه في دهره من مصائب ونوائب يقول في ذلك المكي العلمي: "إن من جيد أبياته الحكمية التي تنبئ عن رجل صبور، خبر الإحساس بالقوة والضعف، ولهذا صارت الأمور مدركة بالنسبة إليه"[٣] فأصبح يرى أن الضعف والخور يجعله هدفاً؛ ليتشفى به خصومه فأيقن بذلك، واحتمل مصابه، وأظهر لهم الشجاعة، والتجلد، وكأنه ينبئهم عن قوةٍ، وعزيمةٍ لا تضعفها الخُطوب مهما عظمت فإنه لن يُرى إلا صابراً مستجمعاً لقواه.

لقد أحس أبو ذؤيب بفاعلية الدّهر إحساساً عميقاً، وأنه يهلك الأحياء فقدّم لنفسه العزاء، والتسلية بمصير من حوله من الكائنات الحية، وما استخلص من حكمة عن مصير هذه الكائنات، وكيف أن الدّهر يهلكها جميعاً؟ إذ يقول:

**والـــدّهر لا يَبْقَـــى علـــى حَدَثَانِـــهِ فِي رَأْسِ شَـــاهِقَةٍ أَعَـــزُّ مُمَنَّـــعُ**
**والـــدّهر لا يَبْقَـــى علـــى حَدَثَانِـــهِ جَـــوَنُ السَّـــراةِ لـــه جَدائِـــدُ أَرْبَـــعُ**[٤]

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٣).
(٢) نفسه، ج١، ص: (٣).
(٣) شعراء هذيل أشعارهم وأخبارهم في القرن الأول الهجري، ص: (٣٨٧).
(٤) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٤).

**والـــدّهر لا يَبْقَـــى علـــى حَدَثَانِـــهِ شَـــبَبٌ أَفْزَتْـــهُ الكِـــلابُ مُـــرَوَّعُ**[١]

نظر الشاعر إلى سطوة الدّهر، وقوته، وتدميره كل حي، وأنه مهلك للإنسان، ولما حوله من الكائنات فلن يبقى سالماً من أذاه الوعل المُمتنع في الجبال الشاهقة مع بعده عن خصومه وخفته، وحذره، ولن يسلم الحمار الوحشي، ولا الثور المسن، وما تكرار الشاعر لعبارته "والدّهر لا يبقى على حدثانه" إلا ليؤكد سطوة الدّهر، وحتمية الفناء، فيعزي بذلك نفسه في فقد بنيه، ولقد نظر الشعراء إلى الدّهر نظرة قوة، وتسلط فلن يُبقي أحد، ولن يسمح له بالخلود، وهو القاهر لكل حي، وهذه النظرة يؤمن بها الشعراء الجاهليون، وأما الشعراء الإسلاميون، أو المخضرمون كأبي ذؤيب فهم يستوحون تلك النظرة من أسلافهم، ويقلدون من سبقهم، ويسيرون على خطاهم، ومن تلك الشواهد التي يُسند فيها الشعراء الفاعلية إلى الدّهر، وما يحدث لهم من الأهوال والنكبات قول صخر الغيّ:

**فـــذلِكَ ممـــا يُحَـــدِثُ الـــدّهر إنَّـــه لـــه كـــلُّ مطْلُـــوبٍ حَثيـــثٍ وطالِـــبِ**[٢]

هذا البيت يمثل نظرة الشاعر للحياة، ومآل الأحياء، وأن الدّهر طالبٌ ومسرعٌ في طلبه، ولابد أن يُدرك المطلوب، ويتحقق الطلب لأن قوة الدّهر غالبة، وجعل الشاعر هذا البيت ختاماً لقصيدته في رثاء أخيه بعد ضرب الأمثلة على سطوة الدّهر، وهلاك الأحياء فضرب مثلاً بهلاك الوعل، ومثلاً آخر بهلاك اللقوة "أنثى العقاب"[٣] التي كانت توسد فرخاها لحوم الأرانب فدعاها القضاء؛ لتنقض على صخرة فينكسر جناحها، وتستسلم لواقعها، وتصبح مغلوبةً على أمرها لا تستطيع أن تدفع عن نفسها ما حل بها من قضاء، ولن تعود لفراخها وهذه الأمثلة التي يتابعها الشاعر في سياق قصيدته الرثائية بعد هلاك أخيه حيث دعاه القضاء

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٠).

(٢) نفسه، ج٢،ص: (٥٧).

(٣) نفسه، ج٢، ص: (٥٦).

إلى الحية في جحرها، وهلاك الوعل على يد الصياد، ثم هلاك اللقوة حين اصطدمت بصخرةٍ صماء، كل ذلك مما يحدثه الدّهر، وليصل بنا الشاعر إلى قناعته الفلسفية بأن الدّهر مهلك كل حي من إنسان، وحيوان، وطائر وتلك الأحداث التي تتابعت على المخلوقات المستشهد بها؛ ليحقق الشاعر بذلك مراده من ضرب الأمثلة بأن "للدّهر كل مطلوب وطالب" ومما رادف الدّهر المنايا، ومن ورودها في سياق الحكمة قول صخر الغيّ:

**لعَمْـــــرُكَ والمَنَـــــايا غالبـــــاتٌ وَمـــــا تُغـــــنِي التَّميمـــــاتُ الحِمامـــــا**[١]

نفى الشاعر فائدة التميمة، ودفعها للموت، وأثبت أن المنية غالبة، والموت واقع لا جدال فيه فإذا حان موعد الموت، ودنت المنية فلن تجد لها ما يدفعها من الرُّقى والعوذ، وحين ذلك تكون الغلبة للمنية.

ومما رادف الدّهر الأيام، وقد نظر الشاعر لها نظرة فاعلية، وجعلها مهلكة لكل حي، ومن ذلك قوله:

**أرى الأيَّامَ لا تُبْقـــــــي كَرِيمـــــــاً ولا العُصْـــــمَ الأوابِـــــدَ والنَّعَامـــــا**[٢]

نظر الشاعر إلى الأيام نظرة تشاؤم تمثل حالته النفسية، حين فقد ابنه فأخذ يُسرّي عن نفسه، ويخفف عنها بضرب الأمثلة، واستخلاص الحكمة فعادت الأيام كما يرى الشاعر أنها مهلكةً للكرام، ولن يسلم من شرها الحيوان إذ يقع عليه ما يقع على البشر فالوعول المتوحشة، والنعام كلها في حكم الإنسان يجري عليها من القضاء، ما يجري عليه، ولن تبقيهم الأيام فالمصير واحد، وكلهم صائرون إلى الفناء.

وفي شعر أبي كبير الهذلي ربطٌ للعلاقة بين الدّهر وهلاك الأحياء بفعله، إذ يجعل ذلك

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٦٢).

(٢) نفسه، ج٢، ص: (٦٣).

مثلاً يضربه، وحكمة يستخلصها في قوله:

**أَخَـلاوَ إنّ الـدّهر مُهلـكُ مـن تَـرَى مــن ذي بنِــين وأُمُّهــمْ ومِــنِ أَبــنمِ**
**والــدّهر لا يَبقَــى علــى حَدَثانِــهِ قُــبٌّ يَــرِدْنَ بــذي شُــجونٍ مُــبْرِمِ[١]**

فالشاعر يرى بأن الدّهر مُهلك لكل حي مهما كانت قرابته سواءً من ابن، أو أم أو والدٍ أو مولودٍ، وكذلك فإن أثره يمتد لما حول الناس من الكائنات: كالحُمر الوحشية وغيرها فلن تكون في منعة، ولابد أن يدركها ما أدرك الناس من الهلاك.

وتلك رؤية الشاعر في قوله:

**والــدّهر لا يَبقَــى علــى حَدَثانِــهِ أقَــبٌّ تُباريــه جَدائِــدُ حُــولُ[٢]**

فالدّهر مُذهب لكل الكائنات، وحِكم الشاعر المستخلصة في هذا السياق للعبرة، والعظة، ولبيان أثر الدّهر على الناس، والأحياء من حولهم؛ ليحقق بها العزاء والتسلية في فقد من يحب، وفي موضع آخر ينظر إلى الحياة نظرة فاحصٍ متعمقٍ، ويرى أثر الأيام، وكثرة الهلكى من الشباب والشيوخ على حد سواء فيكثف الألفاظ الدالة على الدّهر ومرادفاته، ويستخلص منها الحكمة وأن كل مخلوق يسير إلى قضائه فيؤخذ بالحلق، ويُكظم، وأن الباقين يسيرون على منهج من سبقهم فهم إلى القبور صائرون.

ولن يتأخر يوم أحدٍ منهم عن حينه، وذلك أمرٌ محتوم أذعنت له الخلائق فيقول في ذلك:

**أتَتْــهُ المَنــايا وهــو غَــضٌّ شَــبابَهُ وما لِلمَنـايا عـن حِمَـى الـنَّفسِ مِـن عَـزْمِ**
**وكــلّ امــرئ يومــاً إلى المــوتَ صــائِرُ قَضــاءً إذا مــا حَــانَ يُؤْخَــذُ بالكَظْــمِ**
**ومــا أحــدٍ حــيٌّ تأَخَّــرَ يَوْمَــهُ بِأخلَــدَ مِمَّــن صَــار قبــلُ إلى الــرَّجْمِ**

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١١١).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (١١٧).

**سيأتِي على الباقِينَ يومٌ كما أَتَى ... على من مضَى حتمٌ عليه من الحَتْمِ**[١]

وبالنظرة إلى هذه الشواهد نجد ظهور الحكمة فيها واضحةً جليةً؛ فالصبر لن يرد المنية عن أخذ الروح، وكل امرئ صائر إلى الموت.

ولن يتأخر الموت عن أحد؛ والخلود أمرٌ مستحيل، ومن بقي ينتظر حينه، ويسير على نهج من سبقه؛ ليصل إلى النهاية، وهذه حال الأيام تورد كل حي إلى نهايته، ولن تفرق المنية بين الناس فقد اختطفت الشباب، وسيرتهم إلى الهلاك، والبلى، وليس للإنسان قدرة أن يحمي نفسه، ويمنع منيته فهذا خالد بن زهير الذي رثاه أبو خراش أتته المنية، وهو شابٌ في مقتبل العمر، ولم يستطع دفعها فعزّا الشاعر نفسه في ذلك بأن ضرب لها المثل واستخلص لها الحكمة بأن الناس كلهم إلى الموت صائرون وإذا حان موعد القضاء أُخذت روح الإنسان، وكُظم نفسه، ونُزعت الروح من حلقه، ثم يردف ذلك بحكمة أخرى، وهي أن الموت لن يُؤخر أحداً من الأحياء عن يومه، وإن من بقي خلف الهالكين لن يُخلد في دنياه، وله يوماً ينتظره؛ ليدرك من سبقه، وذلك أمرٌ مقضى، وأجلٌ محتوم، وبالنظر لهذه الشواهد نجد تكراره لألفاظ ومرادفات الدّهر ومن ذلك "المنايا، وما للمنايا، ويوماً، الموت، يومه".

أو ما دل على حلول الأجل، وانقضاء العمر، وعدم البقاء كقوله "قضاءً، وبأخلد، وحتمٌ عليه من الحتم" فكل هذه الألفاظ دالة على الدّهر، وفاعليته في حدوث التغيير، والفناء كالمنايا فهي دالة على الدّهر في معناها، أو ما كان منها جزءٌ من الدّهر كاليوم الذي هو جزء من أجزاء الزمان، والزمن مما رادف الدّهر، أو ما دل على حتمية الفناء، وانقضاء الأجل كالقضاء، وعدم الخلود والأمر المحتوم.

ومن ورود الدّهر في سياق الحكمة قول أبي العيال مخاطباً بدر بن عامر حيث امتدح بدر بن عامر أبا العيال فظن أنه يسخر منه فقال أبيات نستشهد منها بقوله:

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١٥٣).

**لـو كـانَ عنْـدَكَ مـا تقـولُ جعلْتَـنِي كَنْـزاً لَرَيْـب الـدّهر عنـد ظَنِـينِ**[١]

يقول أبو العيال لو أنك صادق في مدحك، ومعتقد ما تقول، ومؤمن بذلك لما بدرت منك العداوة، والسخرية، ولحفظت لي الود، والمحبة، وصلة القرابة وادخرتني لنوائب الأيام وجعلتني عندك بمثابة الكنز عند الشحيح الذي يدخر كنزه ولا يفرط فيه، وهي حكمة مستخلصة أثبتها؛ ليدلل بها على عدم قناعة بدر بن عامر فيما يقول من مدحه، وإلا لما ظهرت منه العداوة.

ومن ذلك أيضاً قول بدر بن عامر في رده على أبي العيال:

**أزَعَمْـتَ أنِّي إذ مـدحْتُكَ كـاذِباً فشـفيْتَنِي وتَجـارِبي تُشْـفينِي**
**وزعمـتَ أنِّي غـيرُ بالِـغ غايـةِ الـذُّ جَبـاءِ إنّ الـدّهر ذو تلْـوِينِ**[٢]

لقد شكك أبو العيال في مدح بدر بن عامر له فرد عليه بدر بأن التجارب التي مر بها كافية له، وأنه على علم بتقلب الدّهر، وتلونه، ولن يستغرب أن يكون أبو العيال في ثوبٍ متلون متقلب، فتارةً يكون صديقاً، وتارةً يظهر عدواً يضمر الحقد، والعداوة، ويظن ظنوناً تخالف الواقع والحكمة موضع الاستشهاد تلون الدّهر، وتقلبه وعدم ثباته على حالةٍ واحدةٍ، وهكذا يبدو الدّهر ذو فاعلية في ضرب المثل، واستخلاص الحكمة عند الشاعرين إذ جعل أبو العيال الضنين يدخر كنزه؛ ليواجه به تقلبات الدّهر، وما يريب من الأيام فيستند لكنزه، ويدفع به المخاوف، وجعل بدر بن عامر الدّهر متقلباً متلوناً مثل تقلب الكائنات الحية التي تتبدل من حال إلى حال سواء في الشكل كما في حال بعض المخلوقات، أو الإنسان الذي يتغير، ويتبدل في مواقفه فنجده يُظهر أمراً، ويُخفي غيره كأن يظهر في ثياب الود، وهو يضمر العداوة، والشاعر يعتمد على تجاربه التي تعلم منها ما يكفيه.

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٢٥٩).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (٢٦٤).

ومن ورود الدّهر، ومرادفاته في صِيغ الحكمة قول مالك بن خالد الخناعي:

**يا مـــيّ إن تَفْقِـــدي قومـــاً وَلَـــدْتِهُمُ أو تُخْلَســـيهمْ فـــإنّ الـــدّهر خَـــلاسُ**
**يا مـــيّ إنّ سِـــباعَ الأرضِ هالِكـــةٌ والأُدمُ والعُفْـــرُ والآرامُ والنّـــاسُ**
**والجُـنْسُ لـن يُعْجِـزَ الأيامَ ذو حَيَـدٍ بِمُشْـــمَخِرٍّ بـــه الظَّيّـــانُ والآسُ[١]**

وردت هذه الأبيات في سياق الرثاء، وضمَّن الشاعر أبياته بحكم مستخلصة من تجارب الحياة فهو يعزي زوجته في فقد بنيها، ويضرب لها المثل المستخلص من تجارب الحياة مبيناً لها بأن الدّهر خلاس، ويأخذ ما يعطي بسرعة، وهذا موضع الاستشهاد، والحكمة المستفادة، ويستمر في ضرب الأمثلة بأنواع المخلوقات التي تشارك الإنسان الحياة من سباع ونبات، فما الأدم والعفر والآرام والناس والوعول والظيان والآس إلا أنواع من الأحياء جمعت البشر والحيوان والنبات، وكلها لن تعجز الأيام، ومصيرها الهلاك، ويَظهر في هذه الشواهد إصرار الشاعر، واعتقاده بفاعلية الدّهر، وسطوته في قوله: "إن الدّهر خلاس، وفي قوله: لن يعجز الأيام ذو حيد".

ومما رادف الدّهر(الجديدان) وهما: الليل والنهار، ومن ورودها في سياق الحكمة قول أبي قلابة:

**إنّ الرّشـــادَ وإنّ الغَـــيَّ في قَـــرَنٍ بِكـــلِّ ذلـــك يأْتِيـــكَ الجَديـــدانِ**
**لا تأمَـــنَنَّ وإن أصْـــبَحْتَ في حَـــرَمٍ إنّ المَنـــايا بجَنْـــبَيْ كـــلِّ إنســـانِ**
**ولا تَقُـــولَنَّ لِشـــيءٍ سَـــوْفَ أَفْعَلَـــهُ حـــتى تَبَـــيّن مـــا يَمْـــنِي لـــكَ المـــانِي[٢]**

"وأبو قلابة كان سيد قومه، فلا عجب أن يقف بينهم ناصحاً، وكأنما نحس الروح الإسلامي يدب خلال الأبيات، فكل شيء رهن بيد القدر، وما قُدر لك واقع عليك، والموت

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (١٠٢).
(٢) نفسه ، ج٣، ص: (٣٩).

يسعى بجنبك دائماً، فلا تحاول أن تقول سوف أفعل هذا فمن يدري فلعل الماني قدر لك شيئاً آخر"[١].

والحكم المستفادة من هذه الأبيات أن المنايا بجنب كل إنسان، وأن الإنسان لا يعلم ما تخفي له الأقدار، وتقلب الليل والنهار تنبئك بما يخفى عليك.

ومن ورود الدّهر، وما رادفه كالأيام بصيغة الحكم قول جنوب أخت ذي الكلب:

**كـلُّ امـرئٍ بطـولِ العَـيْشِ مكـذوبُ وكـلُّ مـن غالـبَ الأيّامَ مَغْلُـوبُ**
**وكـلُّ حـيٍّ وإن طالـتْ سـلامتهمْ يومـاً طـريقُهم في الشّـرِّ دُعْبـوبُ**
**بينـا الفَـتَى نَاعِـمٌ راضٍ بعيشِـتهِ سِيقَ لـه مـن دَواهِـي الـدّهر شُـؤْبوبُ**[٢]

"إنها نظرة صائبة في الحياة، فالمرء طول عيشه تكذبه نفسه بالأماني، وهو يظن أنه يفعل ما يريد، ويغلب الأيام مع أنه لا محالة مغلوب، فالجميع مهما تطل سلامتهم سيركبون طريق الشر، ثم سيموتون شباناً وشيباً"[٣].

فالشواهد الواردة ناطقةٌ بالحكمة، متدفقةٌ بها فلا غالب للأيام، والدّهر ذو بلايا تأتي الإنسان، وهو راضٍ بعيشه، لاهياً في دنياه، ولن يفرق بين شابٍ وشيبة، وكلهم عرضة للبلاء والامتحان، إنها نظرة ثاقبة من شاعرة جاهلية استخلصت أفكارها ورؤاها من تجارب الحياة، فصاغتها في قالب شعري مؤثر.

وعند تتبع الشواهد الشعرية للدّهر في سياق الحكمة، نجد الشعراء استخدموا لفظ الدّهر في أكثرها فقد تكرر الدّهر في ثلاثة عشر بيتاً على اختلاف المواضع والحكم، وكانت أكثر هذه الحكم تثبت قوة الدّهر، وتسلطه، وعدم المبالاة بالأحياء، وإفزاعهم، وإرابتهم وإهلاكه

(١) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص: (٢٨٣).
(٢) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (١٢٤).
(٣) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص: (٢٨٤).

للإنسان، والحيوان، والنبات، وتفريق الشمل، ومنها ما يُمثل تجلد الإنسان، ومقارعته للدّهر، واستفادة التجارب والعلم بتقلب الدّهر، وتلونه، وكذلك استخدم الشعراء ألفاظاً تدل على الدّهر كأجزاء الزمن ومنها: الأيام، ويوم، والجديدان، وهما: الليل والنهار، أو ما رادف الدّهر بالمعنى: كالمنية، والمنون، والمنايا، والقضاء، والحتم.

## المبحث الرابع: الدّهر في سياق الغزل والفخر

### أولاً: الدّهر في سياق الغزل

الغزل من الأغراض الشعرية التي قدّمها الشعراء في قصائدهم لاسيما في العصر الجاهلي، فكان الشاعر يقف على الأطلال، ويصف الديار، ويبكي الأحبة حتى أن قصيدة البُردة في مدح الرسول ـ ﷺ ـ قدّم لها قائلها، وهو كعب بن زهير[١] بالغزل فقال:

**بَانَــت ســعادٌ فَقلَــبي اليــومَ مَتْبــول مُتــيمٌ إِثرَهــا لم يُفْــدَ مَكْبُــول**[٢]

فالشاعر هنا لا يتغزل وإنما يسير على نهج القصيدة العربية في الوقوف على الأطلال والبداية بالغزل .

"والغزل إنما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء، ويقال في الإنسان أنه غزل إذا كان متشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء، وتجانس موافقاتهن، لحاجته بالوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه"[٣].

ويرى قدامة بن جعفر "أن التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة، والبروق اللامعة، والحمائم الهاتفة، والخيالات الطائفة، وآثار الديار العافية، وأشخاص الأطلال الدائرة، جميع ذلك إذا ذُكر أُحتيج أن تكون فيه أدلة على عظيم الحسرة، ومُضي الأسف والمنازعة"[٤] ويُفرقُ قدامة بن جعفر بين الغزل والنسيب. فيرى بأن "النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن، وتصرف أحوال الهوى به معهن" ومما سبق يتضح الفرق بين الغزل والنسيب، فالغزل ذكر أوصاف

---

(١) كعب بن زهير : فحلاً مجيدا ،وكان يحالفه أبداً إقتار وسوءُ حال .وكان أخوه بجير أسلم قبله وشهد مع الرسول صلي الله عليه وسلم فتح مكة فنهاه كعب عن الاسلام فبلغ ذلك النبي صلي الله عليه وسلم فتوعده فبعث اليه بجير فحذره فقدم على الرسول وبايعه وأنشده القصيدة . الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (١/١٥٤).

(٢) ديوان كعب بن زهير، ص: (٦٠).

(٣) نقد الشعر، ص: (١٣٤ ـ ١٣٥).

(٤) نفسه، ص: (١٣٤).

المحبوبة الظاهرة التي توصف من خلالها بالجمال: كالطول واللون وغيره مما يدعو للحب والشوق، أما النسيب: فذكر ما يفعل الحب بصاحبه من شوق إلى محبوبته، وتمني اللقاء، والمتعة بالمحبوبة في الوصال والنوال.

ومن صور الغزل في الشعر الجاهلي الوقوف على الأطلال "حيث يأتي الشاعر لزيارة محبوبته، فيجدها قد ارتحلت، فيصف ما يجد حول طلل الخيمة من آثار فتهيج به الذكرى فتفيض عينيه بالدموع فينسب بالحبيبة ويتشوق إليها"(١) وممن عرض لهذا المعنى من النقاد القُدامى ابن رشيق القيرواني بقوله: "والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن، وليس مما ذكرته في شيء، ومن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ"(٢).

ولم يشكل الغزل غرضاً شعرياً منفصلاً بذاته إلا فيما ندر إذ نجده يتداخل مع أغراض شعرية أخرى لاسيما في العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام حيث إن القصيدة لم تكن ذات وحدة موضوعية، وإنما كانت متعددة الأغراض "فلم يُعرف عن شعراء الغزل أنهم قدّموا قصائد مستقلة في هذا الفن، بل ذهبوا إلى مزجه بكل غرض فألموا به في كل مواطن المديح، أو الهجاء، أو الفخر، وحتى الرثاء"(٣).

وقد وجدنا ذلك ظاهراً جلياً في ديوان الهذليين، فالغزل لم يقم بذاته، وإنما كان ضمنُ الأغراض الشعرية الأخرى، والذي يهمنا من هذا الغرض ورود ظاهرة الدّهر، ومرادفاته في سياق الغزل، ومن ذلك قول أبو ذؤيب الهذلي:

**هـــل الـــدّهر إلّا لَيْلـــةً ونَهَـــارها وإلّا طُلـــوعُ الشّـــمْسِ ثُمَّ غِيارُهـــا**
**أبَى القلـــبُ إلّا أُمَّ عَمْـــروٍ وأَصْـــبَحَتْ تُحَـــرَّقُ نارِي بالشَّـــكاةِ ونارُهـــا**

(١) شعر الجاهلية وشعراؤها، قُصي الحسين، ص: (٣٢٦).
(٢) العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج٢، ص: (١١٧).
(٣) شعر الجاهلية وشعراؤها، ص: (٣٣٠).

**فـــلا يَهْنـــأ الواشـــين أنِّي هَجَرْتُهـــا وأظْلَـــــمَ دُوني لَيْلُهـــــا ونَهارُهـــــا**[١]

يعرف أبو ذؤيب الهذلي الدّهر: بأنه تتابع الزمن ومشتقاته من ليلٍ ونهار، وهذه ظاهرة طبيعية مألوفة لدى الإنسان، وتبدو ظاهرة الدّهر ومرادفاته واضحة جلية في قوله: "هل الدّهر إلا ليلة ونهارها، طلوع الشمس، غيارها، أصبحت ليلها ونهارها" لإحساس الشاعر بالزمن وتغيره، وأثر ذلك في تغير علاقته بمن يحب فما الدّهر إلا ليلٌ يتبعه النهار، وشمسٌ تَطلُعُ ثم تغيب كل ذلك يحدث تغيراً لكل حي حتى أصبحت محبوبته تُعير بقصة حبها، وتناقل ذلك الوشاة؛ ليحدثوا الفرقة بينه، وبين من يحب، فيدعو الشاعر عليهم بعدم الهناء وراحة البال؛ لأنهم سبب في القطيعة فقد أعلنوا حُبه، وأذاعوا أمره حتى أصبح ليله ونهاره سواء، لا يستطيع أن يصل إلى محبوبته، ولن يهنأ بمن يحب.

لقد أبدع الشاعر في تعريفه للدهر إذ جاءت بعده النظريات المتخصصة لدراسة الزمن لتوافق هذا الرأي، ومن تلك النظريات نظرية نيوتن التي يقول فيها: "الزمن زمن مطلق حقيقي رياضي، يتدفق بانتظام وللأمام، وزمن نسبي ظاهري زمن يُحس ويقاس ديمومته عن طريق الحركة التي تستخدم بشكل عام ومشترك بدلاً من الزمن الحقيقي، ويقاس بالآلات الزمنية"[٢] أن الزمن المقصود في بيت أبو ذؤيب هو الزمن الرياضي المنتظم الذي يتبع ليله نهاره، وقدم لنا الشاعر تعريفه للدهر كما يراه بأنه الليل الذي يتبعه النهار، وطلوع الشمس ثم غروبها، وقرن هذه الظاهرة بتعلق قلبه بمحبوبته أم عمرو التي تذمرت من حبه فهجرها، وتساوت عنده كفة الليل والنهار، وأصبح نهاره مظلم كأنه ليل.

ومما رادف الدّهر ودل عليه قول أبي ذؤيب الهذلي:

**بأَحسَـــنَ منهـــا يـــوم قالـــت كُلَيْمَـــةً أتصْـــرِمُ حَبْلـــي أم تـــدومُ علـــى الوَصْـــلِي؟**

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٢١).

(٢) الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، إميل توفيق، ص: (٨٤).

إلى قوله:

**فتلـك خُطـوب قـد تَمَلَّـتْ شَـبابَنَا زمـاناً فتُبلينـا الخُطـوبُ ومـا نُبلـى**(١)

لقد تأثر الشاعر بقول محبوبته في صرم حبال الود، أو البقاء على الوصال لمِا رأت منه من إعراض فكشف عن حبه وبقائه على العهد، ولكن تتابع الخُطوب، وفعل الأيام، وتغير الأزمان كانت كفيلة بأن تُشغله عمن يحب، وهذه عادة الأيام، فكل جديد إلى بلى، وكل لذة إلى زوال وما تكرار الألفاظ الدالة على الدّهر إلا لإحساس الشاعر بفاعليته، وأنه صاحب الأثر في قطع علاقة المحبين، وإشغاله عمن يحب، ويظهر ذلك في توجده على محبوبته، وذكر ذلك اليوم الذي سألته عن مصير هذا الحب وبقائه أم زواله فكرر في هذا الشاهد الشعري العبارات الموحية بفاعلية دهره: (كيوم، وخطوب، وشباب، وزمان، والبلى، والمنون) فكل هذه العبارات موحية بفاعلية الدّهر، ودالة عليه وأنه سبب تغير الأحوال، وفتور الحب بين المحبين.

ومما رادف الدّهر: الزمن وأجزاؤه ،ومن ورود ذلك في سياق الغزل قول أبي ذؤيب الهذلي:

**سَـقَى أُمَّ عَمْـروٍ كـلّ آخِـرِ ليلـةٍ حَنـاتِمُ سُـودٌ مـاؤُهنّ ثَجِـيجُ**

إلى قوله:

**أَرِقْـتُ لـه ذاتَ العِشـاءِ كأنّـه مَخـاريقُ يُـدعَى وَسْـطهنَّ خَـريجُ**(٢)

يدعو الشاعر لديار محبوبته أن تُسقى في كل آخر ليلة من سحاب أسود مندفع في هُطوله حتى تسيل المياه، وذلك حين راقب البرق، ولمعانه في ساعة العشاء فأحس بنشوة الفرح، والارتياح لهذا المنظر الذي أذكى في ذاكرته ديار محبوبته فتمنى لها السُقيا في آخر الليل.

ومما رادف الدّهر في سياق الغزل، المُسميات الدالة على الوقت: كعشية ويوم ،ومن ذلك قول

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٣٧).
(٢) نفسه، ج١،ص: (٥١ . ٥٣).

أبي ذؤيب الهذلي:

**عَشِـــيّةَ قامـــت بالفِنـــاءِ كأنّهـــا عَقيلّـــةُ نّهْـــبٍ يُصْـــطّفى وتَغُـــوجُ**

إلى قوله:

**كـــأنّ أبنـــة السَّـــهْمِي يـــومَ لَقِيتُهـــا مُوّشّـــــحَةُ بالطّـــــرتين هَمِـــــيجُ**
**بأَسْـــفَلِ ذاتِ الـــدَّبِرْ أُفـــرِدَ خَشْـــفُها فَقَـــد وَلِهَـــتْ يـــومَيْنِ فهْـــيَ خَلُـــوجُ(١)**

يذكر ابنة السهمي، ويصفها بالحسن، والجمال جاعلها كريمة، تُصطفى على غيرها، وهي ذات دلال، وتغنج تفوح منها رائحة الطيب، وتأسر القلوب موشحة بالبياض كأنها ظبية، وقد ولهت حين لقائه فكأنها خلوج انتزع منها ولدها، ومع شدة وجده بها وشدة وجدها به فإنه لا يأبه بها إن أرادت أن تصرم حبال الود، أو أضمرت له القطيعة، وتكررت في الشواهد مرادفات الدّهر كقوله: "عشية ويوم ويومين". لإحساس الشاعر بأن الدّهر مفرق للأحبة، مغير للأحوال مفني للأحياء، وما استشهاده بصبره على فراق الهلكى بعد أن يصور صبره في سبيل المحبة إلا دليلاً على ذلك.

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٥٨ . ٥٩ . ٦٠).

ومن ذلك أيضاً قول أبي ذؤيب:

أبا الصُّرمِ مِنْ أَسْماءَ حَدَّثَكَ الذِّي　　جَرَى بَيْنَنا يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ رِكابُها
وقد طُفْتُ مِنْ أَحْوالِها وَأَرَدْتُها　　سِنِينَ فأَخْشَى بَعْلَها أو أَهابُها
ثَلاثَةُ أَعْوامٍ فلمّا تَجَرَّمْتَ　　علينا بِهُونٍ واسْتَحارَ شَبَابُها
فَقُلْتُ لِقَلْبِي: يَالَكَ الخَيْرُ إنّما　　يُدّلِّيكَ للمَوْتِ الجَدِيد حِبَابُها[1]

يصور الشاعر صراعه العاطفي، وتردده في شأن محبوبته، وأحداث الزمن حوله ،فقد أثّر في قلبه ما جرى بينه، وبين محبوبته يوم استقلت ركابها فأخذ يتردد في إظهار حبه، أو إخفائه وبقي على حاله سنين تهيجه العاطفة، ويمنعه العقل، فتارة يخشى زوجها أن يتهمه بها، وتارة يمنعه الحياء أن يواجهها، وبعد مضي ثلاثة أعوام، وقد اجتمع شبابها عصاه قلبه في التردد، وأعلن لها عن الحب الذي يخشى أن يورده المهالك، ويدليه للموت، وقد وردت مرادفات الدّهر في هذه الأبيات في مواضع متعددة لإحساس الشاعر بفاعلية الزمن وأثره في نفسه ومن ذلك: "يوم استقلت، سنين فأخشى، ثلاثة أعوام، يدليك للموت" ولو تتبعنا الشعر الهذلي لظهر لنا حضور الزمن في نصوصه خاصةً، الغزل:(كالصباح والمساء والليل والنهار) وهذا ما يمثل الوحدة الزمنية في الزمن الطبيعي، وفي الرثاء نجد الشعراء يتأثرون بالزمن النفسي: كالدّهر، ويكون أكثر حضوراً في مراثيهم.

ومما رادف الدّهر من أجزاء الزمن الصبح والليل كقول المتنخل:

غُرِّ الثَّنايا كالأَقاحي إذا　　نَوّرَ صُبْحَ المَطَرِ المُنْجَلِي
هل هَاجَك اللّيل كليْلٌ على　　أسماءَ من ذي صُبرٍ مُخيِّلِ[2]

يصف الشاعر ثنايا محبوبته بشدّة البياض مشبهاً لها بالأقحوان، وهو نوع من أنواع الزهور صبيحة يوم ماطر، وقد غسل عنه المطر الغبار، وما يعلق به من شوائب، ثم يذكر

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٧٠ - ٧١).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (٦).

الشاعر أن الليل هيج في ذاكرته محبوبته حيث رأى برقاً يضيء من مكان بعيد، ويحمل سحاباً ماطراً فتمنى أن يكون فيه سُقيا لديار محبوبته، ونرى في الأبيات المستشهد بها تكثيف لوحدات الزمن: "كصبح المطر، وهاجك الليل"، وكلها تنضوي تحت مرادفات الدّهر، وأثره على حياة الشاعر، وإحساسه بالزمنية التي هي جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان.

ومن ذلك أيضاً قوله:

**وما أنت الغداةَ وذكرُ سَلْمَى وأضْحَى الرأْسُ منك إلى اشْمِطاط**
**كأنّ على مَفارِقِه نَسيلاً مِنَ الكِتَّان يُنزعُ بالمِشاط**[1]

وردت مرادفات الدّهر من أجزاء الزمن "الغداة، وأضحى" مبينة إحساس الشاعر بالزمن، وأثر ذلك في نفسه حيث أحاله تقلب الدّهر، وتتابعه من الشباب والقوة إلى المشيب والضعف فأخذ يلوم نفسه على التصابي، والغزل في ذكر من يحب متسائلاً ما الذي يستفيده من هذا الحب، والتذكر له، وقد اشتعل رأسك بالمشيب، وأصبحت مفارقه تساقط شعراً أبيض كأنه كتان ينزع، لقد تحدث الشاعر عن الدّهر بألفاظ دالة عليه، وعن آثاره المدمرة التي أفسدت شبابه، وحولته من القوة إلى الضعف كل ذلك يدل على إحساسه بقوة الدّهر، وتمكن هذه القوة في نفسه حتى أكثر من تكثيف الألفاظ ذات الدلالة على الزمن وأجزائه.

(١) ديوان الهذليين، ج٢ ص: (١٩).

**ما دل على الوقت كاليوم والليلة مرادفاً للدهر في سياق الغزل**

ومن ذلك قول المعطل:

**فإنّي على ما قد تَجَشَّمتُ هَجرَها ... لِما ضَمَّنَتْني أُمُّ سَكْنٍ لضَامِنُ**
**فإَن يُمس أهْلِي بالرَّجيع ودُوننا ... جبالُ السَّراةِ مَهْوَرٌ فَعُواهِنُ**
**يُوافِيك منها طارقٌ كلَّ لَيْلةٍ ... حَثِيثٌ كما وافَى الغَريمَ المُدايِنُ**

إلى قوله:

**بعيدٌ على ذِي حاجةٍ ولو أنَّنِي ... إذا نَفَحَتْ يوماً بها الدارُ أمِنُ**
**يقُول الذِّي أمْسى إلى الحِرْزِ أهْلُهُ ... بأيَّ الحَشَا أمْسى الخَلِيطُ المُبايِنُ(١)**

تذكر الشاعر محبوبته أم سكن التي هجرها، وفارق ديارها، وخرج عن الموضع الذي تقيم فيه وهو يتكلف الصبر عنها بمشقة وبينه وبين ديار محبوبته جبال السراة، ومهور، وعواهن، وهي مسميات لجبال وأماكن تفصل بينه وبين ديارها، وقد خرج الشاعر عن تلك الديار محارباً فلم يتلذذ بالوصال، أو رؤية المحبوبة، وإنما أصبح حاله حال الغريم الذي يتتبع أخبار مُداينه؛ ليقضي دينه فالذي يوافيه بالأخبار عنها لا يأتيه إلا بالليل ثم أنه يأتي سريعاً، ويذهب، وكذلك يتنهد الشاعر على ديار هذه المحبوبة، ويذكر مسمياتها، ويرى أنها بعيدة على صاحب الحاجة، وإنه لن يأمن الأيام أن تقربه منها، ولو حصل ذلك فإنه مشغولٌ عنها بما هو فيه؛ لأنه محاربٌ لخصومه، وليس لديه وقت أن يهنأ بمحبوبةٍ، أو يتلذذ بوصال فأهله بموضع، وهو في موضع آخر ينتظر النصر على خصومه، أو يسلمه لهم القضاء.

وقد تكررت في هذه الشواهد ألفاظٌ تدل على الدّهر، ومرادفاته، ومن ذلك قوله "فإن يمس أهلي، كل ليلة، يوماً، أمسى إلى الحرز أهله"، فالمساء والليلة واليوم من أجزاء الزمن، والزمن مرادف للدهر وإحساس الشاعر بهذه الأجزاء الزمنية، يفسر للمُتلقي الثقل النفسي

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٤٤ . ٤٥).

الذي يعانيه حين خرج عن ديار من يحب، وأمسى بينه وبينهم قطيعة مكانية، ولم يعد بينهم سوى طارق يحمل الأخبار على عجل يوافيه بها ليلاً؛ ليكون ذلك أدل على السرية والستر في حال رجلٍ محارب، ومتخفي لن يقضي لنفسه حاجة مما يريد.

لقد تتبع الشعراء ظاهرة الدّهر في سياق الغزل باللفظ الصريح، وبما رادف الدّهر: كالزمن وأجزائه، فالليل مثلاً كان مثار الشوق إلى اللقاء مع الأحبة والبرق ولمعانه يُمني الشعراء أن تسقى ديار من يحبون، والخُطوب تشغلهم عن الحب واللهو فيضيقون بها ذرعاً، وتتابع الأيام والأزمان تفقد الشباب والقوة، ولا تبقي لهم إلا الذكريات السعيدة التي كان ينعم بها في شبابه ولقاء أحبابه، وكذلك بقية مرادفات الدّهر فكل منها يُعبّر في موضعه عن حالةٍ نفسيةٍ معينة للشعراء تُلجئهم أن يستخدموا الألفاظ المناسبة حسب الأحوال التي يعبرون عنها.

**ثانياً: الدّهر في سياق الفخر**

الفخر غرضٌ من الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء منذُ العصر الجاهلي "وقد كان القسم الأعظم من الشعر الجاهلي في الحماسة والفخر ولا عجب في ذلك، فقد كانت الحروب الطاحنة والغزوات المستمرة في الجزيرة العربية لأسباب عديدة قائمة بين القبائل للحصول على الكلأ، أو للثأر فكان من البديهي أن تظهر الشجاعة ويظهر الفخر"(١).

وما كان احتفاء القبيلة بالشاعر، وإعلاء منزلته وتكريمه إلا لأجل أن يفخر بقومه، ويخلد ذكرهم، ويذب عن حياضهم.

ومما يفخر به الشعراء الشجاعة والكرم وإباء الضيم وصنائع المعروف ومساعدة المحتاجين وإغاثة الملهوف وحفظ الجار، ومن شواهد الفخر قول صخر الغيّ:

**وكُنـــت إذا سمعـــتُ دعـــاء داعٍ أجَبْـــتُ فـــلا ألـــفٌ ولا مكِيـــثُ**(٢)

(١) الموجز في الشعر العربي، فالح الحجية، ص: (٢٠).

(٢) شرح أشعار الهذليين، ج٢، ص: (٢٦٣)، ألف: ثقيل، مكيث: بطيء.

فالشاعر يُظهر سرعة استجابته، ونجدته لكل من دعاه بغير ثقل منه أو توانٍ.

لقد كان لشعراء هذيل في الفخر شعرٌ كثير لكثرة أيامها وغزواتها وتأثرها لقتلاها، وارتبط بعض هذا الشعر بالدّهر، وما تفرع عن الدّهر من أجزاء الزمان: كاليوم والليلة والحين وغيرها كأن يفخر الشاعر بيوم حقق قومه فيه النصر على خصومهم، ومن ذلك قول مالك بن خالد الخناعي:

**أبأْنا بيَـــوْم العَـــرْج يومـــاً بِمثلِـــه غَـــداةَ عُكـــاظٍ بالخَلـــيط المفـــرّقِ**(١)

فما اليوم والغداة إلا من أجزاء الزمان الذي هو امتداد للدّهر، والشاعر يفخر بقومه حين كافأوا خصومهم بيوم كيوم العرج فأوقعوا بخصومهم القتل والسبي والغنيمة في الحصول على المال.

**الموت مرادفاً للدهر:**

ومما رادف الدّهر الموت، ومن ورود ذلك في سياق الفخر قول أبي ذؤيب الهذلي:

**فإنَّـــــكَ أنْ تُنَـــــازِلِني تُنـــــازِل فَـــلا تَكْـــذِبْكَ بِالْمَـــوتِ الكَـــذُوبُ**(٢)

يفخر الشاعر بنفسه مبيناً لخصمه قوته، وشدة بأسه ومهدداً له بالهلاك إذا نازله، ولا محالة من ذلك، وسيتحقق لك الموت صدقاً غير مكذوب فعليك أن لا تُمني نفسك بالحياة بعد منازلتي.

---

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٨).

(٢) نفسه، ج١، ص: (٩٧).

**اليوم مرادفاً للدهر:**

ومن ورود ذلك في سياق الفخر قول أبي ذؤيب الهذلي:

**أُحـــاذرُ يوْمـــاً أن تَبـــينَ قَـــرينَتِي ويُسْـــلَمِها جِيرانُهـــا ونَصـــيرُها**[(١)]

يفخر الشاعر بنفسه، وحفظه لسره لئلا يشمت به أعداؤه وخصومه، ويخفي أمر من يحب؛ ليحفظ لها الود، ولا يجعل محبوبته ذائعة السر، منتشرة الخبر، تُرمى من كل ناحية، وهذا الحذر والحرص لم يتخل عنه الشاعر في يوم من أيامه.

ومن ذلك أيضاً قوله:

**نشـأْتُ عسـيراً لم تُـديَّثْ عَـرِيكَتِي ولَمْ يَعْـلُ يِوْمـاً فـوقَ ظَهْـرِي كُورُهـا**[(٢)]

يبين الشاعر بأنه عزيز النفس منذُ نشأته "والعريكة: السنام، وتديث: تلين" [(٣)] ولم يلين لأحد، وأنه صاحب همة عالية، وعزيمة قوية لم يستذله أحد في يوم من الأيام، ولا يرضى لنفسه ذلك، ويرى في هذه الصفات التي يتميز بها من الشدة عزاً له كيف لا وهو لم يحتمل إهانة أحد في يوم، أو ذلة تنكسر لها نفسه.

**ومما رادف الدّهر أجزاء الزمن كالمبيت والساعة:**

ومن ذلك قول المتنخل:

**فَبِـــتُّ أُنَهْنِـــهُ السِّـــرحانَ عـــنِّي كـــلانا واردٌ حَـــرّانَ ســـاطِي**

إلى قوله:

**بــه أَحمــى المُضــافَ إذا دَعَــانِي ونَفْسِــي ســاعةَ الفَــزَعِ الفِــلاطِ**[(٤)]

---

(١) ديوان الهذليين ، ج٣، ص: (١٥٥).

(٢) نفسه، ج١، ص: (١٥٨).

(٣) نفسه، ج١، ص: (١٥٨).

(٤) نفسه، ج٢، ص: (٢٥ ـ ٢٦).

فالمبيت والساعة من أجزاء الزمن، وامتداد الدّهر، والشاعر يفخر بنفسه وسطوته وجرأته في وصوله إلى موردٍ لا تصلهُ إلا الوحوش الضارية فيصل إليه ليلاً، ويزجر ما يجد من السباع والحيات فيشرب ويرتوي، وهو متأبطٌ سيفه، ليحمي به نفسه ساعة الفزع والخوف حين يفاجئه مكروه.

**ومما رادف الدّهر من أجزاء الزمن الليل:**

ومن ورود ذلك في سياق الفخر قول أبي خراش الهذلي:

**ونَعْـــلٍ كأَشْـــلاءِ السُّـــمانَى نَبَـــذْتُها خــلافَ نَــدىً مــن آخِــر اللّيْــلِ أُورِهــم**

إلى قوله:

**وإنِّي لأَهْــدي القــومَ في ليْلــةِ الــدُّجَى وأَرْمِـي إذا مـا قِيـلَ هـل مِـنْ فَـتىً يَرْمِـي**[١]

يفخر الشاعر بصبره وشجاعته وذكائه، فالنعل التي ينتعلها لا تقيه ممزقة كأنها أشلاء السماني التي لم يبق منها إلا الجناحان والجلد، ومع ذلك فإنه قادر على الاستغناء عنها، والسير حافياً غير منتعل في ليلةٍ باردةٍ قد ابتلت الأرض بالندى، أو المطر، ويتحمل الشدائد، ويهتدي في مجاهل الصحراء "ولا يقنع باهتدائه بل يذكر في مجال فخره أنه يهدي رفاقه في الليالي المظلمة"[٢] وكذلك بأنه يرمي إذا طُلب منه الرمي في غارة، أو فاجأه خصومه.

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١٣١).

(٢) الشعراء الصعاليك، في العصر الجاهلي، يوسف خليف، ص: (٢٤٢).

ومن ذلك أيضاً قول مالك بن خالد الخناعي[١]:

**ويمّمـــت قـــاعَ المُســـتجيرةِ إنّـــني بأنْ يتلاحَـــوا آخِـــرَ اللَّيـــلِ أربُ**
**فـــلا تَجْزَعـــوا إنّا رِجـــالٌ كَمِـــثْلِكُمْ خُـــدِعْنا ونَجّتْنـــا المَـــنَى والعَواقِـــبُ**
**كَمْعجِـــزِكم يـــومَ الرَّجيـــعِ حِســـابَنا كَـــذَلِكم إنّ الخُطـــوبَ نَوائِـــبُ[٢]**

يفخر الشاعر بنفسه، وكيف أنه نجا من خصومه، وترك بعضهم يلوم بعض، وأنه أراد لهم أن يختصموا في أمره، ويلوم كلا منهم صاحبه، ويتجرعوا مرارة الجزع والندامة بأنه نجا وأنجاه المنى بمعنى "القدر"[٣]، ثم يُذكِّر خصومه بما كان عليهم من الأيام كيوم الرجيع الذي انتصر فيه قومه على خصومهم.

وذلك من عادة الدّهر أن يعطيك، ثم يأخذ منك، وهذا ظاهر من قوله "إن الخطوب نوائب" لقد أحس الشاعر بالدّهر، وتقلبه، وإنه سبب في تغير الأحوال، وتبدل الأمور فالخطب هو الأمر المفزع فتارةً يصيبك، وتارة يخطئك، ويصيب غيرك، وقد تكررت في هذه الشواهد مرادفات الدّهر كقوله: "آخر الليل، ويوم الرجيع، والمنى، والخطوب نوائب" وكلها دالة على الدّهر، أو دالة على الزمن الذي يرادف الدّهر فما الليل واليوم إلا جزء من الزمن والمُنى بمعنى القدر وهو مما رادف الدّهر.

ومما رادف الدّهر الموت ومن ورود ذلك في سياق الفخر قول حذيفة بن أنس[٤]:

**وكُنَّـــا أُناســـاً أَنْطَقَتْنـــا سُـــيُوفُنا لَنـــا فِي لِقَـــاءِ المـــوتَ حَـــدٌ وَكَوْكَـــبُ[٥]**

---

(١) مالك بن الحارث أخو بني كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل . ديوان الهذليين ، ج٣، ص: (٨١).
(٢) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (١١).
(٣) نفسه، ج٣، ص: (١١).
(٤) حذيفة بن أنس : أحدُ بني عامر بن عمر بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .ديوان الهذليين ج٣ ص(١٨).
(٥) نفسه، ج٣، ص: (٢٥).

يفخر الشاعر بنفسه وقومه، وذلك بأنهم أهل قتال ودرايةٍ بالحرب فإذا ما قُدر عليهم القتال أوقعوا السيوف في ضرب الخصوم فتنطق لهم بالنصر، ولا يهابون الموت؛ لأنهم أهل قوةٍ وبأس.

ومما رادف الدّهر أجزاء الزمن: كالضحى والصباح ومن ذلك قول أبي قلابة:

**فيأسُـكَ مـن صـدِيقِك ثُمَّ يَأْسـي ضُـحى يـومِ الأَحَـثِّ مِـن الإِيابِ**

إلى قوله:

**يُسـامُون الصَّـباحَ بـذي مُـراخٍ وأُخْـرَى القَـوْمِ تَحْـتَ حَرِيـقِ غَـابِ**[١]

يفخر الشاعر بيوم من أيام قومه وهو يوم الأحث "موضع من بلاد هذيل، ولهم فيه يوم مشهور"[٢] "ثم يفخر بأنهم قهروا خصومهم، وساموهم العذاب، وسقوهم ما لا يشتهون، أي: ما يكرهون"[٣] من القتل والضرب والطعن حتى أنهم لا يستطيعون فراراً، وليس لهم قوة في النزال، ثم شبه ما أوقعوا بخصومهم من النكال بالحريق الذي يأكل الأخضر واليابس، ويكون نكالاً على الموضع الذي يشتعل فيه، وتكرار الشاعر لمرادفات الدّهر: "كضحى، ويوم الأحث، والصباح" فيها جانب من الفخر بالأيام التي حقق الشاعر، وقومه فيها النصر على خصومهم وفيها جانب من إحساس الشاعر بفاعلية الدّهر بتبدل الأحوال، وتغيرها إذا أوقعهم دهرهم في منازلة خصومهم.

---

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٣٤).

(٢) نفسه، ج٣، ص: (٣٤).

(٣) نفسه، ج٣، ص: (٣٤).

ومما رادف الدّهر اليوم ومن ورود ذلك في سياق الفخر قول مالك بن الحارث:

**تقُـــول العـــاذِلاتُ أكـــلِّ يـــومٍ لَرِجْلـــةِ مالِـــكٍ عُنُـــقٌ شِـــحاحُ**
**كَـــذلك يُقتَلـــون معـــي ويومـــاً أَءُوب بـــهم وهـــمْ شُـــعْثٌ طِـــلاحُ**
**ويومـــاً نَقْتـــل الأَثارَ شَـــفْعاً فَنَـــتْرُكُهمْ تَنُوبـــهم السِّـــراحُ(١)**

يفخر الشاعر بمنازلة خصومه، وأنه يُصيب منهم، ويُصيبون منه، ويراوح بين الأيام فيوماً يصيب مراده، ويثأر لنفسه وقومه، ويترك خصومه للذئاب، وغيرها من السباع ويوماً يصيبون منه، وكذلك حال الدّهر بأن يقدر لك يوماً تصيب هدفك، وتبلغ مرادك، ثم يأتي يوماً تكون عليك فيه غلبةٌ وترة.

ومن ذلك أيضاً قول أبي جندب:

**إذا مَعْشَـــرٌ يومـــاً بَغَـــوْني بَغَيـــتْهُم بِمُســـقِطة الأَحْبَـــال فَقْمـــاءَ قِنطِـــرِ(٢)**

فالشاعر يفخر بنفسه، وأن خصومه إذا أرادوه بشرٍ في يومٍ من الأيام؛ فإني مُريدَهم بأشد منه حتى تسقط نساءهم من شدة خوفهم وجزعهم، وذلك إمعاناً من الشاعر في الفخر ومبالغةً فيه، حيث جعل الخوف يتجاوز الرجال، ويصل إلى النساء، وليس من عادة النساء أن يخضن الحروب، أو يهتموا لأمرها فجعل الخوف يبلغ نساءهم حتى يُسقطن ما في بطونهن من حمل، وفي فخر الشاعر بنفسه ظهر مستعداً على الدوام لمن أراده بشر ففي أيّ يوم أراده الخصوم فهو مبتغيهم بمثل ما أرادوا من الشر، واليوم من أجزاء الزمن، وذلك مما رادف الدّهر، ومن ورود الدّهر في سياق الفخر قول عمرو ذي الكلب:

---

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٨١).
(٢) نفسه، ج٣، ص: (٩٣).

**وأَبْــرحُ في طَــوالِ الــدّهر حــتى أُقِــيم نِســاءَ بَجْلَــةَ بالنِّعــالِ**[١]

فالشاعر في سياق فخره بنفسه يصر على غزو خصومه، وإلحاق الضرر بهم، ويعلن عزمه على بقائه طول الدّهر غازياً لخصومه، واتراً لهم، قاتلاً لرجالهم، وتاركاً نساءهم يضربون صدورهن بالنعال، وعند تتبع الدّهر، ومرادفاته في سياق الفخر كان الشعراء أكثر استخداماً للمرادفات، ولم يستخدم شاعر منهم لفظة الدّهر صريحة في سياق الفخر إلا هذا الشاهد الآنف الذكر، وبقية الشواهد استخدم الشعراء فيها المرادفات: ك يوم الذي أكثر الشعراء منه لاسيما، وأن الفخر يُذكِّر الشاعر بالأيام التي حقق فيها النصر على خصومه، أو لفظ الموت المرادف للدهر حيث يصف الشاعر أن من ينازله فإنه سيسلمه للموت لا محالة، وكذلك ألفاظ الوقت: كالضحى والساعة وآخر الليل والعشي فكلها ألفاظ تدل على الزمن، وذلك مما رادف الدّهر، والشاعر يسجل فخره مقروناً بهذه الأجزاء الزمنية لإحساسه بأهمية الزمن إذ يبقى شعره أثراً يروي إذا تقادم العهد، وحتى بعد ممات الشاعر وذهابه فالزمن مستمر وأجزاؤه متتابعة، والإنسان يندثر فحين ذلك يبقى ما خلّد من الذكرى، والمفاخر مقترنة بالمآثر المذكورة كيوم ينتصر فيه، ودهر يغالبه، ويقهره وليلةٍ يَشُن فيها غارة، ويهدي فيها ضالٌ في مجاهل الصحراء؛ ليدلل على فطنته، وذكائه، وصُبحٌ يباغت فيه خصوماً وعشية يكمن عن ذي ثأر، وخطبٌ يُصيبه فيحتمله، وخطبٌ يُصيب به غيره فيسره وموتاً يحمله لخصومه في سيفه ورمحه ويوماً يضمر فيه الشر للعدو ودهرٌ يصر على البقاء فيه غازياً لخصومه مهدداً لهم بالقتل والتنكيل.

---

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (١١٥).

## الفصل الثاني

# البناء الفني في ابيات الدهر

١) المبحث الأول: اللغة الشعرية.

٢) المبحث الثاني: الأسلوب.

٣) المبحث الثالث: الصورة الشعرية.

٤) المبحث الرابع: مصادر الصورة الشعرية.

## الفصل الثاني: البناء الفني في أبيات الدهر

### المبحث الأول: في اللغة

اللغة: تعتبر اللغة ركيزة أساسية في الإبداع الأدبي، وكلما كانت اللغة راقية ومعبرة كان العمل الأدبي أكثر مُتعةً وقبولاً واللغة قابلة للتطور، والأديب عليه أن ينتقي ألفاظه؛ ليجد القبول عند المُتلقي، ولم يهمل النقاد القدماء هذا الأمر، فقد وصف القاضي الجرجاني في شرحه للتطور اللغوي الذي طرأ على لغة الشعر بقوله: "اختار الناسُ من الكلام أليَنُه وأسهله وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً، وألطفها من القلب موقعاً، وإلى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على أسلسها وأشرفها، كما رأيتهم يختصرون [ألفاظ] الطويل؛ فإنهم وجدوا للعرب فيه نحواً من ستين لفظة أكثرها بشع شنع، كالعَشَنَّط، والعَنطنط.... فنبذوا جميع ذلك وتركوه، واكتفوا بالطويل"(١).

واللغة الشعرية لغة إبداع، يتميز بها الشعر على غيره من الفنون الأدبية الأخرى، والشاعر يصل من خلال اللغة إلى المُتلقي، وذلك عندما ينظم أفكاره ويعبر عن مشاعره بلغةٍ إبداعية جميلة "ولاشك أن الشاعر من خلال اللغة يستطيع أن يشبع حاجاته الذهنية، والنفسية، والفكرية باعتبارها مادة حركية ومرنة في التعبير والإبداع، وحيث تخضع مفردات اللغة للتجربة الشعورية واللاشعورية، وتُشكل وفق مقتضيات التعبير عن هذه التجربة تصبح حينئذٍ لغة شعرية"(٢).

واللغة هي التي تحمل أفكار الشاعر وتجاربه، وتوصلها إلى المُتلقي في أحسن صوره، وأتم بيان.

واللغة الشعرية متجددة ومتغيرة حسب تغير الشعراء والعصور والبيئات الشعرية، فلكل

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، ص: (٢٥).

(٢) الأدب وفنونه، د/عزالدين إسماعيل، ص: (٨٣).

شاعر مقدرة لغوية تختلف عن غيره، ولكل شاعر طريقته في التعبير عن مشاعره وأفكاره، والكلمة الشعرية ذات مدلولات متعددة، فهناك دلالات صوتيةٌ وإيقاعيةٌ ومعنويةٌ بعكس الكلام المعتاد الذي يرتكز الاهتمام على معناه فقط.

وفي الحديث عن اللغة الشعرية تحصرنا طبيعة البحث عن الحديث في مجال ظاهرة الدّهر ومرادفاته في ديوان الهذليين الذي يجمع قرابة ثلاثين شاعراً، وهذيل من أفصح القبائل العربية، وتحتل مكانة عالية من اللغة الأدبية المُثلى، مما جعل البلاغيون يستشهدون بفصيح أشعارهم، وكذلك وجد اللغويون في شعرهم ما يطلبون لشرح غريب اللغة، وذلك دليلاً على أصالة لغتهم يقول أبو عمرو بن العلاء: "أفصح الشعراء لساناً، وأعذبهم أهل السروات، وهن ثلاث، وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن فأولها هذيل..."(١).

ولتعدد الشعراء فقد تعددت طُرقهم، وتنوعت أساليبهم، واختلف كل شاعرٍ عن غيره في صياغة ألفاظه، وتشكيل لغته الشعرية فمنهم من استخدم الألفاظ السهلة الرقيقة العذبة التي تصل إلى المُتلقي بسهولة ويسر دون جُهد أو عناء، ومنهم من استخدم الألفاظ الغريبة الصعبة التي لا تُفك رموزها إلا بمعاجم اللغة، ومنهم من جمع في شعره بين السهولة والغرابة، وظهر في بعض أشعارهم التأثر بمعاني القرآن الكريم، وتعاليم الدّين الإسلامي الحنيف، وهناك بعض الألفاظ التي توارثها الشعراء، وتأثروا ببعضهم في ترديدها وتكرارها، ولعلنا نأتي على تفصيل ما ذُكر بالشواهد الشعرية:

---

(١) العمدة لابن رشيق القيرواني، ج١، ص: (٨٨)، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبدالحميد. ط: الخامسة ١٤٠١هـ.

## أولاً: الغريب في شعر الهذليين

يتميز الشعر الهذلي بشيوع الغريب من الألفاظ والمغلفة بالغموض التي لا يصل معناها إلا بالرجوع إلى معاجم اللغة.

ولم تكن هذه الغرابة مما يقلل قيمة الشعر الهذلي فهو مما يُسهل شرح غريب اللغة، وأعتدّ به العلماء، وجعلوه مرجعاً يحتكمون إليه لصفاء قرائح أهله، وفصاحة ألسنتهم، وبُعدهم عن العجمة يقول الجاحظ "فإن كانوا إنما رووا هذا الكلام لأنه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة، وإن كانوا إنما دونوه في الكتب، وتذاكروه في المجالس لأنه غريب فأبيات من شعر العجاج، وشعر الطرماح، وأشعار هذيل تأتي لهم مع حسن الرصف على أكثر من ذلك"[١] فالجاحظ يرى أن من غريب أشعار هذيل ما يتصف بالحُسن في نظمه ورصفه وستكون الشواهد الشعرية مقصورة على موضوع الدراسة، وما يتعلق بها ومن هذه الشواهد:

قول أبي ذؤيب الهذلي:

**نامَ الخَلِيُّ وبِتُّ اللَّيْلَ مُشْتَجِراً كأنّ عَيْنَيَّ فيها الصابُ مَذْبُوحُ**[٢]

فالفعل اشتجر بمعنى وضع يده تحت رأسه، وقد تبدو الغرابة في هذا الفعل، وبالرجوع إلى معاجم اللغة يَتبين معناه قال صاحب اللسان: واشتجر الرجل وضع يده تحت شَجْرِهِ على حنكه"[٣] ثم أورد بيت أبي ذؤيب ويقول الدكتور عبدالجواد الطيب "ولكن ربما كانت غرابتها راجعة إلى قلة دورانها على الأقلام والألسنة"[٤].

فالشاعر يصف حالته الحزينة، وما اعتراه من الهم في تلك الليلة فنام من حوله، وبات

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ، ج١، ص: (٣٧٨)، ط. السابعة، ١٤١٨هـ، تحقيق. د/عبدالسلام هارون.

(٢) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٠٤).

(٣) لسان العرب لابن منظور مادة. شجر، تحقيق: عبدالله الكبير وآخرين. مطبعة دار المعارف.

(٤) من لغات العرب لغة هذيل. د/عبدالجواد الطيب، ص: (٢٨٧).

ليلته على تلك الصفة الغريبة واضعاً يده تحت رأسه متذكراً لذلك (المرثي) الذي قلق لذكراه، ونزفت عينه الدموع لفراقه.

ومن الأفعال الغريبة في ديوان الهذليين الفعل ينضاع ومن ذلك قول صخر الغيّ:

**فُرَيْخان يَنْضاعان في الفَجْر كلَّما أحَسَّا دَوِيَّ الرِّيحِ أو صوتَ ناعِبِ**(١)

"الفعل (ينْضاع) في هذا المعنى مناظراً للفعل (ضاع يضوع) وهذا البيت مما يستشهد به اللغويون على وجود الفعل انضاع"(٢).

والشاعر ربط بين طلوع الفجر، وحركة الفراخ يسوقها الأمل منتظرةً أمها التي هلكت، والبيت من قصيدة رثائية حشد فيها الشاعر عدداً من أصناف الكائنات الحية بدأها بالإنسان، ثم الوعل والطير، وجعل هلاكها على يد الدّهر، وقد وفق الشاعر في الربط بين أمل الفراخ بعودة الأم، وطلوع الفجر فكل حيٍّ يستيقظ على أمل.

ومن غريب الألفاظ كلمة (الفلاط) ومن الشواهد الشعرية المتضمنة لتلك الكلمة قول المُتنخل:

**بـه أحمِي المُضافَ إذا دعاني ونفسي ساعة الفَزعِ الفِلاطِ**(٣)

"والفلاط في اللغة بمعنى الفجأة، ومنه أفلطه الأمر، أي: فاجأه"(٤).

فالشاعر يفخر بنفسه، ويصف سيفه وإنه يدّخره؛ ليحمي به من لجأ إليه، ويحمي نفسه ساعة الفزع حين يفاجئه أمرٌ يخافه.

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٥٦).

(٢) من لغات العرب لغة هذيل، د/عبدالجواد الطيب، ص: (٢٩٢).

(٣) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٢٦).

(٤) لسان العرب، لابن منظور. مادة "فلط".

ومن غريب الألفاظ الهكر، وقد وردت في قول أبي كبير الهذلي:

**فَقَــدَ الشــبابَ أبــوكِ إلا ذَكَــرُهُ فأُعجــبْ لــذلك فَعْــلَ دهــرٍ وأَهكَــرِ**[١]

"والهكر: أشدّ العجب"[٢].

والشاهد من قصيدة في الشكوى من الشيب، يتحسر فيها الشاعر على شبابه الذي لم يبقِ منه إلا الذكريات، ويسند فاعلية ضعفه، وإدبار شبابه وقوته، وإقبال ضعفه، وقلّة حيلته إلى الدّهر، ويدعو إلى التعجُّب من صنيع الدّهر به.

ومن غريب الألفاظ في شعر أبي ذؤيب الهذلي:

"الجون" ومن شواهد ذلك قوله:

**والــدّهر لا يَبْقَــى علــى حَدَثَانِــهِ جَــوَنُ السَّــراةِ لــه جَدائِــدُ أَرْبَــعُ**[٣]

فالجون بمعنى الأبيض والأسود ورد في لسان العرب "الجون من الألوان، ويقع على الأسود والأبيض"[٤].

فالشاعر في ضربه للأمثلة على فاعلية الدّهر ضرب مثلاً بالحمار الوحشي، وأنه هالك، ولن يستطيع مقاومة الأيام "إنما اعتبر الشاعر في حدثان الدّهر بحمار الوحش، لما ذكروا من أنه يعمر مائتي سنة أو أكثر من ذلك"[٥] ثم يصل إلى النهاية التي يصل إليها كل حي فيموت كما يموت غيره من الكائنات.

ومن غريب الألفاظ "منازيح" ومن ذلك قوله:

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١٠١).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (١٠١).
(٣) نفسه، ج١، ص: (٤).
(٤) لسان العرب، مادة "جون"، ص: (٧٣٢).
(٥) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٤).

**وصَــرَّحَ المــوتُ عــن غُلْــبٍ كــأنّهُمُ جُــرْبٌ يــدافِعُها الســاقي مَنــازِيحُ**[١]

"المنازيح: اللواتي يطلبن الماء من مكان بعيد"[٢].

وصف الشاعر الأبطال في ميدان القتال، ورهبة الناس منهم، واتقاء ضرّبهم، وانكشاف الموت عند مقارعتهم، وشبههم بالإبل التي أصابها الجرب؛ فتخيف الراعي على قطيعه، وهؤلاء الأبطال يتدافعون على القتال كما تتدافع الإبل التي تطلب الماء، وتنزح له من مكانٍ بعيد.

ومن غريب الألفاظ "أدفى" ومن ذلك قول ساعدة بن جؤية:

**تاللهِ يَبْقَــى علــى الأيّامِ ذو حِيَــدٍ أدْفَى صَـلودٌ مـن الأوعـال ذو خَـدَمِ**[٣]

"فذو حيدٍ أي: في قرنه، والأدفى الذي في قرنه دفئ، وهو الحدب، وهو الذي تحنى قرناه إلى ظهره، والصلود الذي يصلد برجله، أي: يضرب بها على الصخرة فتسمع لها صوتاً"[٤].

يُقسم الشاعر بأن الأيام مهلكة الوعل، ولن تعصمه الجبال والمرتفعات التي يمتنع بها، والشاعر جعل الوعل رمزاً للصمود أمام الموت، ولكن هذا الصمود له أجلٌ محدود، وسرعان ما تمر الأيام؛ لينقضي الأجل، ويصل الوعل إلى نهايته.

ومن غريب الألفاظ "أنس" ومن ذلك قوله:

**فالــدّهر لا يَبْقَــى علــى حَدَثانِــه أَنَــسٌ لَفيــفٌ ذو طَوائِــفَ حَوْشَــبُ**[٥]

"والأنس اللفيف بمعنى الجماعة الكثيرة يلتف بعضها حول بعض"[٦].

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٠٩).
(٢) نفسه، ج١، ص: (١٠٩).
(٣) نفسه، ج١، ص: (١٩٣).
(٤) نفسه، ج١، ص: (١٩٣).
(٥) نفسه، ج١، ص: (١٨٣).
(٦) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٨٣).

يقرر الشاعر بأن الدّهر مهلك الأحياء، مُفرق الجماعات، مهما التفت تلك الجماعة، واكتسبت من صفات القوة، والبقاء فالدّهر قادرٌ على هلاكهم.

ومما استشهد به اللغويون، ونُسب إلى لغة هذيل (حِسابٌ) ورد في لسان العرب "يُقالُ: أتاني حِسابٌ من الناس، أي: جماعةٌ كثيرةٌ وهي لغة هُذيل"(١).

ومن ورود ذلك في ديوان الهذليين قول مالك بن خالد الخناعي:

**كَمْعجِـزِكم يـومَ الرَّجيـعِ حِسـابَنا كَـذَلِكم إنّ الخُطـوبَ نَوائِـبُ**(٢)

"يُذَكِّر الشاعر خصومه بعجزِهم يوم الرجيع، والحساب: الكثرة"(٣).

والخطوب نوائب أي: تنوب الإنسان تارةً فتصيبه مرةً، وتخطئه مرةً أُخرى؛ لتصيب غيره فيوماً لك ويوماً عليك، وذلك حال الأيام.

ومما استشهد به اللغويون من ألفاظ وردت في ديوان الهذليين "الأرزان" ومن ذلك قول ساعدة بن جؤية:

**ظَلَّـتْ صَـوافِنَ بالأَرْزان صـادِيةً في مـاحِقٍ مـن نَهـار الصَّـيْف مُحْتَـدِمِ**(٤)

"والرَّزْنُ والرِّزْنُ: أكمة تُمسِكُ الماَء. وقيل: هو مكانٌ مُرتفِع يكون فيه الماء، والجمع أرزانٌ ورُزونٌ ورِزانٌ"(٥) ثم استشهد صاحب اللسان بهذا البيت لبيان معنى كلمة "الأرزان" والشاعر يصف حالة البقر الوحشي، وبحثها عن الماء، ومتابعة الصياد لها في يوم شديد الحرارة حتى أجهدها التعب، والعطش فظلت صوافن "قائمات على ثلاث قوائم، ثانية سنبك يدها الرابعة"(٦) وفي هذه الحالة ما يُبين ضعفها، وشدَّة الجهد الذي أدركها؛ لتصل إلى نهايتها

---

(١) لسان العرب، مادة "حسب"، ص: (٨٦٥).
(٢) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (١١).
(٣) نفسه، ج٣، ص: (١١).
(٤) نفسه، ج١، ص: (١٩٧).
(٥) لسان العرب، مادة "رزن".
(٦) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٢٠٠).

ويدركها "طول النهار وليل غير منصرم"[١] وفي ذلك بيان لامتداد الدّهر بكل حي حتى يوصله إلى الهلاك.

ومما ورد في سياق الاستشهاد في كتب اللغة "الدَّعْبُوب" أورد صاحب اللسان "الدَّعْبُوب: الطريق المذلل الموطوء، وهو الذي يسلكه الناس"[٢] ثم استشهد بقول جَنوب الهذلية، ونجد ذلك في قولها:

**وكــلُّ حــيٍّ وإن طالــتْ ســلامتهمْ يومــاً طــريقُهم في الشّــرِّ دُعْبــوبُ**[٣]

تُقرر الشاعرة بأن الموت مصير كل حيٍّ مهما طالت سلامته فإن له طريقاً إلى الشر، والهلاك يسلكه كما سلك غيره من الناس.

وفي هذه الشواهد الآنفة الذكر ما يدلل على غرابة لغة شعر الهذليين، واعتماد بعض ألفاظها مرجعاً لعلماء اللغة لبيان، ما استغلق فهمه، وهذه الغرابة لا تُضعف من مكانة هذا الشعر، وإنما تدل على فصاحة الشعراء، وثرائهم اللغوي، واستقى المفردة من منابعها الأصيلة.

والبعد عن العُجمة مما حقق الاستفادة من شعرهم في بيان المُبهم، وحل المُشكل من مفردات اللغة، وشرح الغريب، واعتبار الشعر مرجعاً في ذلك فالكامل للمبرد والصاحبي لابن فارس واللسان لابن منظور كلها وجدت في شعر الهذليين مفردات لغوية لتفسير الكلمات النادرة الاستعمال والغامضة في معناها، ومن الشعراء الهذليين البارزين في ذلك ساعدة بن جؤية وأبي ذؤيب الهذلي.

**سهولة الألفاظ ورقة العبارة:** إن الشواهد السابقة لا تنفي أن يكون لشعراء هذيل نتاج شعري، اتسمت فيه لغتهم الشعرية بسهولة الألفاظ ورقة العبارة، وحسن الصياغة، والوضوح

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٩٧).

(٢) لسان العرب، مادة "دعب"، ص: (١٣٧٧).

(٣) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (١٢٤).

ومن النقاد القدماء من أشار إلى ذلك.

يقول ابن طباطبا "فمن الأشعار المُحكمةِ، المُتقنةِ، المُستوفاة المعاني الحسنة الوصف، السلسة الألفاظ، التي خرجت خروج النثر سُهولة وانتظاماً، فلا استكراه في قوافيها، ولا تكلف في معانيها، ولا عيَّ لأصحابها فيها"(١) ويورد منها قول أبي ذؤيب :

**أمِـــنَ المَنُـــونِ وريْبِهـــا تَتَوَجَّـــعُ؟ والـــدّهر لـــيسَ بِمُعتِـــبٍ مـــن يَجْـــزَعُ**
**وإذا المَنِيَّـــةُ أَنْشَـــبَتْ أَظْفارَهـــا ألْفَيْـــتَ كـــلَّ تَميمَـــةٍ لا تَنْفَـــعُ(٢)**

ونلحظ سهولة اللغة الشعرية عند الهذليين في غرض الرثاء خاصة، فالشاعر يعبر عن حُزنه لفقيده، وألم الفراق، وليس لديه مجالاً أن يُغرق في الوصف، أو يُمعن في تخير الألفاظ، وإنما يُشكل صياغة ألفاظه الشعرية كما تُملي عليه الفطرة والطبيعة، ليعبر عن مكنونه الداخلي وما يقاسيه من الحزن والأسى ومن شواهد ذلك قول المتنخل:

**مـا بَالُ عينِـك تَبْكِـي دَمْعُهـا خَضِـلُ كمـا وَهَـيَ سَـرِبُ الأخْـراتِ مُنْبَـزِلُ**
**لا تَفْتـأُ الـدّهر مـن سَـحٍّ بأرْبَعَـةٍ كـأنَّ إنْسَـانَهَا بالصَّـابِ مُكْتَحِـلُ(٣)**

فالشاعر يستخدم ألفاظ سهلة واضحة تعكس معاناته، وتُبين الحزن، والألم الذي يعتصر قلبه، وعبَّر عن ذلك بقوة بيان ودقة تصوير وسهولة في اللفظ؛ لينقل صورة هذا الحزن للمُتلقي في وضوحٍ وجلاء، ومن سمات اللغة الشعرية في مادة البحث الوضوح والإيجاز فلم تكن لغة الشعراء رمزية، ولم تغرق في الخيال ولعل ذلك مما فرضته طبيعة الحياة الصحراوية وبساطة الواقع والفطرة البدوية الخالصة فأدرك الشعراء واقعهم، وضربوا الأمثلة من البيئة المحيطة بهم، واستقى

---

(١) عيار الشعر، لأبي الحسن مُحَمَّد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق: عبدالعزيز ناصر المانع، ص: (٨٢)، ط. دار العلوم ١٤٠٥هـ.

(٢) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٣).

(٣) نفسه، ج٢، ص: (٣٣).

الشعراء تشبيهاتهم مما حولهم من مظاهر الطبيعة، وحياة الكائنات التي تشارك الإنسان في الوجود، وتتأثر بالحياة كما يتأثر الإنسان، ومن هذه التشبيهات قول أبي خراش:

**ونَعْـــلٍ كأَشْـــلاءِ السُّـــمانَى نَبَـــذْتُها خـلافَ نَـدىً مـن آخِـر اللّيْـلِ أُورِهـم**(١)

فالشاعر يشبه نعله المتقطعة بالسمان المأكولة التي لم يبقِ إلا جناحاها وجلدها، فحقق الشاعر مراده، ونقل فكرته بتشبيه واضح من الواقع الذي يعيشه في بيئته دون إمعاناً في الخيال، أو تكلف في الصياغة.

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٣١).

## الوضوح والتجديد في المعاني

ومن سمات الوضوح في شعر الهذليين أن يستخدم الشاعر ما يؤكد فكرته، ويحقق بها الإيضاح لما يريد، خاصةً عند ضرب الأمثال لفاعلية الدّهر، أو صياغة الحكمة، ومن هذه المؤكدات (إنَّ) ومن شواهد ذلك:

قول أبي ذؤيب: إنِّي لَرَيْبِ الدّهر لا أَتَضَعْضَعُ(١).

وقول بدر بن عامر: إنّ الدّهر ذو تَلْوِينِ(٢).

وقول مالك بن خالد: أو تُخْلَسيهمْ فإنّ الدّهر خَلاسُ(٣).

والملاحظ أن الجملة التي تصدرتها (إنّ) في قول أبي ذؤيب كانت مؤكدةً لدلالة على قوة الشاعر وتماسكه وصبره على البلاء، وعدم الخضوع أمام جبروت الدّهر وبطشه، وإثبات الممانعة أمام هذا الخصم العارم وهو (الدّهر) ،وفي الشاهد الثاني والثالث كان التأكيد لدلالة على إيصال فكرة الشاعر لما يريد إيصاله من حكمة في تلون الدّهر، واختلاسه لكل حيٍّ، وإثبات هذا الأمر بأنه عادة للدّهر.

وفي حديث الشعراء الهذليين عن الموت ذكروا ألفاظاً، وصيغاً مجازية تدل على مهارة الشاعر اللغوية في إكساب لغته الشعرية معاني دلالية جديدة، ومن هذه الألفاظ الدّهر، والأيام فقد استعملها الشعراء للدلالة على الموت، ومن ذلك قول صخر الغيّ:

**أرَى الأيَّامَ لا تُبْقـــــي كَرِيمـــــاً ... ولا العُصْـــمَ الأوابِـــدَ والنَّعَامـــا(٤)**

فالهلاك بفعل الموت، وجعل الشاعر الأيام، وتتابعها سبب في الوصول لتلك النهاية

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٣).

(٢) نفسه، ج٢ ، ص: (٢٦٤).

(٣) نفسه، ج٣، ص: (١).

(٤) نفسه، ج٢، ص: (٦٣).

فكانت الأيام بمثابة الموت في هلاك المخلوقات.

ومن ذلك أيضاً قول أبي كبير:

**أَخَـلاوَ إنّ الـدّهر مُهلـكُ مـن تَـرَى مــن ذي بنِــين وأُمُّهــمْ ومِــنِ أَبــنمِ**[١]

فكل ما ترى هالكاً بالموت، واستعمل الشاعر لفظة الدّهر نظيراً للموت في هلاك كل والدٍ ومولود.

ومن العبارات التي استخدمها الهذليون في أشعارهم ونُسبت لهم في كتب اللغة: العصر الجديد، والموت الجديد، ومن ذلك قول صخر الغيّ:

**وقالــت لــن تــرى أبــداً تَلِيــداً بِعَيْنــك آخــر العصــرِ الجديــد**[٢]

"قال ابن جنّي: إذا كان الدّهر أبداً جديد فلا آخر له، ولكنه جاء على أنّه لو كان له آخرٌ لما رأيته. والجديد ما لا عهد لك به، ولذلك وصفَ الموت بالجديد هذلية"[٣] ثم استشهد بقول أبي ذؤيب:

**فَقُلــتُ لَقلْــبي يَالــكَ الخَيْــرُ! إنمــا يُــدليك للْمــوتِ الجديــدِ حَبابُهــا**[٤]

فالشاعر في الشاهد الأول وصف الدّهر بالجديد، وهذا الوصف غير معهود عن الشعراء قبله، وفي الشاهد الثاني وصف أبو ذؤيب الموت بالجديد، وكذلك فإن وصف الموت بالجديد وصف غير معهود عند الشعراء، وهذا ما جعل اللغويون ينسبونها للهذليين.

---

(١) ديوان الهذليين ، ج٢، ص: (١١١).

(٢) نفسه، ج٢، ص: (٦٧).

(٣) لسان العرب، مادة "جدد" ص: (٥٦٣).

(٤) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٧٢).

## التأثر بمعاني القرآن الكريم

تأثر الشعراء الإسلاميون بالدّين، واطمأنت به نفوسهم، واستلهموا معاني القرآن الكريم، واستقوا من مفرداته، وتوجهوا إلى الله في حال المصيبة يدعونه ويتوسلون إليه أن يلهمهم الصبر، ويرزقهم الثبات، وكان من ثمرات هذا التأثر بالدّين أن شاعت الألفاظ المستوحاة من القرآن الكريم، وإسناد الأفعال إلى مدبّر الكون، والتوجه الصادق إلى الله حال الضّر والشكوى والطلب منه سبحانه أن يرفع البلوى، ويخفف الهموم، وذلك يبين تغير العقيدة، والمفاهيم فالشاعر الجاهلي كان يُسند مصيبته إلى الدّهر متذمراً ساخطاً بالقضاء والقدر، بينما الشاعر الإسلامي يعود إلى الله شاكياً إليه مُصابه، ومؤمناً بقضائه طالباً منه العون على النوائب، ومن شواهد ذلك قول أمية بن عائذ:

**ومَـــرّ المَنُـــونِ بأمـــرٍ يَغُـــولُ  مـــن رُزءِ نفـــسٍ ومـــن نقـــصِ مـــالِ**
**إلى الله أشْـــكُو الـــذّي قـــد أرَى  مـــن النَّائِبَـــاتِ بِعـــافٍ وعـــالِ[١]**

فالشاعر عاد إلى الله في حال شكواه متأثراً بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾[يوسف:٨٦]، لقد ظهر أثر الإسلام واضحاً جلياً، وتردد صداه في نفس الشاعر، وامتلأ قلبه بالتوجه إلى الله فترجم بلسانه تلك المشاعر والعواطف بألفاظ رقيقة عذبة، تمتد أثرها من كتاب الله عز وجل الذي هو أفضل قول وأفصح بيان، ومن تأثر الشعراء بألفاظ القرآن الكريم استخدام بعض أساليب القسم الواردة في القرآن، ومن ذلك استخدام حرف القسم التاء مقترنة بلفظ الجلالة كقول أبي ذؤيب الهذلي:

**تاللهِ يَبْقَـــى علـــى الأيّامِ مُبْتَقِـــلٌ  جَـــوْنُ السَّـــراةِ رَباعٌ سِـــنُّه غَـــرِدُ[٢]**

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١٧٣).
(٢) نفسه، ج١، ص: (١٢٤).

فالشاعر يستحضر ما ورد في كتاب الله من صيغ القسم المُماثلة ويقسم بأن الأيام مفنية لكل حيّ، ولن يستطيع الصمود والبقاء على تقلباتها الحمار الوحشي ولا غيره من آكلات البقل.

ونجد صيغة القسم هذه في قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾[الأنبياء:٥٧].

القسم بالعمر ومن ذلك: قول أبو ذؤيب الهذلي:

**لَعُمْـــرُكَ والمَنَـــايا غَالِبـــاتٌ لكـــلِّ بَـــني أَبٍ منهـــا ذَنُـــوبُ**(١)

نجد صيغة هذا القسم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾[الحجر:٧٢].

فالشاعر متأثرٌ في صيغة القسم بما ورد في القرآن، ومما استلهمه الشعراء من معاني القرآن الكريم عن حقيقة الموت، وحتمية الفناء ما نجده في قول أبي ذؤيب:

**ولـو أنـي اسْـتَوْدَعْتُه الشَّـمسَ لارْتَقَـتْ إليـــه المِنـــايا عِيْنُهـــا ورَســـولُها**(٢)

ينفي الشاعر قدرة الإنسان على البقاء مهما بذل لذلك من أسباب فهذا (نشيبة) المرثي أدركته المنية، ولو أنه خرج من محيط الأرض، واحتمى بكوكب آخر، واستطاع أن يصل إلى الشمس، وكان وديعة عندها؛ لتدفع عنه أسباب المنية، فإن ذلك غير مُجدٍ، والمنية بالغةٌ إليه ناظرةٌ له بعينها، باعثةٌ إليه رسولها، وفي هذا القول يبدو إيمان الشاعر بحتمية القضاء متأثراً بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴿٧٨﴾﴾[النساء:٧٨].

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٩٢).

(٢) نفسه، ج١، ص: (٣٣).

وفي شعر أبي خراش ما يدل على تأثره بمعاني القرآن الكريم وألفاظه، ومن شواهد ذلك قوله:

**ومـــا أحـــدٌ حـــيٌّ تأّخَّـــرَ يَوْمَـــهُ بِأخلَـدَ مِمَّـن صَـار قبـلُ إلى الـرَّجْمِ**(١)

يُثبت الشاعر حتمية الفناء، وأنه مصير كل حي، ومن تأخر يومه فلا يظن بالخلود، وهذا الشاهد جاءت لغته تأثراً بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس:٤٩].

**ظاهرة التضاد:**

ومن الظواهر اللغوية في شعر الهذليين ظاهرة التضاد، والتضاد في اللغة يقترن بالخلاف "فالسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذلك"(٢).

وورد "الضِّدُّ بالكسر والضَّديدُ المِثْلُ، والمخالف وضاده خالفه، وهما مُتضادّان"(٣)، وللتضاد قيمة جمالية اهتم بها البلاغيون من خلال بنية النص "وقد شكل التضاد في شعر الهذليين على مختلف ألوانه ـ على مستوى الكلمة والمكان والزمان ـ بنية متكاملة فحمل همّ الوجود الهذلي حتى غدت بُنى التضاد انعكاساً لما خفي من مشاعر وأحاسيس، وهذا الانعكاس يتطلب تداخل المُستويات لبناء نسيج متكامل، يحمل رؤية هذلية خالصة(٤).

ومن شواهد التضاد في شعر الهذليين قول أبي ذؤيب الهذلي:

**هـــل الـــدّهر إلا لَيْلـــةً ونَهارهـــا وإلّا طُلـــوعُ الشّـــمْسِ ثُمَّ غِيارُهـــا** (٥)

صنف الشاعر الدّهر حسب شعوره، وإحساسه بأنه قائمٌ على العلاقة الضدية فالليل

(١) ديوان الهذلين، ج٢، ص: (١٥٣).
(٢) لسان العرب، مادة "ضدد".
(٣) القاموس المحيط، مادة "ضدد".
(٤) بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين، مُحَمَّد خليل الخلايلة، ص: (١١٣).
(٥) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٢١).

ضده النهار، وطلوع الشمس ضدها الغروب، وكذلك تقلبات الدّهر تؤذن بالزوال، والرحيل لكل حي فالوصل بعده الفراق، والراحة بعدها العناء، والحياة بعدها الموت، والشاعر يصنف هذه العلاقة الضدية بأنها سمة الدّهر، ويمتدح نفسه بأنه قادرٌ على مقارعة الأضداد، وأن هجر محبوبته لن يضعفه، أو ينال من عزمه فقد صبر على ما هو أعظم من ذلك، وهو فقد "نشيبة"، والشاعر ينتقل في قصيدته من المقدمة الغزلية إلى الغرض الذي أراده وهو رثاء "نشيبة".

وذلك في قوله:

**وإني صَبَرتُ النفس بعد ابن عَنْبَسٍ نَشَيْبَةَ. والهَلْكَى يَهيجُ ادِّكارُها** (١)

فالشاعر يصنف الدّهر بأنه يقوم على هذه العلاقة الضدية التي لا يملك أمامها إلا أن يستجمع قواه، ويُصبر نفسه فلا يُشمت خصومه بما يحل به من مصائب، تجرها إليه التقلبات التي منشأها تلك العلاقة الضدية.

ومن شواهد الجمع بين الأضداد في شعر أبي ذؤيب الهذلي قوله:

**بأَحسَنَ منها يوم قالت كُلَيْمَةً أتصْرِمُ حَبْلي أم تدومُ على الوَصلِي؟** (٢)

فقد جمع الشاعر بين ضدين هما: الصرم والوصل، وذلك يعكس إحساس الشاعر بضدية الدّهر، وتغير الأحوال، وعدم الثّبات على وتيرة واحدة فجمع بين الضدين مما أكسب لغته الشعرية قوةً وجلاءً في وضوح المعنى، وجمال العبارة، وحسن الترتيب، والتنسيق في الجمع بين الأضداد، ومن شواهد هذا التضاد في ديوان الهذليين قول صخر الغيّ:

**فذلِكَ ممّا يُحَدِثُ الدّهر إنَّه لهُ كلُّ مطْلُوبٍ حَثيثٍ وطالِبِ**(٣)

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٢٩).

(٢) نفسه، ج١، ص: (٣٧).

(٣) نفسه، ج٢، ص: (٥٧).

يجمع هذا البيت بين ضدين هما: المطلوب والطالب، وهو من قصيدة رثائية ضرب الشاعر فيها المثل بهلاك الوعل، ثم هلاك اللقوة؛ ليصل الشاعر إلى فكرته التي يضرب لها الأمثلة، وهي إهلاك الدّهر لكل طالبٍ ومطلوب، وكل الكائنات تخضع لهذا النظام فالإنسان جعله الشاعر طالب للوعل والفتخاء توسد فراخها لحوم الأرانب، وتملئ وكرها بقلوب الطير، وتطلب الغزال فينجو؛ لأن النجاة قد كُتبت له، وتهلك (الفتخاء) وهذه المخلوقات جميعها الطالب منها والمطلوب القوي منها، والضعيف تتضاءل قوتهم أمام سطوة الدّهر، ويحل بهم الهلاك جميعاً، وذلك مما يُحدثه الدّهر، ومن شواهد التضاد قول ساعدة بن جؤية:

**فكـــان حَتْفـــاً بِمقـــدارٍ وأدْرَكَهـــا طُـــولُ النَّهـــار ولَيـــلٌ غـــيرُ مُنْصَـــرم**(١)

فالنهار والليل ضدان اجتمعا في بيت واحد من قصيدة بدأها الشاعر بالشكوى من الشيب، ثم ذكر قصة البقر الوحشي، وبحثه عن الماء، وترصد الصياد لها، وتهديها بالهلاك حتى يدركها طول النهار، وتتابع الليل فجعل السلسلة الزمنية المُتتابعة سبب في هلاك البقر وهما: (الليل والنهار) ضدان، اجتمعا في حركة دائمة ليؤكدان حقيقة الفناء لكل حيّ.

ومن شواهد التضاد قول المعطل:

**فـأَظْلَمَ لَيْلِـي بعـدَ مـا كنـتُ مُظْهِـراً وفَاضَـــتْ دُمـــوعِي لا يُهِـــبنَ بأَضْـــرَعا**(٢)

جمع الشاعر بين ضدين، وهما: ظلام الليل في ظهر النهار، والشاهد من قصيدة رثائية يصف الشاعر فيها حالته النفسية، وتغير المفاهيم المعلومة في نظره لهول الفاجعة، وعظمة الحدث فقد امتلأ قلبه بالحزن على المرثي، واسودت الدنيا في عينه، فعاد نهاره في وقت الظهيرة التي هي قمة توهج النهار ليلٌ مُظلم، وهذا يُبين حالة الشاعر، وشعوره الداخلي، وألمه من واقعه المحزن، وجعل الليل والنهار ضدان يُفرغ فيهما عواطفه المكبوتة، ومشاعره المحزونة، فصراعهما

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٢٠٠).

(٢) نفسه ، ج٣، ص: (٤١).

صراع بين الموت والحياة، فسواد الليل موت، ونور النهار حياة، والشاعر عايش تلك الحياة بنور النهار في حياة ذلك الفارس.

وعندما علم بقتله أظلم نهاره، فالموت قد حل بالفارس الذي يرثيه فأحس بأن الظلام يحل بالكون والليل، أطبق على النهار فأظلم فنشأت العلاقة الضدية في ذهن الشاعر بين الحياة والموت، مستخدماً عنصر الزمنية بين الليل والنهار في تضادهما لإبراز تلك العلاقة الضدية بين الحياة والموت.

ومن شواهد التضاد قول قيس بن عيزارة:

**يومـــاً أردَ لهـــا المَليـــكُ نَفادَهـــا ونفادَهـــا بعـــدَ السَّـــلامِ يُريـــدُ**(١)

جمع الشاعر بين ضدين هما (النفاد والسلامة) في بيت واحد من قصيدة رثائية ضرب المثل فيها بهلاك البقر الوحشيّ بعد أن عاش في أمن وسلام، ولكن الله أراد لها الهلاك في هذا اليوم فقدر لها ما يُهلكها، وهذا التصور يمثل نظرة الشاعر إلى الدّهر، وجعله ميدان الصراع بين الأضداد، فالنفاد والهلاك ضد السلامة، والبقاء والغلبة تكون للدّهر إذ يحقق الفناء لكل حيّ، ولذلك عاش البقر في هناء وسلامة حينما سمح له الدّهر بذلك، وحينما طلبه الدّهر وحان يومها ذهبت كغيرها من الأحياء، وكان مصيرها الفناء.

وعند تتبع الشواهد السابقة نلاحظ أن الشعراء اتخذوا الدّهر ومرادفاته: كالليل والنهار مجالاً للصراع بين الأضداد؛ ليُثبت بذلك عنصر الزمنية، وأثرها في التحولات التي تصل بكل حي إلى نهايته، ويُبرز هذا الصراع قيمة الحياة رمز البقاء والموت الذي يعلن عن الفناء والزوال، وصراعات الشعراء النفسية، والعاطفة فيلجؤون لتلك العلاقة الضدية في الجمع بين المتنافرين وائتلاف العلاقة بينها؛ فتظهر القيمة الجمالية للتضاد مُبينة قدرة الشعراء اللغوية في الجمع بين الأضداد، وإكسابها معاني متنوعة تعكس حالة الشاعر النفسية، وصراعاته الداخلية من أجل

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٧٥).

إيصال أفكاره، ورؤيته لمن حوله في صياغة جميلة، ولغةٍ عالية تشهد لـمُبدع النص بالثراء اللغوي والقدرة على الإبداع والابتكار حينما يؤلف بين المتنافرين دون خلل في التركيب، أو ضعف في العبارة.

## المبحث الثاني : الأسلوب

لم يُغفل العلماء العرب القدامى الأسلوب، بل تناولوا ذلك في كتبهم ومؤلفاتهم النقدية واللغوية إذ يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني: "أن الأسلوب هو الضرب من النظم والطريقة فيه"(١) وورد في معاجم اللغة "ويقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب"(٢).

واستطاع ابن خلدون أن يستفيد من جهود البلاغيين والعلماء السابقين؛ ليضع تعريفاً للأسلوب بقوله "ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل الصناعة، وما يريدون بها من إطلاقهم فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيها التراكيب، والقالب الذي يفرغ فيه"(٣).

وتختلف أساليب الشعراء من غرض شعري إلى آخر، وتنوع درجات الانفعال من حيث القوة والضعف، ولذلك قدم القاضي الجرجاني نُصحه للشاعر قائلاً:

"ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحداً، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه، بل أرى أن تقسم الألفاظ على رُتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مدحك كوعيدك بل رتب كلاً مرتبته وتوفيه حقه فتلطف إذا تغزلت، وتُفخم إذا افتخرت، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه"(٤) ويرى الدكتور أحمد الشايب "أن العبارة أو الأسلوب وسيلة هامة لا تقل مكانتها عن مادة الأدب، أو معانيه لأن إيقاظ العواطف الأدبية يستند في كثير من الأحوال على جمال الأسلوب الذي تلبسه المعاني والأفكار، ومن المقرر أن أسلوب التعبير مجال العبقرية في الأدب وسائر الفنون الجميلة"(٥) ويرى الدكتور مُحَمَّد مندور: "أن الشاعر عليه أن يبتعد عن الأسلوب

---

(١) دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، ص: (٤٦٨ . ٤٦٩).

(٢) لسان العرب ،لابن منظور، مادة: سلب.

(٣) مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبدالله مُحَمَّد الدّرويش، ج٢، ص: (٣٩٧).

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل، وعلي مُحَمَّد البجاوي، ص:(٣٠).

(٥) أصول النقد الأدبي، د/أحمد الشايب، ص: (٣٠ . ٣١).

التقريري المسطح الخالي من كل تصوير، أو نتوء بياني، والأدب عامة والشعر خاصة لا يلائمه إلى التصوير البياني"[١] ومما سبق نستطيع القول بأن الأسلوب هو الطريق الذي يتخذه الأديب؛ لنقل أفكاره ومشاعره إلى المُتلقي في قالب لغوي يُحكم صياغته، وينتقي مفرداته ملائماً بين ألفاظه ومعانيه، وعند تتبع ظاهرة الدّهر في ديوان الهذليين نجد الشعراء نوعوا بين أساليبهم، وعبروا عما تجيش به عواطفهم ومشاعرهم من أفكار؛ لتصل إلى ذهن المُتلقي سالكين طرق التعبير المختلفة فتوجع الشعراء من الدّهر، ولجأوا إلى أسلوب التكرار، والقسم والشرط والتوكيد والاستفهام والأمر والنهي والنداء وغيرها من الأساليب التي سنعرض لها بالأمثلة والشواهد الشعرية.

(١) الأدب وفنونه، د/مُحَمَّد مندور، ص: (٣٧).

## أولاً: أسلوب التكرار

من أكثر الأساليب حضوراً في موضوع البحث أسلوب التكرار:

والتكرار في اللغة: الإعادة. والكرُّ: الرجوع"(١).

والتكرار: في الاصطلاح "دلالة اللفظ على المعنى مردداً"(٢).

وعقد له الثعالبي باباً في كتابه "فقه اللغة" بعنوان فصل في التكرير والإعادة وقال: "هي من سُنن العرب في إظهار العناية بالأمر"(٣).

والتكرار له دور في تأكيد المعاني وقيمة جمالية يكسبها للنص الشعري، وله أنماط متعددة فهناك التكرار الحرفي، وكذلك تكرار الكلمة، وتكرار الجملة، وتكرار الفقرة. وللهذليين في أساليبهم الشعرية ألفاظ، وعبارات متداولة تكررت بعينها على لسان الكثير من الشعراء "لقد جاء التشكيل التكراري مظهراً إسلوبياً اختاره مبدع النص؛ لينحرف بلغته إلى مدار اللغة الشعرية فما تكرار الشاعر لكلمة ما، أو لجملة معينة أو للازمة بعينها إلى مظهر إلحاحي يوحي بضرورة تلمس رؤية الشاعر، وإزالة اللثام عن همومه الداخلية التي اختمرت في خياله، وانتظمت شعراً"(٤) ومن شواهد تكرار العبارة في شعر الهذليين قول أبي ذؤيب الهذلي:

"والدّهر لا يَبْقَى على حَدَثَانِهِ"(٥) فقد كرر الشاعر هذا العبارة في بداية كل قصة يحكي فيها مصرع كائن حي تحت وطئه الزمان، فالدّهر سبب نكبة الأحياء، ولن يبقى منها عزيزاً ممتنعاً إلا أذله وأورده الهلاك، وما إصرار الشاعر على العبارة ذاتها وتكرارها في أربعة مواضع من

---

(١) لسان العرب، مادة: كرر.

(٢) المثل السائر ابن الأثير، ج٢، ص: (١٤٦).

(٣) فقه اللغة، ص: (٣٧٣).

(٤) بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين، ص: (٢٤).

(٥) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٤).

قصيدته إلا ليؤكد المعنى بهذا الأسلوب التكراري للمُتلقي على حتمية الفناء، وفاعلية الدّهر والشعراء الهذليون يصرون على استخدام هذه العبارة إذ وردت في اثنى عشر موضعاً كلها يُسند الشعراء فيها الفاعلية إلى الدّهر بأنه مُفني للأحياء، ومُوردهم للهلاك، ونجد ذات العبارة في شعر ساعدة بن جؤية:

**أرَى الـدّهر لا يبْقَـى علـى حَدَثَانِـهِ أبُـودُ بأطْـرافِ المَنَاعَـةِ جَلْعَـدُ**(١)

وفي شعر أبي كبير:

**والـدّهر لا يَبقَـى علـى حَدَثانِـهِ قُـبٌّ يَـرِدْنَ بـذي شُـجونٍ مُـبْرِمِ**(٢)

كلها تدل على تكرار للمعنى واللفظ، وذلك لإثبات نظرة الشاعر الهذلي للدّهر، وفلسفته للحياة وتأكيد حتمية الفناء لكل الأحياء، ونجدها في شعر غيرهم من الشعراء الهذليين فالجاهليون لم يستعملوا هذه الظاهرة ـ وتفرد بها الهذليون دون غيرهم. "وتحمل الصياغة الهذلية "والدّهر لا يبقى على حدثانه" تعميقاً لفكرة دوران الدّهر، وهي فكرة جوهرية وأساسية، كررها الشعراء الهذليون من خلال صياغة موحدة جعلوها افتتاحاً تقود إلى التفصيل في شؤون هذا التقلب في عالم الإنسان البطل، وعالم الحيوان القوي، ويكرر هذه الرؤية بإلحاح حتى تحقق فاعليتها التأثيرية"(٣).

وعلى مستوى تكرار الألفاظ فقد استعمل الشعراء الهذليون ألفاظ شكلتها بيئتهم الشعرية، ومن ذلك المنايا فقد كررها الشعراء في مواضع عدة، ومن شواهد ذلك قول أبي خراش:

---

(١) ديوان الهذليين، ص: (٢٤٠).

(٢) نفسه، ج٢، ص: (١١١).

(٣) بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين، ص: (٥٥).

**أَتَتْـــهُ المَنـــايا وهـــو غَـــضٌّ شَـــبابَهُ  ومـا لِلمَنـايا عـن حِمَـى الـنَّفسِ مِـن عَـزْمِ**[١]

وقوله أيضاً:

**لعَمْـــــرُكَ والمَنـــــايا غالبـــــاتٌ  علـــى الإنْسَـــانِ تطلـــعُ كـــلَّ نَجْـــدِ**[٢]

وقول أبي قلابة:

**لا تأمَـنَنَّ وإن أصْـبَحْتَ في حَـرَمٍ  إنّ المَنـــــايا بجَنْـــــبَيَ كـــــلَّ إنســـــانِ**[٣]

كرر الشعراء في الشواهد السابقة لفظة "المنايا" وهي مما رادف الدّهر، ودل عليه كما أُشير إلى ذلك في بداية البحث، وذلك في غرض الرثاء خاصة لدلالة على أن المنية حق، والفناء مكتوب على الأحياء والمنية، لا تفرق بين الناس في أعمارهم فربما تخرمت الشباب قبل غيرهم، وهي تصل إلى كل موضع، ومن الأحرى بالعاقل أن لا يأمن تقلبات الأيام.

ومما كرره الشعراء من الألفاظ "الخطوب"

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١٥٣).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (١٧١).
(٣) نفسه، ج٣، ص: (٣٩).

قال أبو ذؤيب الهذلي:

**فتلـك خُطـوبٌ قـد تَمَلَّـتْ شَـبابَنَا زمـاناً فتُبلينـا الخُطـوبُ ومـا نُبلـى**[١]

وقول مالك بن خالد الخناعي:

**كَمْعجِـزِكم يـومَ الرَّجيـعِ حِسـابَنا كَـذَلِكم إنّ الخُطـوبَ نَوائِـبُ**[٢]

والخطوب "الأمور"[٣] التي تتغير وتتبدل من حال إلى حال إذ يشتكي الشاعر تغير الأمور وانشغاله بها حتى أبلت شبابه، وهذه الخطوب المتغيرة، والمتجددة بفعل تجدد الزمان لا تبلى كما يبلى الإنسان، وفي الشاهد الثاني يبين الشاعر تبدل الأحوال، واختلافها فيوم كان لخصومه، ويوماً استطاع أن يُعجزهم فيه فيضرب لهم المثل بأن لا يجزعوا "لأن الخطوب لكم وعليكم"[٤].

لقد شكل الهذليون بيئة واحدة ونسيجاً مترابطاً في اللغة والنسب والبيئة فكان لتأثر دورة في ترديد الألفاظ وتكرارها، وكذلك المعاني إذ مثلت بعض المعاني قاسماً مشتركاً بين الشعراء الهذليين تداولها الشعراء بطريقة واحدة، ومن تلك المعاني استخدام الأسلوب القصصي لاسيما في شعر الرثاء، إذ نراهم يكثرون من سرد قصص الحيوان والطير في صراع القدر، ويعتمد الشاعر في ذلك على خياله عند حبك أجزاء هذا القصص مُستحضراً أدواته اللغوية في تسلسل الأحداث وحبكها، وتتابعها، ليصل في النهاية إلى ما أراد أن يعبر عنه، وهو ضعف الكائن الحي حيوان أو طير وهيمنة القدر، وقوته، وانتصاره، وغالباً ما يكون الدّهر هو الذي مثل ذلك

(١) ديوان الهذليين ، ج١، ص: (٣٧).
(٢) نفسه، ج٣، ص: (١١).
(٣) نفسه، ج١، ص: (٣٧).
(٤) نفسه، ج٣، ص: (١٢).

القدر؛ ليُطمئن نفسه بأن الأحياء حوله تشاركه المصير المشترك، وشواهد ذلك نراها في أكثر من موضع إذ نجد تلك المعاني عند أبي ذؤيب الهذلي في عينيته، وعند ساعدة بن جؤية وأبي كبير، وفي كثير من قصائد الرثاء في الشعر الهذلي اعتمد الشعراء على المعاني القصصية في سرد حياة الطير والحيوان، وأصبح تكرار هذه المعاني سمةً تميز الشعر الهذلي.

ومن المعاني التي تكررت في شعر الهذليين فيما يتعلق بظاهرة الدّهر فلسفة الشاعر الهذلي لقضية الحياة والموت، واستطاع الشعراء أن ينقلوا أفكارهم ورؤيتهم تجاه الموت والحياة إلى الآخرين في صياغة لغوية موروثة غير مسبوقة حتى أصبحت تلك النظرة من سمات الشعر الهذلي، إذ نظروا للدّهر نظرة شقاء، وألم توصلهم إلى حقيقة لا مفر منها، وهي حتمية الفناء لكل حي.

**ثانياً: أسلوب الشرط:**

تتعدد الأدوات الشرطية بتعدد الأغراض والوظائف التي تؤديها، والشرط يستثير المُتلقي، ويستفزه لمعرفة الجواب المترتب على هذا الأسلوب. فمن أدوات الشرط التي لجأ إليها الشعراء الهذليون (إذا) "وتكون للمقطوع بحصوله وللكثير الوقع"(١) ومن شواهد ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

**وإذا المَنِيَّـــةُ أَنْشَـــبَتْ أَظْفارَهـــا ألْفَيْـــتَ كـــلَّ تَميمَـــةٍ لا تَنْفَـــعُ(٢)**

فأداة الشرط تصدرت الجملة، والشرط أن تُنْشِب المنية أظفارها، والجواب عدم جدوى الرقى، والتمائم في دفعها، واستطاع الشاعر باستخدام أسلوب الشرط أن يستفز ذهن المُتلقي لمعرفة الجواب حال حلول المنية، وهل يُجدي فيها طب أو رُقية فبين الجواب بعدم الجدوى في دفع المنية، وبذلك حقق الشاعر غرض الأداة الشرطية، وهو أن الموت إذا حان وقته فلا دافع له إذ أدت الأداة معناها في ارتباطها بالأمر المقطوع بحصوله.

ومن ذلك أيضاً قول أبي خراش:

**وليلـةٍ دَجْـنٍ مـن جُمـادَى سَـرَيْتُها إذا مـا اسْـتَهَلّت وهـي سـاجيةٌ تَهْمـي(٣)**

فقد تصدرت (إذا) الشطر الثاني من البيت إذ جعل الشاعر تلك الليلة التي سار فيها شديدة الظلام مكتسيةً بالغيوم، تهطل بالأمطار، ومع ذلك فإن الشاعر قادرٌ على السير والتنقل حال نزول المطر، واستهلاله، وامتلاء الأرض بالسيول والبيت من قصيدة يفخر فيها الشاعر بنفسه؛ ليبين قدرته على الاهتداء والسير في المهالك، والصبر على الشدائد.

---

(١) معاني النحو، فاضل السامرائي، ج٤، ص: (٧١).
(٢) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٣).
(٣) نفسه، ج٢، ص: (١٣٠).

ومن ذلك أيضاً قول أبي جندب:

**إذا مَعْشَـــرٌ يومـــاً بَغَـــوْنِي بَغَيـــتْهُم بِمُســـقِطة الأَحْبَـــال فَقْمـــاءَ قِنِطـــرِ**[(١)]

استخدم الشاعر أداة الشرط إذا مقرونة بإرادة خصومه له بالشر، فإذا ما أراده الخصوم فالجواب أنه على استعداد لهم بما أرادوا من الشر، ودل هذا الأسلوب الشرطي على التهديد والوعيد، وأنه على استعداد لخصومه "بداهية تُسقط النساء منها"[(٢)] لشدة الفزع مما يصيب به خصومه، ومن ذلك قول أبي خراش:

**وكـــلّ امـــرئ يومـــاً إلى المـــوتِ صـــائِرُ قَضـــاءً إذا مـــا حَـــانَ يُؤْخَـــذُ بالكَظْـــمِ**[(٣)]

استخدم الشاعر أداة الشرط إذا مشروطةً بحلول الأجل والجواب الأخذ بالكظم والغرض من الأسلوب الشرطي هو التقرير بحتمية الفناء، وأن الخلائق مصيرها إلى الزوال، وكل امرئ ينتظر لحظته وإذا حانت أُخذت نفسه وكُظم.

ومن أدوات الشرط التي استخدمها الشعراء الهذليون (لو) "وتسمى حرف امتناع لامتناع، ومعناه امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط"[(٤)] ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

**ولـو أنـي اسْـتَوْدَعْتُه الشَّـمسَ لارْتَقَـتْ إليـــه المَنَـــايا عِيْنُهـــا ورَســـولُها**[(٥)]

أيقن الشاعر بحتمية الفناء، وكانت صياغته الشرطية موحيةً بذلك، وهي أن المنية بالغة

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٩٣).
(٢) نفسه، ج٣، ص: (٩٣).
(٣) نفسه، ج٢، ص: (١٥٣).
(٤) معاني النحو، ج٤، ص: (٨٩).
(٥) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٣٣).

لكل حي مهما بذل من أسباب السلامة والنجاة، ولذلك نراه يقول في شأن المرثي "نشيبة" بصيغة شرطية لو استودعته الشمس وخرج عن كوكب الأرض إلى كوكب آخر؛ اتقاء لأسباب المنية لأدركته المنية، ولئن الجزاء ممتنع، وهو البقاء في الحياة والسلامة من الموت امتنع الشرط، وهو أن يجعل مرثيه وديعة للشمس، ومن ذلك أيضاً قول ساعدة بن جؤية في رثاء ابنه:

**ولــو سَــامَنِي المَــانِي مكَــانَ حيَاتِــهِ أناعِــيمَ دهْــرٍ مــنْ عِبَــادٍ وجامِــلِ**(١)

تخيل الشاعر لهول مصيبته في ابنه أن يخاطبه القدر، ويعرض عليه ما يشاء من نعيم الدّهر، وخير ما يقتني الناس في عصره من قطيع الإبل؛ ليُطيب بذلك نفسه إذا أراد أن يأخذ فلذة كبده، ومع ذلك فإن الشاعر لن يرضى بما يساومه القدر به، ولا يرى شيئاً يكفيه عن ابنه إنها عاطفة الأبوة التي لا ترى قيمة للحياة إلا بوجود الأبناء، ولذلك فإنه لن يرغب في شيء من ذلك النعيم وقد حقق الشاعر معنى أداة الشرط فامتنع الشرط، وهو بقاء الابن لامتناع الجزاء وذلك أن الدّهر لم يساومه في هذا الأمر، وإنما أخذ ابنه قهراً دون أن يسترضيه في ذلك أو يساومه.

ومن ذلك أيضاً قول أبي المثلم في رثاء صخر الغيّ:

**لــو كَــانَ للــدّهرِ مــالٌ عنــدَ مُتلــدهِ لكَــانَ للــدّهرِ صَــخْرٌ مــالَ قُنْيــانِ**(٢)

استخدم الشاعر أسلوب الشرط بـ لو فقال بأن الدّهر لو اقتنى أحدا من الناس ومنعه من الموت؛ لكان صخراً خير ما يقتنيه الدّهر، ولكن ذلك مُحال لأن الدّهر ليس من عادته الاقتناء للأحياء، وقد حقق الشاعر معنى الشرط فامتنع الجزاء، وهو اقتناء الدّهر لصخر لامتناع الشرط إذ أن الدّهر لا يقتني شيئاً "قال أبو سعيد إنما ضرب مثلاً يقول لو كان الموت يقتني شيئاً لاقتنى

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٢١٨).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (٢٣٨).

صخراً، أي اتخذه مالاً لا يفارقه"[١].

ومن ذلك أيضاً قول أبي العيال:

**لـو كـانَ عنْـدَكَ مـا تقـولُ جعلْتَـنِي كَنْـزاً لَرَيْـب الـدّهر عنـد ظَنِـينِ[٢]**

امتدح بدر بن عامر أبا العيال في قصيدةٍ، وأكثر فيها المبالغة، وكان هذا البيت من قصيدة الرد لأبي العيال إذ يقول لبدر لو أنك صادقٌ في مدحك ومعتقد لما تقول لما أعنت علي عدواتي، ولكنت عندك صاحب مكانة عالية تدخرني، كما يدخر الشحيح كنزه لما يريبه من الدّهر، ولكنك غير صادق فيما تقول، ولذلك امتنع الجزاء، وهو الادخار لريب الدّهر لامتناع الشرط، وهو عدم صدق المادح في اعتقاده، وأنه غير راضٍ عن الممدوح، وإنما كان مدحه نوعاً من النفاق والتزييف.

لقد استطاع الشعراء الهذليون صياغة بعض الأساليب الشرطية في صورة حكمة مستخلصة من تجارب الحياة، أو تقرير مصير لا محالة عنه (كالموت) الذي نظر إليه الشعراء بألم وحسرة؛ لأنه مؤذن برحيل لا رجعة بعده وهادم للحياة ومفرق للشمل، ومن ذلك قول أبي ذؤيب:

**وإذا المَنِيَّـــةُ أَنْشَـــبَتْ أَظْفارَهـــا ألْفَيْـــتَ كـــلَّ تَمِيمَـــةٍ لا تَنْفَـــعُ[٣]**

فلا جدوى مع الموت، ولا يوجد سبب لدفع المنية إذا حان وقتها. وكذلك جنوب الهذلية في قولها:

---

(١) ديوان الهذليين، ص: (٢٣٨).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (٢٥٩).
(٣) نفسه، ج١، ص: (٣).

**وكــلُّ حــيٍّ وإن طالــتْ ســلامتهمْ يومــاً طــريقُهم في الشّــرِّ دُعِبــوبُ**[١]

تنصح الشاعرة بعدم الاغترار بالسلامة؛ لأن الطريق إلى الرحيل مذللٌ سهل سلكه السابقون، وذلك مؤذن بإدراك اللاحقين لهم في الارتحال، وقد صاغت ذلك بأسلوب شرطي، يتسم بعمق التجربة، والنظرة الثاقبة لما حولها فاستدلت برحيل السابقين على رحيل من طالت سلامته، ولكن ذلك مشروط بحلول يومه الذي ينتظره، ويتضح لنا من الشواهد السابقة قدرة الشعراء الهذليين في التعامل مع الأدوات الشرطية، واستخدام كلَّ أداة في موضعها الذي يليق بها، واستطاعوا نقل أفكارهم وتجاربهم ورؤيتهم للحياة، ولما حولهم دون ركاكة في الأسلوب، أو ضعف في التعبير فوصل إبداعهم إلى المُتلقي في أجمل صورة، وبقي أثراً يخلد إبداع مبدعيه.

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (١٢٤).

## ثالثاً: أسلوب الاستفهام

شكل أسلوب الاستفهام في شعر الهذليين حضوراً بارزاً، ولا تخفى قيمة الاستفهام في جمال الأسلوب حيث يُشرك المُتلقي في تلك التساؤلات الحائرة التي يطلقها الشاعر؛ ليعبر عما في نفسه من قلق واضطراب؛ فيفترض الإجابة لتلك التساؤلات، ويشارك في الإحساس بما في نفس الشاعر الذي يجيب حيناً على استفهامه، وقد لا يجيب تاركاً للمُتلقي الإجابة والتأويل ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

**أمِـــنَ المَنُـــونِ ورَيْبِهـــا تَتَوَجَّـــعُ؟ والـــدّهر لـــيسَ بِمُعتِـــبٍ مـــن يَجْـــزَعُ** (١)

يستفهم الشاعر مستخدماً أداة الاستفهام الهمزة ومتسائلاً أمن المنون تتوجع؟ وذلك بعد أن فقد بنيه واحداً تلو الآخر، ثم عاد في شطر البيت الثاني؛ ليجيب على استفهامه بقوله، والدّهر ليس بمعتب من يجزع فإذاً لا فائدة من التوجع والشكوى، والموت حق لا ريب فيه، ولابد من توطين النفس؛ لذلك لجأ الشاعر إلى الاستفهام الإنكاري؛ ليُسلي نفسه ويثبتها في مواجهة القضاء.

ومن شواهد الاستفهام بالهمزة في شعر أبي ذؤيب قوله:

**بأَحسَـــنَ منهـــا يـــوم قالـــت كُلَيْمَـــةً أتصْـــرِمُ حَبْلـــي أم تـــدومُ علـــى الوَصْـــلِي؟** (٢)

إذ جعل الشاعر محبوبته تتساءل في شأنه هل يعلن لها القطيعة والصرم؟ أم أنه يبقى على الوصل؟ وجعل محبوبته بصيغة الاستفهام، تتردد وتحتار في أمرها يثنيها الخوف والحياء ويدفعها الشوق والتدلل فتستجيب لعواطفها، وتُظهر تساؤلها بصيغة الاستفهام أتصرم حبال الود أم

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١).
(٢) نفسه، ج١، ص: (٣٦).

إنك باقي على الحب والوفاء؟. ومن شواهد ذلك في شعره أيضاً قوله:

**أمِنْــكِ بَــرْقٌ أَبِيــتُ اللَّيْــلَ أرْقُبُــهُ كأَنّــه في عِــراضِ الشّــامِ مِصْــباحُ**(١)

حيث أدخل الشاعر أداة الاستفهام على من الجارة، وكان غرضه من ذلك الاستفهام التعجب، والتلذذ بذكر المحبوبة وديارها، فلما رأى وميض البرق من ناحيتها أخذ يراقبه بشوق ولهفة.

ومن شواهد ذلك قول أبي خراش:

**أفي كــلِّ مُمسَــى ليلــةٍ أنا قائِــلٌ مــن الــدّهر لا تبعَــدْ قتيــلَ جَميــلِ**(٢)

تبدو معاناة الشاعر واضحة متكررة في كل ليلة، وذلك لأنه مدينٌ بدم، ويريد أن يثأر ممن قتل قتيله فضاقت نفسه، ولم يعد يحتمل الصبر، فتسأل مستخدماً أسلوب الاستفهام أفي كل ليلة أنا مع هذه المعاناة، وكأنه يريد أن يريح نفسه، ويستعجل في أخذ ثأره، وغرضه من الاستفهام إظهار التضجر والشكوى من الحالة التي هو فيها.

الاستفهام بهل: من أدوات الاستفهام: هل، ومن الشواهد الشعرية على الاستفهام بها قول أبي ذؤيب الهذلي:

**هــل الــدّهر إلّا لَيْلــةً ونَهــارها وإلّا طُلــوعُ الشّــمْسِ ثُمَّ غِيارُهــا؟** (٣)

لجأ الشاعر إلى أسلوب الاستفهام في مطلع غزلي متسائلاً، هل الدّهر إلا ليلة يتبعها

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٤٧).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (١٥٧).
(٣) نفسه، ج١، ص: (٢١).

النهار؟ ثم يزيد في إيضاح الاستفهام بقوله وإلا طلوع الشمس، ثم غيارها؛ ليدلل على امتداد الدّهر وذهاب كل شيء سواءً أكانت علاقةً عاطفية كما حدث في حبه؟ أو اجتماع شمل فالدّهر باقٍ ممتد، ليلٌ يتبعه نهار، وشمسٌ تشرق ثم تعود للغروب، وهذا الامتداد يُسلم كل علاقة إلى زوال، وكل حيٍّ إلى نهاية، وكل اجتماع إلى تفرق، وقد مهد الشاعر بهذا الاستفهام لمقدمته الغزلية، وبين نكبته في حبه، وفخره بنفسه في مقارعة الخطوب، والصبر على الرزايا، ونكبات الدّهر فقد صبر على ما هو أعظم أثراً من العلاقة العاطفية، وذلك حين فقد "نشيبة" الذي انتقل الشاعر في قصيدته من مقدمته الغزلية إلى رثائه، ووازن بين صبره على فراق المحبوبة، وصبره على فقد نشيبة؛ ليجد نفسه قد صبر على الفقد، وهو أعظم وقعاً على النفس من التجربة العاطفية التي لا يرى أنها توازن ذلك الفقيد.

ومن شواهد الاستفهام بهل قول ساعدة بن جؤية:

**هـل اقْتَـنَى حَـدَثانُ الـدّهر مـن أنَـسٍ      كـانوا بمَعْـيَطَ لا وَخْـشٍ ولا قَـزَم؟**(١)

يتساءل الشاعر عن الدّهر، وهل كان من شأنه أن يقتني أحداً، أو يمنعه من الهلاك إذ لو كانت هذه السمة في الدّهر لاقتنى هؤلاء الأبطال الشجعان الذين يملكون مقومات الشجاعة، ولكن الدّهر لا يقتني أحداً وكل الأحياء مصيرها الهلاك، والاستفهام غرضه الإنكار.

ومن شواهد الاستفهام بهل قول المتنخل:

**هـل هَاجَـك اللّيـل كليْـلٌ علـى      أسمـاءَ مـن ذي صُـبرٍ مُخيِّـلِ**(٢)

يتساءل الشاعر عن البرق الذي يبدو من ناحية ديار محبوبته، محملاً بالمطر، وقد أطربه

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٢٠٠).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (٦).

وأشجاه لمعان البرق فأشجى في نفسه الشوق والحنين إلى ديار محبوبته، فخاطب الشاعر نفسه بأسلوب استفهامي غرضه التحقيق ومعناه أن البرق قد أثار عواطفه وأشجانه، فهاجت مشاعره بالشوق والحنين لمحبوبته ولديار تلك المحبوبة.

ومن شواهد الاستفهام قوله أيضاً في رثاء ابنه:

**فقدْ عَجِبْتُ وما بالدّهر من عَجَبٍ أنَّ قُتِلْتُ؟ وأنْتَ الحازِمُ البَطَلُ**[١]

يظهر الاستفهام في قول الشاعر أنَّ قُتلت؟ وقد بدأ الشاعر بالتعجب من صنيع الدّهر، ثم أجاب نفسه بقوله، وما بالدّهر من عجبٍ، وذلك ليبين معاناته وحزنه على فقد ابنه الذي عهد منه الشجاعة والحزم، ولكن الدّهر لا أمان له، ولذلك لم يعد يعجب من قارعةٍ تصيبه فقد قُتل ابنه الذي عهده من أشجع الناس، وصاحب رؤية ثاقبة دل عليها، وصفه بالحزم، ومادام أنه يملك تلك الصفات فليس من السهولة أن يقع به خصومه، ويصلوا إلى مبتغاهم في قتله، وذلك ما دعا الشاعر للاستفهام بقوله: أنَّ قتلت؟

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٣٣).

## رابعاً: أسلوب القسم

لجأ الشعراء الهذليون إلى أسلوب القسم؛ لتأكيد المعنى وتقريره، وغالباً ما يقترن أسلوب القسم بتأكيد حتمية الفناء، وأقسم الشعراء ـ بالله سبحانه ـ وتعالى وبالعمر لاسيما عند سرد قصص الحيوان، وأن مصيرها الهلاك، أو في غرض الرثاء، وحال التفجع من الدّهر، وعند الصراع العاطفي بين التفكير في البقاء والرحيل، واعتبروا القسم عنصراً من عناصر الجمال في التعبير؛ ليؤكد الفكرة التي يرى بصحتها، ومن الشواهد الشعرية الدالة على ذلك ما يأتي:

**القسم بالله: قال أبو ذؤيب الهذلي:**

**تاللهِ يَبْقَى على الأيّامِ مُبْتَقِلٌ جَوْنُ السَّراةِ رَباعٌ سِنُّه غَرِدُ**[(١)]

أقسم الشاعر بالله سبحانه وتعالى؛ ليؤكد حقيقة الفناء لكل حيٍّ، وجعل تتابع الأيام سبب لهذا الهلاك الذي يصل إلى آكلات البقل من الحيوانات والوحوش.

ومن ذلك قول ساعدة بن جؤية:

**تاللهِ يَبْقَى على الأيّامِ ذو حِيَدٍ أدْفَى صَلودٌ من الأوعال ذو خَدَمِ**[(٢)]

يُقْسم الشاعر بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وجواب قسمه أن الأيام لن تُبقى الوعل الذي يعيش في أماكن بعيدة، ممتنعاً من خصومه، ومع ذلك فإن الفناء مُدركه، والموت لاحقاً به لا محالة من ذلك، والقسم لتأكيد المعنى وتقرير حتمية الموت، وإدراكه لكل الكائنات، وإنما ضرب المثل بالوعل.

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٢٤).

(٢) نفسه، ج١، ص: (١٩٣).

ومن ذلك قول قيس بن عيزارة:

**واللهِ لا يَبْقَـــى علـــى حَدَثَانِـــهِ بَقَـــرٌ بِنـــا صِـــفَةِ الجِـــواءِ زُكُـــودُ**(١)

يُقْسم الشاعر بأن البقر مصيرها كغيرها من الكائنات، ولو عاشت في خصبٍ ودعةٍ فإن تقلبات الحدثان من ليل ونهار كفيلة بنقلها من الخصب إلى الجدب ومن الحياة إلى الموت.

**القسم بالعمر:**

استخدم الشعراء أسلوب القسم بالعمر للدلالة على قيمة الحياة، والرغبة فيها، والرهبة من الموت وكان أكثر حضور القسم بالعمر في غرض الرثاء ومن ذلك قول أبي ذؤيب:

**لَعُمْـــــرُكَ والمَنَـــــايا غَالِبـــــاتٌ لكـــــلِّ بَـــــني أَبٍ منهـــــا ذَنُـــــوبُ**(٢)

أقسم الشاعر بالعمر؛ ليبين تأثره وحزنه على المرثي، ويؤكد على حتمية الفناء، وقُربها من كل حيّ، ومن ذلك قول صخر الغي في رثاء أخيه:

**لَعَمــرُ أَبِي عَمْــرٍو لقــدْ سَــاقَهُ المَنَــا إلى جَــدْثٍ يُــوزَي لــه بالأَهاضِــبِ**(٣)

أقسم الشاعر بعمر أخيه؛ ليدلل على حضور المرثي في ذهنه وقربه منه حتى كأنه حيٌّ يُقْسم بعمره؛ ثم يبين بعد هذا البيت أن القدر ساق أخيه إلى الحية في جحرها فكانت نهايته، وسبب وروده القبر.

ومن ذلك قول أبي خراش حين نهشته الأفعى:

---

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٧٤).
(٢) نفسه، ج١، ص: (٩٢).
(٣) نفسه، ج٢، ص: (٥١).

**لعَمْـــــرُكَ والمَنَـــــايا غالبـــــاتٌ      علـــى الإنْسَـــانِ تطلـــعُ كـــلَّ نَجْـــدِ**[(١)]

يستحضر الشاعر لحظة الرحيل حين نهشته الأفعى، وأحس بدنو الأجل، فأقسم بالعمر ليؤكد بلوغ المنايا إلى كل مخلوق، ووصولها لكل موضع، وذلك حين أيقن بالهلاك.

وعند تتبع الشواهد السابقة التي استخدم فيها الشعراء أسلوب القسم نجد أن استخدامهم للقسم جاء في مواضع الحكمة المرتبطة بالموت، وتقرير المصير، والحديث عن الرزايا وطوارق الأيام، وتقلبات الدّهر، وفقد الأحبة، وهلاك كل الأحياء.

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (١٧١).

## خامساً: أسلوب الأمر والنهي

ورد الأمر في القرآن الكريم بعدة معانٍ فقد ورد بمعنى الطلب كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴿٦٧﴾﴾[البقرة:٩٧]، وورد في معاجم اللغة بأنه "الأمر نقيض النهي"(١) والأمر "ضِدُّ النَّهي"(٢).

والأمر عند البلاغيين: "طلب الفعل على وجهة الاستعلاء والالزام "(٣)، "وقد يخرج الأمر عن الطلب إلى معاني منها: الدعاء، والالتماس، ومنها: النهي وله حرف واحد وهو لا الجازمة في نحو قولك لا تفعل، وهو كالأمر في الاستعلاء، وقد يستعمل في غير طلب الكف أو الترك كالتهديد"(٤).

النَّهي: ورد النَّهي في القرآن الكريم بمعنى الكف والترك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾[المائدة:٩٠].

وورد في معاجم اللغة (النَّهي: خلاف الأمْر نهاهُ وينهاهُ نهياً فانتهى وتناهى كفَّ)(٥).

والنهي عند البلاغيين: "طلب الكفِّ عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والالزام"(٦).

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة: أمر.

(٢) القاموس المحيط، للفيروز أبادي، ص: (٣٤٤).

(٣) المعجم المفصل في علوم البلاغة د/ إنعام فوال عكاوي ،راجعه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ص(٢١٩)

(٤) التلخيص في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، ص: (١٦٩ . ١٧٠).

(٥) لسان العرب، لابن منظور، مادة: نهى.

(٦) المعجم المفصل في علوم البلاغة ، ص: (٦٦٨/ ٦٦٩).

ومن شواهد ورود الأمر والنهي في مادة البحث قول أبي ذؤيب:

وخَفِّـــضْ عليْـــكَ مـــن النَّائبـــاتِ ولا تَـــكُ مِنهـــا كَئِيبـــاً بِشَـــرّْ
فَـــإِنّ الرِّجَـــالِ إِلَى الحَـــادِثَاتِ فأســـتَيْقِنَنّ أَحَـــبُّ الجُـــزُرْ(١)

لجأ الشاعر إلى أسلوب الأمر باستخدام فعل الأمر خفض، وأسلوب النهي باستخدام لا الجازمة، والفعل المضارع بعدها، ثم عاد لأسلوب الأمر باستخدام الفعل استيقن؛ ليوطن نفسه في مصابه، ومصاب من يشاركه الحزن على هذا الفقيد الذي رثاه الشاعر، وعلل ذلك بأن المنايا تحب الرجال، وأنهم جزر للمنية، وقد خرج الأمر والنهي إلى معانٍ بلاغية، الغرض منها النُّصح والإرشاد، ومن شواهد أسلوب الأمر قول أبي كبير الهذلي:

فَقَـــدَ الشَّـــبابَ أبـــوكِ إِلّا ذِكْـــرَه فَأعْجـبْ لـذلك فِعْـلَ دّهْـرٍ واهكَـرِ(٢)

استخدم الشاعر أسلوب الأمر، وذلك في قوله أعجب، والغرض البلاغي منه التعجب من فعل الدّهر به إذ أفقده شبابه، وغير لون شعره، وأوهن جسمه وقوته.

ومن شواهد أسلوب النهي: قول أبي قلابة:

لا تأمَـــنَنَّ وإن أصْـبَحْتَ في حَـــرَمٍ إنّ المَنَـــايا بجَنْـــبَيَ كـــلَّ إنســـانِ
ولا تَقُـــولَنَّ لِشـــيءٍ سَـــوْفَ أَفْعَلَـــهُ حـــتى تبَـــيّنِ مـــا يَمـــنِي لـــكَ المـــانِي(٣)

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٥٠).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (١٠١).
(٣) نفسه، ج٣، ص: (٣٩).

افتخر الشاعر بقومه وقدرتهم على مقارعة الأبطال، ثم استخدم أسلوب النهي موجهاً الخطاب لخصومه بعدم الأمن والاطمئنان، وقد خرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي ينحو به الشاعر منحى السخرية بخصومه.

ومن شواهد أسلوب الأمر قول المعطل:

**فقُلْتُ لهذا الموتِ إن كنتُ تَارِكي          لِخَيرٍ فَدَعْ عَمْراً وإخوتهَ معَا**[١]

استخدم الشاعر أسلوب الأمر في قوله: دع مخاطباً الموت، وقد خرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي، يراد به التمني، وذلك لأن الموت لن يسمع من الشاعر، ولو سمع لما أطاع لذلك فهو يتمنى أن يسمعه الموت، ويُجيبه إلى ذلك بأن يترك عمراً ينعم مع إخوته.

---

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٤٢).

## سادساً: أسلوب النفي

ورد النفي في معاجم اللغة العربية:

"نفي الشَّيءُ ينفي نفياً: تنحَّى، ونفى الشيء نفياً جحده"(١).

"نفاه: ينفيه وينفوه نحّاه"(٢).

"والنفي أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار يُستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب"(٣).

ومن أدواته: لم ولا وما.

ومن شواهد ذلك قول أبي ذؤيب:

**نُشَــيْبةُ لم تُوجَــدْ لــه الــدّهر عَثْــرَةٌ  يبُــوحُ بــها في سَــاحَةِ الــدّارِ نَاطِــقُ**(٤)

نفى الشاعر عن مرثيه سيء الأخلاق والصفات، وجعله مبرأً من العيوب والمثالب، ولم تُسمع عنه في يوم من دهره صفة سيئة يسير بها نقلة الأخبار، ويحملونها عنه فتشيع في الناس، وقد جعل الشاعر الدّهر مبتلياً وممحصاً يكشف حقيقة الإنسان، فإذا عثر به دهره، ووقع في أمر يعيبه، أو يُنقص قدره فلن يكتم الناس ذلك وسرعان ما يشيع بينهم.

ومن شواهد أسلوب النفي قول صخر الغي:

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة: نفى، ص: (٤٥١١) وما بعدها.
(٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص: (١٣٤٠).
(٣) في النحو العربي نقد وتوجيه، ص: (٢٤٦).
(٤) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٥٣).

**لعَمْـــــرُكَ والمَنَـــايا غالبـــاتٌ        ومـــا تُغـــنِي التَّميمـــاتُ الحِمـــام**(١)

استخدم الشاعر أسلوب النفي بما نافياً قُدرة الرُّقى والتمائم، وما يُستطب به على دفع المنية، وإثبات حتمية الفناء، ونجده في بيت آخر من القصيدة نفسها يلجأ إلى أسلوب النفي؛ ليؤكد تلك الفكرة المتأصلة لديه بحتمية الفناء لكل مخلوق إذ يقول:

**أرَى الأيَّامَ لا تُبْقـــــي كَرِيمـــاً        ولا العُصْـــــمَ الأوابِـــــدَ والنَّعَامـــا**(٢)

استخدم الشاعر أسلوب النفي بلا النافية، والفعل المنفي تبقي، والأيام حاملةٌ للفناء والموت مُقدر على كل حيّ سواءً أكان إنساناً أو حيواناً؟ والأيام كفيلة أن توصل الأحياء إلى النهاية المرتقبة.

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٦٢).

(٢) نفسه، ج٢، ص: (٦٣).

## سابعاً: أسلوب النداء

ورد في معاجم اللغة العربية: "النداءُ، ممدودٌ: الدُّعاء بأرفع الصوت، وقد ناديته نداء، وفلان أندى صوتاً من فلان، أي أبعد مذهباً، وأرفع صوتاً"(١).

والنداء في اصطلاح النحاة: "طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص"(٢).

والنداء في اصطلاح البلاغيين: "هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب ادعو، وهو (يا أو إحدى أخواتها) ودلالة النداء على الطلب التزامية"(٣).

ومن شواهد أسلوب النداء قول مالك بن خالد الخناعي:

**يا مـــيّ إن تَفْقِـــدي قومـــاً وَلَـــدْتِهُمُ أو تُخْـــلَسيهمْ فـــإنّ الـــدّهر خَـــلاسُ**
**يا مـــيّ إنّ سِـــباعَ الأرضِ هالِكـــةٌ والأُدمُ والعُفْـــــرُ والآرامُ والنّـــــاسُ**

إلى قوله:

**يا مـــيّ لا يُعْجِـــزُ الأيّام مُجْـــترِئٌ في حوْمَـــةِ المـــوتِ رزامٌ وفَـــرَّاسُ(٤)**

يخاطب الشاعر زوجته التي فقدت بنيها معرفاً لها بعادة الدّهر، وأنه يختلس الأرواح، ومادام أن تلك الصفة من خصائصه فليس أمام الإنسان إلى التسليم والرضى والصبر على المكاره، فالموت سنة الله التي تقع لكل حيّ، ونداء الشاعر لزوجته تنبيه وإيضاح لها بعادة الدّهر، ثم يأتي النداء الثاني: ليؤكد لها تلك الصفة التي يتصف بها الدّهر عن طريق ضرب المثل

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة: ندى، ص: (٤٣٨٨).
(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي ج٢، ص: (١٣٣).
(٣) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، ج٢، ص: (٥٨).
(٤) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (١، ٤).

بمن يشارك الإنسان في الحياة من أنواع المخلوقات، فهذه السباع بأنواعها تلاقي المصير الحتمي الذي يلاقيه الإنسان، فالسباع في قوتها والظباء في حذرها الشديد لا تستطيع البقاء أمام سطوة الدّهر إذا حان موعد القضاء، وفي النداء الثالث: بيَّن الشاعر حالة الوعل، وأنه غير معجز للأيام مع أنه يملك مقومات البقاء من سرعة في العدو، وإقامته في قمم الجبال، وبعده عن خصومه، وتجنبه لأسباب الهلاك، ومع ذلك يدركه ما أدرك غيره من الأحياء، ويلحق به الفناء، وهذا النداء الذي لجأ إليه الشاعر يكشف عمق العلاقة الاجتماعية بين الشاعر وأُسرته وحرصه على مشاعر تلك المرأة؛ ليخرجها من مشاعر الحزن، حيث يعرفها بعادة الدّهر، ويضرب لها الأمثلة بتلك الكائنات الحية التي تخرمها الموت؛ ليُصبرها ويُسليها عن فقد بنيها فإذا عرفت عادة الدّهر، ونظرت لمن حولها، وإذا به يشاركها المصير المحتوم فإن ذلك مما يخفف مصيبتها، ويُسكِّن نفسها؛ لتعود للحياة بصبرٍ وثبات.

## الصورة الشعرية

جاء في معاجم اللغة "الصُّورة: صُورة كل مخلوق، والجمع صُور، وهي هيئة خِلْقته، والله تعالى البارئ والمصوّر"(١) وورد كذلك "صَوَّرَهُ تصويراً فَتَصَوَّرَ الشيء توهمت صُورته فتصوَّر لي والتَّصاويرُ التماثيل"(٢).

الصورة في المفهوم النقدي القديم: تحدث النقاد العرب القدماء عن الصورة من خلال مؤلفاتهم النقدية والبلاغية، وكان لهم فضل السبق في الإشارة إلى المصطلحات الأدبية التي تطور فيها مجالات البحث بعدهم، ومن هؤلاء النقاد قدامة بن جعفر إذ "يقرر أن المعاني كلها معرضة للشاعر وله أن يتكلم منها فيما أحب، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر منها كالصورة، والمهم بلوغ الشاعر منزلة الجودة، لا كتابته في معاني رديئة"(٣). فالصورة هنا: هي التشكيل الشعري من ألفاظ وتراكيب وهي الناقلة للمعاني.

ويتحدث الإمام عبدالقاهر الجرجاني عن الصورة في حديثه عن قضية اللفظ بقوله: "ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات، وسائر ما يجري مجراها، مما يُفرد فيه اللفظُ بالنعت والصِّفة، ويُنسب فيه الفضلُ والمزيَّةُ إليه دون المعنى غير وصف الكلام بحُسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالةٌ، ثم تَبرُّجِها في صورة هي أبهى وأزين وآنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب"(٤).

فالصورة هنا عبارة عن تآلف اللفظ والمعنى، فاللفظ عبارة عن الشكل، والمعاني تعبر عن المضمون.

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبدالسلام مُحَمَّد هارون، ج٣، مادة: (ص و ر)، ص: (٣٢٠).

(٢) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، فصل الصاد، باب الراء، ص: (١٨٠).

(٣) نقد الشعر لقدامة بن جعفر، تحقيق مُحَمَّد عبدالمنعم خفاجي، ص: (٥٣).

(٤) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، ص: (٤٣).

## الصورة في النقد الحديث

شغل مفهوم الصورة الفنية النقاد، وحظي باهتمام الباحثين، فالصورة ركيزة أساسية في العمل الأدبي تميز بين الشعراء والمُبدعين؛ لذلك حظيت بالبحث والدراسة يقول إحسان عباس: "ليست الصورة شيئاً جديداً، فإن الشعر قائم على الصورة، منذ أن وُجدَ حتّى اليوم، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر، كما أنَّ الشّعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في استخدامه للصُّورة" (١).

ويقول عز الدين إسماعيل: "الصُّورة الفنية تركيبة وجدانية في جوهرها، تنتمي إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع"(٢).

وتختلف الآراء النقدية في تحديد مفهوم الصورة الفنية من ناقد إلى آخر.

"والصورة الفنية جزء من عملية الخلق الفني، وليست شكلاً من أشكال الزينة والزخرفة، فهي تلعب دوراً بارزاً في توضيح المعنى، وتثبيته في ذهن المُتلقي، فتقوم الصورة على التشبيه والاستعارة والطباق وغيرها من الألوان البديعية، وهذا يُشير إلى أن الصورة تدل على كل ماله صلة بالتعبير الحسي، وتطلق أحياناً مرادفه للاستعمال الاستعاري للكلمات"(٣).

والصورة التي تقوم على التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز هي الصورة البلاغية التي تعتبر رُكناً أساسياً في بناء الصورة الشعرية، وفيما يأتي عرضٌ لهذه الصورة البلاغية.

---

(١) فن الشعر، إحسان عباس، ص: (٢٣٠).

(٢) الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ص: (١٢٧).

(٣) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، ص: (٣).

**التشبيه**

١. التشبيه لغةً: التمثيل[١]:

وفي اصطلاح البلاغيين "الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى"[٢].

وللنقاد القدامى آراء في التشبيه فقد وصفه قدامة بقوله: "إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يُشبه بنفسه، ولا بغيره من كل الجهات إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه، ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا، فصار الاثنان واحداً، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تجمعهما، ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها، وإذ كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما يقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدني بهما حال الاتحاد"[٣].

والتشبيه من أكثر الصور البلاغية حضوراً في شعرنا العربي القديم؛ لشغف العرب بعقد الموازنة بين الأشياء، وعند تتبع الشواهد الشعرية في ظاهرة الدّهر نجد الشعراء تطرقوا للبرق، والدّهر، والحزن، والبكاء، والدموع، وفراق المحبوبة، ورثاء الموتى فعقدوا الموازنة بينها، وبين ما يُشابها فشبهوا البرق بالمصابيح المنيرة، والسحاب بالإبل الدّهم، والمحبوبة بالظبي، والدموع بالماء المنسكب، وغير ذلك من صور التشبيه التي استقاها الشعراء من واقعهم وبيئتهم التي عاشوها، وما فيها من معالم الطبيعة، والحيوانات، والوحوش التي تشاركهم في الحياة، وتُعايش معهم قسوة الصحراء، وجبروت الدّهر وقهره، ولعل في الشواهد الشعرية ما يوضح ذلك.

يقول أبو ذؤيب الهذلي:

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة: شبه، ص: (٢١٨٩).

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني، ج٥، ص: (١٩٥).

(٣) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق مُحَمَّد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب، بيروت، ص: (١٢٤).

فـــالعَيْنُ بعْـــدَهُم كـــأنَّ حِـــداقَها سُمِلَـــتْ بِشَـــوْكٍ فهـــيَ عـــورٌ تَـــدمَعُ
حـــتى كـــأنِّي للحـــوادثِ مَـــرْوةٌ بصَـــفَا المـــُشرِّقِ كـــلَّ يـــومٍ تُقْـــرَعُ[١]

استخدم الشاعر أقوى أدوات التشبيه (كأن)؛ ليؤكد بها التشبيه إذ شبه عينه الدامعة من الحزن على فقد أبنائه بالعين المسمولة، وهي التي أصابها الشوك فتتابع دمعها مدراراً لا يتوقف وشبه نفسه في البيت الثاني بالمروة التي تُقرع وتُوقد منها النار، وذلك لأن المصائب تتابعت عليه فشابه حاله حال تلك المروة المقروعة.

ومن ذلك قوله:

أمِنْـــكِ بَـــرْقٌ أَبِيـــتُ اللَّيْـــلَ أرْقُبُـــهُ كأَنّـــه في عِـــراضِ الشّـــامِ مِصْـــباحُ[٢]

شبه البرق في لمعان ضوئه بمصابيح الرهبان، وقد طرب لهذا البرق، وأخذ يراقبه لأنه من صوب ديار محبوبته، والصورة لا توحي بشدة لمعان البرق؛ لأنه شبهه بما هو أقل منه، وهي مصابيح الرهبان، أو ربما يدل ذلك على بُعد المكان الذي يُضيء فيه البرق.

ومن شواهد التشبيه قوله:

أرِقْـــتُ لـــه ذاتَ العِشـــاءِ كأنّـــه مَخـــاريقُ يُـــدعَى وَسْـــطهنَّ خَـــريجُ[٣]

يصف الشاعر البرق، وسرعة حركته، ويشبه انقباضه، وانبساطه بالمخاريق، وهي لُعبة يلعب بها الصبيان.

ومن شواهد التشبيه قول أبي ذؤيب:

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٣).
(٢) نفسه، ج١، ص: (٤٧).
(٣) نفسه، ج١، ص: (٥٣).

**نَامَ الخَلِيُّ وبِتُّ اللَّيلَ مُشْتَجِراً كأنَّ عَيْنِي فيها الصَّابُ مَذْبُوحُ**(١)

يصف الشاعر حالته النفسية من هول مصيبة الفقد لهذا المرثي، ويشبه عينه في انهمار دمعها بمن أصابه شجر الصاب في عينه.

وهذه الصورة تتكرر عند أبي ذؤيب وغيره من الشعراء الهذليين، وذلك أن الشعراء استقوا معانيهم، وتشبيهاتهم من البيئة التي عايشوها، وفي شطر البيت الأول استعارة مكنية حيث شبه حالته في وضع يده تحت رأسه مفارقاً لذة النوم بثوب يشجر بعود، وحذف المشبه به الثوب، وأشار إليه بشيء من لوازمه "مشتجراً" ومن شواهد التشبيه قول أبي ذؤيب:

**وصَرَّحَ الموتُ عن غُلْبٍ كأنَّهُمُ جُربٌ يدافِعُها الساقي مَنازِيحُ**(٢)

شبه المعركة في صورة من صور التشبيه المركب، فالغلب الغلاظ الأعناق، والموت الحرب يدل على ذلك السياق لأن الصورة عن وصف المعركة بمعنى كشفت الحرب عن رجال أقوياء وفُرسان يتدافعون على القتال كما تدافع الإبل الجرب على الساقي، ووجه الشبه أن الساقي يخشى على قطيعه، ويخاف من هذه الإبل الجُرب، وهي تدافعه لحاجتها للماء، وقادمة من مكان بعيد فلن تستسلم للساقي في مدافعته لها، وكذلك الأبطال يتدافعون على القتال فيخشاهم الناس، ويخافون شرهم كما يخاف الساقي شر الإبل الجرب على قطيعه في إلحاق الأذى بها.

---

(١) ديوان الهذليين ، ج١، ص: (١٠٤).

(٢) نفسه، ج١، ص: (١٦٤).

**ومن التشبيه قول أبي ذؤيب:**

**أمِنْـــكِ الـــبَرْقُ أرْقُبُـــهُ فهاجـــا فبـــتُّ إخالـــهُ دُهْمـــاً خلاجـــا**[١]

"الدُّهم" الإبل السود "وخلاجا" التي نزعت عنها أولادها.

شبه السحاب في سواده وتراكمه حول بعضه بإبلٍ دُهم، وشبه صوت الرعد بأصوات الإبل في حنينها على أولادها.

ومن شواهد التشبيه قول المتنخل:

**كـــأنّ مَزاحِـــفَ الحيّـــاتِ فيـــه قُبَيْـــلَ الصُّـــبحِ أثارُ السِّـــياطِ**[٢]

يصف الشاعر مورداً للماء، ويشبه مزاحف الحيات وأثر ذلك على الأرض بآثار السياط ومن ذلك أيضاً قوله:

**كـــأنّهمْ بجُنـــوبِ المَبْـــرَكَين ضُـــحىً ضـــأْنٌ تُجـــزَّرُ في أباطِهـــا الـــوَذَحُ**[٣]

يفخر الشاعر بمنازلة الخصوم، وإلحاق الهوان بهم ويشبه أعداءهم بالضأن التي تعلق بها الوذح، وهو تراب الأرض، وما خالطه من أبوالها، ووجه الشبه في ضعف خصومهم وانكسارهم وتسليمهم حتى شابهوا الضأن في الضعف والاستسلام.

ومن شواهد التشبيه قوله:

**مـا بَالُ عينِـك تَبْكِـي دَمْعُهـا خَضِـلُ كمـا وَهَـيَ سَـرِبُ الأخْـراتِ مُنْبَـزِلُ**[٤]

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٦٤).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (٢٥).
(٣) نفسه، ج٢، ص: (٣٢).
(٤) نفسه، ج٢، ص: (٣٣).

شبه الشاعر عينه في تتابع الدمع منها، وانسكابه بسرب الأخرات، والأخرات "جمع خرت وهو الثقب" "والسرب: السائل يكون فيه وهي فيتسرب الماء منه" فالدمع يسيل من عينه كما يسيل الماء من القربة المنبزلة، ووجه الشبه في كثرة الدموع، وانهمارها كسيل الماء من الثقب.

وفي ذلك إشارة إلى شدة الحزن على هذا المرثي، ثم يضيف في البيت الثاني صورة أخرى يشبه فيها انسكاب الدموع من العين بمن اكتحل بشجر الصاب في قوله:

**لا تَفْتأُ الدّهر من سَحٍّ بأرْبَعَةٍ كأنَّ إنْسَانَهَا بالصَّابِ مُكْتَحِلُ**(١)

شبه عينه في تتابع دمعها بمن اكتحل بشجر الصاب، فسُلقت، وأُحرقت، وأخرجت ما فيها من دموع، ولحقه الألم والحرق.

ومن شواهد التشبيه قول أبي خراش:

**ونَعْلٍ كأَشْلاءِ السُّمانَى نَبَذْتُهَا خلافَ نَدىً من آخِر اللّيْلِ أُورِهْم**(٢)

يفخر الشاعر بنفسه في قدرته على تحمل الصعاب، ويصف حالته بأنه يسير حافياً في ليلة ممطرة، ويشبه نعله الممزقة بأشلاء السُّمان التي أُكلت، ولم يبق إلا جناحاها وجلدها ثم أن الليلة ممطرة، قد زادت في ضعف تلك الحذاء الممزقة بسبب ما أصابها من البلل، فشابهت جلد السمان في الضعف والتفكك.

---

(١) ديوان الهذليين، ج٢، ص: (٣٣).

(٢) نفسه، ج٢، ص: (١٣١).

## الاستعارة

يُعرف عبدالقاهر الاستعارة بقوله "أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تُفصح بالتشبيه، وتُظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتغيره وتجريه عليه"(١).

ويُعرفها أبو هلال العسكري "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض"(٢).

ويُبين جابر عصفور الاستعارة بقوله: "إن كل طرف من طرفي الاستعارة يفقد شيئاً من معناه الأصلي، ويكتسب معنى جديداً نتيجة لتفاعله مع الطرف الآخر داخل سياق الاستعارة الذي يتفاعل بدوره مع السياق الكامل للعمل الشعري أو الأدبي"(٣).

ومن شواهد الاستعارة في مادة البحث قول أبي ذؤيب الهذلي:

**أمِـــنَ المَنُـــونِ ورَيْبِهـــا تَتَوَجَّـــعُ؟ والـــدّهر لـــيسَ بِمُعتِـــبٍ مـــن يَجْـــزَعُ** (٤)

تبدو الاستعارة في قوله:(بمعتبٍ) حيث صور الدّهر بشخص، وحذف المشبه به، وأتى بشيءٍ من لوازمه وهو "بمعتبٍ" والاستعارة مكنية لأن قبول العتب والرجوع عما تكره ليس من صفات الدّهر، وإنما الذي يقبل العتب هو الإنسان. ومن شواهد الاستعارة قوله:

**وإذا المَنِيَّـــةُ أَنْشَـــبَتْ أَظْفارَهـــا ألْفَيْـــتَ كـــلَّ تَمِيمَـــةٍ لا تَنفَـــعُ**(٥)

الاستعارة في قوله أنشبت أظفارها إذ شبه المنية بوحش ضاري له أظفار ومخالب، وحذف المشبه به، وأشار إليه بشيء من لوازمه، أنشبت أظفارها على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن الاستعارة قوله:

---

(١) دلائل الإعجاز، ص: (٦٧).
(٢) الصناعتين، الطبعة الأولى، ص: (٢٠٥).
(٣) الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي، جابر عصفور، ص: (٢٧٢).
(٤) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١).
(٥) نفسه، ج١، ص: (٢).

**فَلَئِن بهم فَجَعَ الزَّمانُ ورَيْبُهُ إِنِّي بِأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفَجَّعُ**(١)

الاستعارة في قوله فجع الزمان إذ شبه الزمن بشيء مُفجع، وحذف المشبه به، وأشار إليه بشيء من لوازمه، وهي فجع على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن الاستعارة قوله:

**ولو أنني اسْتَوْدَعْتُه الشَّمسَ لارْتَقَتْ إليه المَنَايا عِيْنُها ورَسولُها**(٢)

الاستعارة في قوله "استودعته الشمس" وذلك أن الشمس ليس من طبيعتها قبول الوديعة، والوديعة لا تكون إلا لمن يحفظ الشيء، والشاعر لشدة تعلقه بالمرثي، وحرصه عليه تخيل أنه لو جعله وديعةً عند الشمس؛ ليبعده عن سهام المنية لاستحال ذلك، وبلغته عين المنية ورسولها ومن ذلك قوله:

**فتلك خُطوبٍ قد تَمَلَّتْ شَبابَنَا زماناً فتُبلينا الخُطوبُ وما نُبلى**(٣)

الاستعارة في قوله "تملت شبابنا" وذلك أن الخطوب كما يراها الشاعر أكلت شبابهم، وأهلكته، وعهدهم بها عهدٌ قديم فأفنتهم وهي متجددة.

ومن الاستعارة قول صخر الغيّ:

**لعَمرُ أبي عَمرٍو لقد ساقَه المَنا إلى جَدَثٍ يُوزَى له بالأَهَاضِبِ**(٤)

الاستعارة في قوله "ساقه المنا" بمعنى أن المقدار ساق أبو عمرو إلى قبره إذ شبه المنا

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٤).

(٢) نفسه، ج١، ص: (٣٣).

(٣) نفسه، ج١، ص: (٣٧).

(٤) نفسه، ج٢، ص: (٥١).

بإنسان يسوق دابته على سبيل الاستعارة المكنية، وحذف المشبه به، وأشار إليه بشيء من لوازمه "ساقه".

ومن الاستعارة قول أبي خراش:

**أَتَتْـــهُ المَنـــايا وهـــو غَـــضٌّ شَـــبابَهُ وما لِلمَنـايا عـن حِمَـى الـنَّفسِ مِـن عَـزْمِ**(١)

استعارة مكنية حيث شبه المنية بوحش يأتي للإنسان، ويقضي عليه، وحذف المشبه به، وأشار إليه بشيءٍ من لوازمه "أتته".

ومن الاستعارة قول بدر بن عامر:

**وزعمـــتَ أنّي غـــيرُ بالـــغ غايـــةِ الـــذُّ جَبـــــاءِ إنّ الـــــدّهر ذو تَلْـــــوِينِ**(٢)

استعارة مكنية حيث شبه الدّهر بشيء متلون، وحذف المشبه به، وأشار إليه بشيء من لوازمه "ذو تلوين"، والتلوين عادة للكائنات الحية التي تأخذ شكل البيئة التي تعيش فيها.

ومن الاستعارة قول جنوب الهذلية:

**بينـــا الفَـــتَى نَاعِـــمٌ راضٍ بعيشِـــتهِ سِـيقَ لـه مـن دَواهِـي الـدّهر شُـؤْبوبُ**(٣)

الاستعارة في قولها "سيق له من دواهي الدّهر شؤبوب إذ شبهت دواهي الدّهر وأقداره المُفجعة بشؤبوب، وهي الدفعة من المطر.

---

(١) ديوان الهذليين، ص: (١٥٣).

(٢) نفسه، ج٢، ص: (٢٦٤).

(٣) نفسه، ج٣، ص: (١٢٤).

## الكناية

تعتبر الكناية عنصر من عناصر تشكيل الصورة الشعرية، والكناية في اصطلاح البلاغيين: لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ"[١] ومن الكنايات التي استخدمها الشعراء الهذليين قول أبي ذؤيب:

**ولِيَـــأْتِينَّ عليْـــك يـــوْمٌ مـــرَّةً يُبْكَـــي عليْـــكَ مُقَنَّعـــاً لا تَسْـــمَعُ** [٢]

كناية عن صفة، وهي شدّة الأسى والحزن الذي يعانيه الشاعر، ولذلك تذكر تلك اللحظة التي يمر بها كل حي، وأنه صائر إلى ما صار إليه أبنائه، وسيُفقد كما فقدهم.

ومن الكناية قوله:

**فـــأَعْلَقَ أَسْـــبَاب المنِيَّـــةِ وأرْتَضَـــي ثُقُوفَتَـــــه إنْ لم يَخُنْـــــه أنِقضـــــابُها**[٣]

يصف الشاعر الحبال التي يتدلى بها مشتار العسل، ويُكنيها بأسباب المنية لأنها خطر على المشتار، وربما كان انقطاعها سبباً في هلاكه.

ومن الكنايات ما دل على صفة معينة، ومن ذلك قول أبي ذؤيب:

**نشـــأْتُ عســـيراً لم تُـــديَّثْ عَـــرِيكَتي ولَم يَعْـــلُ يِوْمـــاً فـــوقَ ظَهْـــرِي كُورُهـــا**[٤]

كناية عن صفة، وهي الآنفة والكبرياء والاعتزاز بالنفس، فالشاعر في سياق الفخر يعتد بهذه الصفات، ويكنى عنها بقوله ولم يعلُ يوماً فوق ظهري كورها. ومن الكناية قوله:

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، ج٣، ص: (١٧٣).
(٢) ديوان الهذليين، ح١، ص: (٣).
(٣) نفسه، ج١، ص: (٧٨).
(٤) نفسه، ج١، ص: (١٥٨).

**ثم إذا فـــارَقَ الأغْمـــادَ حِشْـــوَتُها وَصَـــرَّحَ المـــوتُ إنّ المـــوتَ تَصْـــرِيحُ**[١]

كناية عن سل السيوف ومفارقتها للأغماد استعداداً للقتال، وقد انكشف الموت، ولم يذكر الشاعر السيوف، وإنما كنى عنها بالأغماد وحشوة الأغماد هي السيوف.

ومن الكناية قول المتنخل:

**ومـــا أنـــت الغـــداةَ وذكـــرُ سَـــلْمَى وأضْـــحَى الـــرأْسُ منـــك إلى اشْمِطـــاط**[٢]

كناية عن كبر سنه، واشتعال رأسه بالشيب، ولذلك يلوم نفسه عند ذكر محبوبته، ويدعوها لنسيان اللهو والغزل، وكنى عن كبر سنه بقوله: وأضحى الرأس منك إلى اشمطاط، ومن ذلك قوله:

**كـــأنّ مَزاحِـــفَ الحيّـــاتِ فيـــه قُبَيْـــلَ الصُّـــبحِ أثارُ السِّـــياطِ**[٣]

كناية عن صفة، وهي صعوبة هذا الموضع وشدة ما فيه من مخاطر، فالحيات التي تصل إليه ذات أحجام مُخيفة إذا زحفت على الأرض تركت أثراً لها كما يترك السوط أثره في موضعه.

ومن الكناية قول مالك بن خالد الخناعي:

**والخُـــنْسُ لـــن يُعْجِـــزَ الأيـــّامَ ذو حَيَـــدٍ بِمُشْـــمَخِرٍّ بـــه الظِّيّـــانُ والآسُ**[٤]

كناية عن قوة هذه الحيوانات، وامتناعها في قمم الجبال، وبُعدها عن أسباب الهلاك، ومع

---

(١) ديوان الهذليين ، ج١، ص: (١٠٩).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (١٩).
(٣) نفسه، ج٢، ص: (٢٥).
(٤) نفسه، ج٣، ص: (٢).

ذلك فإنها لن تعجز الأيام.

ومن الكناية قول عمرو ذو الكلب:

**وأَبْـــرحُ في طَـــوالِ الـــدّهر حـــتى أُقِـــيم نِســـاءَ بَجْلَـــةَ بالنِّعـــالِ**(١)

كناية عن قهره لخصومه، وكثرة التنكيل بهم فهو قاتل لرجالهم، ويترك نسائهم يلطمن أنفسهن بالنعال حزناً على الرجال.

ومن الكناية قول جنوب:

**كـلُّ امـرئٍ بطـولِ العَـيْشِ مكـذوبُ وكـــلَّ مـــن غالـــبَ الأيّامَ مَغْلُـــوبُ**(٢)

كناية عن صفة وهي الفناء، وعدم الخلود ومن الكناية قولها:

**وليلـــةٍ يَصْـــطلي بالفَـــرْثِ جازرُهـــا يخـــتَصُّ بالنَّقَـــرى المُـــثْرِينَ دَاعِيهـــا**
**لا يَنْـبَحُ الكلـبُ فيهـا غـير واحـدةٍ مـــن العِشـــاءِ ولا تسْـــري أفاعِيهـــا**
**أطعَمْـت فيهـا علـى جُـوعٍ ومَسْـغَبةٍ شَـــحْمَ العِشـــار إذا مـــا قـــامَ باغِيهـــا**(٣)

كناية عن شدة البرد إذ يبحث الجازر عن الدفء بإدخال يديه في أحشاء الجزور وكرشها، وتسكت الكلاب عن النباح، والأفعى لا تستطيع أن تسير، ومع ذلك فإن الممدوح يطعم أنفس الطعام، وهو شحم العشار، وفي هذا كناية عن الكرم.

ومما سبق يتضح لنا حضور الصورة البيانية في ظاهرة الدّهر عند الهذليين، وكان التشبيه أكثر حضوراً لأنه مجال التنافس بين الشعراء؛ لنقل صورهم الشعرية، وعقد المقارنة بين المشبه والمشبه

---

(١) ديوان الهذليين ، ج٣، ص: (١١٥).
(٢) نفسه، ج٣، ص: (١٢٤).
(٣) نفسه، ج٣، ص: (١٢٦).

به، وكانت صورهم في التشبيه منتزعة من واقع البيئة التي عايشوها دون إغراق في الخيال، ولم تغب عنهم بقية الصور البيانية، فقد كان للاستعارة والكناية حظهما من الحضور في صور الشعراء البيانية ولعل في الشواهد السابقة ما يدل على ذلك.

## مصادر الصورة الشعرية في ديوان الهذليين

الصورة رُكن من أركان العمل الأدبي ،وهي وسيلة الشاعر في نقل أفكاره ورؤيته للحياة وما فيها من مشاهد ،والشاعر جزءٌ من المجتمع الذي يعيش فيه ،ولكل مجتمع تصورات وأفكار ولذلك تختلف مصادر الصورة الشعرية من شاعر إلى آخر حسب المجتمع الذي يعيش فيه والبيئة من حوله ومصادر ثقافته ،وعند النظر إلى ديوان الهذليين نجد أن مصادر الصورة الشعرية عندهم تعددت بتعدد الشعراء ،فالبيئة كانت مصدراً من مصادر الصورة عند الشعراء وكذلك الثقافة السائدة ،والشعراء الإسلاميون والمخضرمون تلقوا قدراً أكبر من الثقافة ،وتأثروا بالقرآن الكريم وتعاليم الإسلام فكان لذلك أثر في شعرهم، وكذلك فإن لكل شاعر قدرة تختلف عن غيره من الشعراء في إبداعه وخياله وما يتميز به من ثراء لغوي يجعله قادراً على نسج تصوراته وصياغة أفكاره بطريقة مؤثرة ،ومن خلال استعراض شواهد الدراسة نستطيع الحديث عن بعض مصادر الصورة في ديوان الهذليين ونخص ظاهرة الدّهر لأنها موضوع الدراسة.

١. **الطبيعة:** الطبيعة هي مُعلم الشعراء الأول ومُلهماً لهم ومُذكياً لمشاعرهم ومُستثيراً لعواطفهم فهؤلاء الشعراء يراقبون البرق وينتظرون المطر يستبشرون بقدومه ويشبهونه بالمصابيح المُضيئة والمخاريق والإبل الدُّهم وغيرها من الصور التي أثارت فكرة الشاعر فأخذ يُقرب تلك الصورة إلى واقعه حسبما تخيل وقدر ما أعانته لغته الشعرية ومن تلك الشواهد:

قول أبي ذؤيب:

**أمِنْــكِ بَــرْقٌ أَبِيــتُ اللَّيْــلَ أرْقُبُــهُ  كأَنّــه في عِــراضِ الشّــامِ مِصْــباحُ**(١)

ولأن الشاعر مُفعم بحب الطبيعة يراقبها ويتخيلها ويصور واقعها أخذ في تأمله للبرق وراح

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٤٧).

يبحث له عن شبيه فشبه البرق بمصباح الرهبان ،وذلك ليدلل أن البرق بات كلَّ الليل يُضيء كما يُضيء المصباح وكذلك نجد وصفاً آخر للشاعر نفسه يصف البرق وما حوله من السحاب في قوله:

**أمِنْـــكِ البَـــرْقُ أرْقُـــبُه فَهاجـــا فبـــتُّ إخالُـــه دُهْمـــاً خلاجـــا**(١)

تصور الشاعر الطبيعة بكل ما فيها فجعل يراقب لهذا البرق من صوب ديار محبوبته وكلما أضاء له البرق انكشفت له سُحبٌ سوداء تحمل في طياتها الماء الكثير فشبه هذه السُحب بالإبل السود وكلما اقترب البرق سمع صوت الرعد وقعقعته في ثنايا السُحب فشبه ذلك بصوت الإبل التي فقدت أولادها فزاد حنينها واشتدت أصواتها بحثاً عما فقدت من أولادها.

لقد تأمل الشعراء الطبيعة وما فيها من جمال ولاحظوا أجزاءها ولعل شاعراً بدوياً في بيئة صحراوية أكثر ما كان يعنيه من الطبيعة المطر حال نزوله ومراقبة البرق وانحدار السيل فهذه جنوب الهذلية: تنظر المطر حال نزوله وشدة اندفاعه ؛لتستقي منه صورة تشبه بها مصائب الدّهر إذا أصابت الإنسان في قولها:

**بينـــا الفَـــتَى نَاعِـــمٌ راضٍ بعيشِـــتهِ سِـــيقَ لـــه مـــن دَواهِـــي الـــدّهر شُـــؤْبوبُ**(٢)

والشؤبوب الدفعة من المطر، واستعارت الشاعرة هذه الصورة لما يصيب الإنسان من مصائب ونكبات وسرعة تتابعها كتتابع المطر حال نزوله.

٢. **البيئة:** عاش الشعراء الهذليون في بيئة بدوية ومن حولهم الجبال والأودية، وما يعيش فيها من كائنات تشاركهم الحياة وتتأثر بما يتأثرون به من جدب ورخاء فأثرت هذه البيئة في تصورات الشعراء وصورهم الفنية فأخذ الشعراء تشبيهاتهم وصورهم الفنية من الواقع الذي يعيشون وشبهوا تدافع الأبطال في ميادين القتال بتدافع الإبل على الماء، وأثر

(١) ديوان الهذليين ، ج١، ص: (١٦٤).

(٢) نفسه، ج٣، ص: (١٢٤).

السوط بمزاحف الحيات والنعل الممزقة بجلد السِّماني وهكذا كانت صور الشعراء مُستقاة من البيئة وما فيها من حيوانات وطيور ووحوش سواءً في التشبيه أو الكناية والاستعارة كلها صور استلهمها الشعراء من واقع البيئة ولعل في الشواهد ما يدل على ذلك.

فهذا أبو ذؤيب الهذلي يشبه تدافع الأبطال في ميدان القتال بصورة يأخذها من بيئته وهي تدافع الإبل الجُرب ومقارعة الساقي لها وهي تتدافع بشدة لأنها إبلٌ نازحة وتطلب الماء وكذلك لأنها جربٌ تشتد حاجتها للماء في قوله:

**وصَـرَّحَ المـوتُ عـن غُلْـبٍ كـأنّهُمُ جُـرْبٌ يـدافِعُها السـاقي مَنـازِيحُ**(١)

وكذلك يرسم المتنخل صورة من واقع بيئته إذ يشبه مزاحف الحيات ،وأثر ذلك على الأرض بآثار السياط في قوله:

**كـأنّ مَزاحِـفَ الحيّـاتِ فيـه قُبَيْـلَ الصُّـبحِ أثارُ السِّـياطِ**(٢)

وحيث يشبه خصومه بالهوان والذل نجده يأخذ الصورة من واقعه وبيئته إذ يشبههم بضأنٍ تعلقت تراب الأرض المختلط بأبوالها في قوله:

**كـأنّهُمْ بجُنـوبِ المَـبْرَكَين ضُـحىً ضـأْنٌ تُجـزَّرُ في أباطِهـا الـوَذَحُ**(٣)

وكذلك الحال عند أبي خراش الهذلي حين نظر إلى نعله الممزقة فشبهها بأشلاء السماني التي أُكلت ولم يبق إلا جناحاها وجلدها ومعلوم ضعف جلد السُّماني ثم زاد ذلك الضعف أن أصابه البلل من مطر وندى في قوله:

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (١٠٩).

(٢) نفسه، ج٢، ص: (٢٥).

(٣) نفسه، ج٢، ص: (٣٢).

**ونَعْـلٍ كأَشْـلاءِ السُّـمانَى نَبَـذْتُها  خـلافَ نَـدىً مـن آخِـر اللّيْـلِ أُورِهْـم**[١]

وكذلك جنوب الهذلية تستقي صورها من الطبيعة حولها في رثاء أخيها وذكر صفاته التي تفخر بها وذلك في قولها:

**وليلـةٍ يَصْـطلي بالفَـرْثِ جازرُهـا  يخـتَصُّ بالنَّقَـرَى الـمُثْرِينَ دَاعِيهـا**
**لا يَنْـبَحُ الكلـبُ فيهـا غـير واحـدةٍ  مـن العِشـاءِ ولا تسْـري أفاعِيهـا**
**أطعَمْـت فيهـا علـى جُـوعٍ ومَسْـغَبةٍ  شَـحْمَ العِشـار إذا مـا قـامَ باغِيهـا**[٢]

فالصورة كناية عن شدّة البرد وكرم المرثي ومستقاة من البيئة فالكلب يمنعه البرد من النباح والأفعى لا تسري في الليلة الباردة والدفء يُطلب في أحشاء الجزور إذا ذُبحت ومع ذلك فشدّة تلك الليلة الباردة لم تمنع ذلك الرجل الكريم أن يطعم الطعام ويدعو إليه المحتاجين والصورة فيها أثر البيئة وما حوت من كائنات.

٣. **الثقافة السائدة:** شكلت ثقافة الشعراء مصدراً من مصادر الصورة الفنية فهناك ثقافة فرضتها طبيعة الحياة وهناك ثقافة متوارثة لدى المجتمع ومنها العلم بعدم جدوى البكاء والتفجع على الميت، وأن ذلك لن يعيد هالك وأن كل حيٍّ مصيره الهلاك يستوي في ذلك الإنسان والحيوان والطير وعدم جدوى الصبابة حال الكبر وغيرها من أنواع الثقافة التي شكلت رافداً من روافد مصادر الصورة الفنية ومن شواهد ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

**أمِـنَ المَنُـونِ ورَيْبِهـا تَتَوَجَّـعُ؟  والـدّهر لـيسَ بِمُعتـبٍ مـن يَجْـزَعُ** [٣]

---

(١) ديوان الهذليين ، ج٢، ص: (١٣١).
(٢) نفسه، ج٣، ص: (١٢٦).
(٣) نفسه، ج١، ص: (١).

لقد استدل الشاعر بثقافته على عدم جدوى التوجع والبكاء لأن الدّهر لا يقبل العذر ولا يقيل العثرة فاستعار للدّهر صورة إنسان لا يقبل العذر وكذلك نجد الشاعر اعتمد على ثقافته حين جعل الدّهر يحمل الفجيعة في قوله:

**فَلَئِن بِهِم فَجَعَ الزَّمانُ ورَيْبُهُ إِنِّي بِأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفَجَّعُ**(١)

ولاحظ الشاعر تتابع الخطوب وتجددها في حين أن الإنسان يبلى ويضعف فنسج صورته كما أملت عليه قناعته وثقافته في قوله:

**فتلك خُطوبٍ قد تَمَلَّتْ شَبابَنَا زماناً فتُبلينا الخُطوبُ وما نُبلى**(٢)

ولاحظ الشعراء الموت وتخطفه للشباب والشيوخ دون تمييز في سن أو نظرة إلى مكانة فشكل ذلك عندهم ثقافة مصدرها الواقع لينسج الشاعر منها صورته في قول أبي خراش:

**أَتَتْهُ المَنايا وهو غَضٌّ شَبابَهُ وما لِلمَنايا عن حِمَى النَّفسِ مِن عَزْمِ**(٣)

إذ جعل المنية تأتى للإنسان وتهلكه دون النظر إلى فوارق.

ومن ثقافة الشعراء عدم جدوى الغزل والتصابي حال الكبر فهذا المتنخل يكنى عن كبر سنه وضعفه وأن زمن الغزل والتصابي قد انتهى بقوله:

**وما أنت الغداةَ وذِكرُ سَلْمَى وأضْحَى الرأْسُ منك إلى اشْمِطاط**(٤)

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٤).
(٢) نفسه، ج١، ص: (٣٧).
(٣) نفسه، ج٢، ص: (١٥٣).
(٤) نفسه، ج٢، ص: (١٩).

ونظر الشعراء إلى ما حولهم من الحيوانات والوحوش وقوتها وشدة حذرها ومع ذلك أدركها الموت ووقعت ضحية للدّهر فشكل ذلك رافداً ثقافياً يبنى منه الشعراء صورهم يقول مالك بن خالد:

**والخُـنْسُ لـن يُعْجِـزَ الأيـّامَ ذو حَيَـدٍ بِمُشْـمَخِرٍّ بـه الظِّيّـانُ والآسُ**[١]

إذ جعل الكناية منطلقاً يصور به هلاك هذه الحيوانات ،وعدم جدوى الحذر والقوة في الوقاية من الموت.

وجنوب الهذلية ترى قوة الأيام وكثرة الهلكى ،وأن الأمل منقطع والموت يدرك الجميع لتتشكل ثقافتها من الواقع فتقول:

**كـلُّ امـرئٍ بطـولِ العَـيْشِ مكـذوبُ وكـلَّ مـن غالـبَ الأيّامَ مَغْلُـوبُ**[٢]

فالكل هالك والأيام لن يقارعها مخلوق إلا غلبته وأسلمته إلى النهاية.

٤. **الدين الإسلامي**: هناك من الشعراء الهذليين من عاش في الجاهلية والإسلام ودخل في الدين وتأثر به وهناك شعراء إسلاميون ولدوا وعاشوا في ظل الدولة الإسلامية وكان لذلك أثر في شعرهم وبناء صورهم الشعرية فمن الشعراء المخضرمين: أبو ذؤيب وأبو خراش، ومما لاشك فيه أن الإسلام له مصدران لعلم التشريع القرآن الكريم والسنة النبوية وهما مصادر الثقافة ولعلنا نورد بعض الشواهد الشعرية التي يظهر فيها أثر الدين ومن ذلك قول أبي ذؤيب:

---

(١) ديوان الهذليين، ج٣، ص: (٢).

(٢) نفسه، ج٣، ص: (١٢٦).

**ولــو أنــني اسْــتَوْدَعْتُه الشَّــمسَ لارْتَقَــتْ إليـــه المَنَـــايا عَينُهُـــا ورَســـولُها**(١)

فجعل الشاعر المرثي وديعة عند الشمس على سبيل الاستعارة ومع أنه أيقن بحتمية الفناء وإدراك المنية له وكأنه يستلهم معناه مما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[النساء:٧٨].

وفي قول أبي خراش:

**أَتَتْـــهُ المَنَـــايا وهـــو غَـــضٌّ شَـــبابَهُ وما لِلمَنـايا عـن حِمَـى الـنَّفسِ مِـن عَـزْمِ**(٢)

على سبيل الاستعارة ما يوحي بأن الشاعر أدرك المعنى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٥٧﴾[العنكبوت:٥٧].

ومن الشعراء الإسلاميين :أمية بن أبي عائذ إذ نجده يستلهم صوره من القرآن الكريم وذلك في قوله:

**ومَـــرّ المَنُـــونِ بأمـــرٍ يَغُـــولُ مـــن رُزءِ نفـــسٍ ومـــن نقـــصِ مـــالِ**
**إلى الله أشْـــكُو الـــذّي قـــد أرى مـــن النَّائِبَـــاتِ بِعَـــافٍ وعَـــالِ**
**وإِظْـــلالَ هـــذا الزَّمـــانِ الـــذّي يُقَلِّـــب بالنَّـــاسِ حـــالاً لِحَـــالِ**(٣)

فالشاعر جعل من القرآن الكريم منطلقاً لشكواه متأثراً بقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨٦﴾[يوسف:٨٦]؛ليصل إلى صورته الفنية وهي تقلب الزمان بأهله ،وتبدل أحوالهم من عسر إلى يسر ومن سعة إلى شدة.

---

(١) ديوان الهذليين، ج١، ص: (٣٣).
(٢) نفسه، ج٢، ص: (١٥٣).
(٣) نفسه، ج٢، ص: (١٧٣).

ومما سبق يتبين أن الشعراء نهلوا من مصادر عدّة لتكوين صورهم الفنية ،وإن كانت البيئة وما حوت من كائنات أكثر المصادر التي استقى الشعراء منها صورهم الفنية، وكذلك كان للثقافة السائدة في المجتمع دور بارز في تشكيل الصور ولا غرابة في ذلك، فالشعراء كانت حياتهم في البادية، ولم يكن لهم احتكاك بغيرهم من الأُمم، وبعضهم جاهلي لم يُدرك ثقافة الإسلام ،ومع ذلك كانت صورهم الفنية تمثل إبداع يدل على ثراء لغة مبدعة، ووظفوا الخيال في حدود البيئة التي عاشوها ،وما حوت من أشكال ؛ليرسموا لنا صور فنية فذة.

## الخاتمة

تناول هذا البحث الدهر في ديوان الهذليين، وتكّون من تمهيد وفصلين: تناول التمهيد أمرين أولاً: صورة الدهر في الشعر الجاهلي.

ثانياً: صورة الدهر في الشعر الإسلامي.

وكان الفصل الأول من هذا البحث بعنوان: الدهر في سياق الأغراض الشعرية ومن أهم النتائج التي توصّلت إليها الدراسة في هذا الفصل ما يلي:

١. كشفت الدراسة ارتباط ظاهرة الدّهر بغرض الرثاء خاصة وذلك لأن العرب كانت تتذمر من الدّهر وتنسب إليه الموت وتتفجع من المصائب وتنسبها للدّهر بجعله قوة فاعلة.
٢. حضرت مرادفات الدّهر في غرض الوصف والغزل أكثر من حضور لفظ الدّهر.
٣. أثرت البيئة الهذلية على نتاج الشعراء فاستشهدوا بقسوة الدّهر على من يشاركهم الحياة في بيئتهم كالوعول والطيور والوحوش.
٤. بينت الدراسة أن الدّهر شكل هاجس مخيف لدى الشعراء فأخذوا يتتبعون أجزاؤه ويراقبون الكائنات الحية حولهم في تعاملها مع قسوته وكفاحها لأجل البقاء لأخذ العبرة والعظة.

وأما الفصل الثاني فقد عرض السمات الفنية في أبيات الدهر ومن أهم النتائج ما يلي:

١) كانت أساليب الشعراء متنوعة وتوحي بثراء لغوي ومعرفة تامة لأساليب العربية ولا غرابة في ذلك فهم أهل اللغة وموضع الاستشهاد.
٢) كانت صور الشعراء الفنية مُستقاه من الواقع الذي يعيشه الشعراء دون إغراق في الخيال أو تكلف للألفاظ.
٣) من أكثر الصور البلاغية عند الشعراء الهذليين التشبيه ومن أكثر أدوات التشبيه (كأن) وذلك لأنها أقوى أدوات التشبيه في الإيحاء بعقد المشابهة بين الأشياء.
٤) مصادر الصورة الفنية من البيئة والطبيعة والثقافة السائدة لدى الشعراء.
٥) أبو ذؤيب الهذلي من أكثر الشعراء الهذليين يُستشهد بشعره وذلك لجودة شعره وغزارة نتاجه الشعري.

٦) تتسم صورة الدّهر عند الهذليين بألفاظ مبتكرة إذ استطاع الشعراء تفجير ينابيع اللغة وإضافة ألفاظ وصفت في كتب اللغة بأنها ألفاظ هذلية.

وصلى الله وسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين

# المصادر والمراجع

## أولاً: الكتب


١) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢) الأدب وفنونه، د/ مُحَمَّد مندور، إشراف داليا مُحَمَّد إبراهيم، الطبعة الخامسة، نهضة مصر، للطباعة والنشر.

٣) الأدب وفنونه، عز الدين إسماعيل، دار الفكر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣م.

٤) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة، ١٩٩٤م.

٥) أنوار الربيع في أنواع البديع، تأليف السيد علي صدر الدين المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، الطبعة الأولى، مطبعة النجف، ١٣٨٩هـ.

٦) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق إحسان عباس وآخرين، دار صادر، لبنان، ط/٢،١٤٢٥هـ.

٧) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين مُحَمَّد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع.

٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مُحَمَّد علي النجار، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٩) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة.

١٠) بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين، د/ مُحَمَّد خليل الخلايلة، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١١) البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام مُحَمَّد هارون، مكتبة

الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٢) تاج العروس من جواهر القاموس، مُحَمَّد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحقيقن، دار الهداية.

١٣) تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، مصطفى السيوفي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، الثقافة، مصر، الطبعة الأولى.

١٤) التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين مُحَمَّد بن عبدالرحمن القزويني الخطيب، ضبطه وشرحه عبدالرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٠٤م.

١٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٦) الحماسة، البحتري أبو عبادة الوليد بن عبيد، تحقيق لويس شيخو، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

١٧) الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، د/مُحَمَّد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٨) الحيوان في الشعر الجاهلي، حسين جمعة، ط١، دمشق، بيروت، دار دانية للطباعة والنشر، ١٩٨٩م.

١٩) الحيوان، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام مُحَمَّد هارون، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

٢٠) الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: مُحَمَّد علي النجار، عالم الكتب للطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٢١) دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود مُحَمَّد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٢) الدّهر في الشعر الأندلسي/ دراسة في حركة المعنى، الدكتور لؤي علي خليل، دار الكتب الوطنية، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٢٣) ديوان أبي الحسن التهامي، تحقيق الدكتور مُحَمَّد بن عبدالرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، ط/١، ١٤٠٢هـ.

٢٤) ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه حمد وطمّاس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٥) ديوان الفرزدق، شرحه وعلق عليه: عبدالله الصاوي، دائرة المعارف للأعلام العربية، مطبعة الصاوي.

٢٦) ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين، ومحمود أبو الوفا، الطبعة الثانية، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٩٥م.

٢٧) ديوان امرؤ القيس، تحقيق: د/مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٨م.

٢٨) ديوان تأبط شراً وأخباره، جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٩) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: وليد عرفات، بيروت، دار صادر، ١٩٧٤م.

٣٠) ديوان كعب بن زهير، لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٩٥٠م.

٣١) الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، تأليف الدكتور صلاح عبد الحافظ، دار المعارف، القاهرة.

٣٢) الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، إميل توفيق، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٣) شرح أشعار الهذليين، أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، ضبطه وصححه: خالد عبدالغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٣٤) شعر الجاهلية وشعراؤها، قُصي الحسين، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، المكتبة الحديثة، طرابلس، لبنان.

٣٥) الشعر العربي المعاصر/ قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١م.

٣٦) الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد مُحَمَّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١٤٢١،٣هـ.

٣٧) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، د. أحمد كمال زكي، دار الكتاب العربي بالقاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٣٨) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوسف خليف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٣٩) شعرنا القديم والنقد الحديث، د/ وهب أحمد رومية، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤١٩هـ.

٤٠) صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن حجاج القُشيري النيسابوري، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٤١) الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٢) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م.

٤٣) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، دار الثقافة، القاهرة، ط٣، ١٩٧٤م.

٤٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٥) عيار الشعر، لأبي الحسن مُحَمَّد بن طباطبا العلوي، تحقيق: د/عبدالعزيز المانع ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٦) فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٤٧) فن الشعر، إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنّشر، بيروت، ط٣، ١٩٥٥م

٤٨) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، مصطفى الشكعة، عالم الكتب بيروت، ١٩٨١م.

٤٩) في النحو العربي، نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

٥٠) القاموس المحيط، مجد الدين مُحَمَّد يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتبة التراث مؤسسة الرسالة، إشراف مُحَمَّد نعيم العرقسوسي، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥١) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير، مُحَمَّد أحمد حسب الله، هاشم مُحَمَّد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

٥٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

٥٣) مختار الصحاح، مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان، ١٩٨٦م.

٥٤) معاني النحو، د/فاضل صالح السامرائي، عمان، الأردن، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.مُحَمَّد

٥٥) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٦) مقدمة ابن خلدون، تأليف عبدالرحمن بن خلدون، تحقيق: عبدالله مُحَمَّد الدرويش، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار البلخى، دمشق.

٥٧) المعجم المفصّل في علوم البلاغة، د/ إنعام فوّال عكّاوي، راجعه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط ١ ، ١٤١٣هـ

٥٨) الموجز في الشعر العربي، فالح الحجية، راجعة شوقي ضيف، المكتبة الوطنية ببغداد،

١٩٨٥م.

٥٩) نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: د/ مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٠) الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني، تحقيق وشرح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم علي مُحَمَّد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

## ثانياً: الرسائل العلمية

١) أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره، نوره الشملان، رسالة ماجيستير، جامعة الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢) الإنشاء ومواقعه في شعر هذيل، سعيد بن طيب المطرفي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ.

٣) سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي، سعد عبد الرحمن العرفي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـ.

٤) شعراء هذيل أخبارهم وأشعارهم في القرن الأول الهجري، المكي العلمي، رسالة ماجيستير، جامعة دمشق، ١٩٨٣م.

٥) الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ظافر بن عبدالله الشهري، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ - ١٤١١هـ.

٦) لغة شعر ديوان الهذليين، علي كاظم مُحَمَّد علي المصلاوي، رسالة ماجيستير، جامعة الكوفة، ١٤٢٠هـ.

٧) من لغات العرب لغة هذيل، الدكتور عبد الجواد الطيب، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث

**ثالثاً: الدّوريات.**

١) التأمل الفكري عند الهذليين، أبو ذؤيب الهذلي نموذجاً، د/ إبراهيم الدهون، سيسرا مجلة ثقافية تصدر عن نادي الجوف الأدبي الثقافي، جمادي الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٢) جدلية الفناء والخلود في عينية أبي ذؤيب، سمير الديوب، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٧، العدد الثالث + الرابع، ٢٠١١م.

٣) شكوى الدهر في الشعر الجاهلي، عارف عبدالله محمود، مجلة ديالي، العدد السابع والخمسون.

٤) الصعاليك وشعرهم في العصر الجاهلي، حسن سرباز، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، العدد الخامس والعشرون، ١٣٨٩هـ.

٥) فلسفة الموت في قصيدة الرثاء عند شعراء هذيل، صخر الغيّ الهذلي: نموذجاً، د/ عاطف كنعان، كلية الآداب، جامعة البترا، عمان، الأردن.

٦) مجلة العلوم الإنسانية، مفهوم الزمن في الفكر والأدب، أ/ رابح الأطرش، قسم اللغة العربية، جامعة فرحات عباس سطيف، مارس ٢٠٠٦م.